JUNE — DECEMBER 1936 يونيو الى ديسمبر سنة ١٩٣٦

المقتطف

مجلة علمية صناعية زراعية

لمنشئها

الدكتور يعقوب صروف والدكتور فارس نمر

المجلد التاسع والثمانون

AL-MUKTATAF

A MONTHLY ARABIC SCIENTIFIC REVIEW

Edited by: FUAD SARRUF

VOL. 89

Founded 1876 By Drs Y. Sarruf & F. Nimr

فهرس المجلد التاسع والثمانين

(ا)

ابن تفيس والدورة الصغرى ٢٦٤
ابو الطيب ونسبهُ العلوي ٢٣١
الاثم الشعور به ٤٩٧
الاجتماع علمهُ والفلاح
المصري ٣٠٩
الاخشاب المصرية القديمة ١٨٥
الادب والآلة ٥٢٤
الارض تكسب رطلاً
كلَّ ساعة ٦٢٩
اذرح مؤتمر ٧٤
الاشتراكية الاوربية
تحوّلها ٢١٩
الاضاءة الطبيعية ٢٩٢
الاضاءة ملاحظات عامة ١٨١
امرأة فاضلة ٣٢٤
امراض نادرة غريبة ٥٩٣
انا والصحراء (قصيدة) ١٦١
الانتقاد الادبي ٨١
الانبياء الحيثة علاجها ١١٥
ايها البركان (قصيدة) ٣٠٧

(ب)

البحر المتوسط السيطرة
عليهِ ٨٥
برستد خلفهُ ١١٥
البطالة وسائل علاجها ٤٥
و٢٠٢ و٢٧٣ و٤٦٥
البلوارسيا بين الحوضة
والقلوية ٢٤٨
*البوركواى يا وحكايتها ٤٩١
البوة والدوبرين ١٠٧
البيض حفظهُ ٦٣٢

(ت)

التربية مؤتمرها الدولي ٤٥٠
التركيب الصناعي تجاربهُ ٤١٥
التعب والاكل ٢٤٦
التمثال (قصيدة) ٥٢١
التوليد الصناعي في الارانب ١٠٩
تولستوي ونظرة الفن ١٩٥

(ث)

ثقافتنا حيال اوربا ١٤٨
الثوم جدال علمي عليهِ ٦٣١

(ج)

*جامع دير القديسة كاترين
بطورسينا ٤٠٥
الجاموس الافريقي ١٠٩
جبار مارد وغدده ٦١٣
الجرائم وسائل كشفها ٢٤٠
جنون الحياة (قصيدة) ١٦
الجوع وسلوك الانسان ٦٣١

(ح)

حديقة مفتطف ٩٧ — ١٠٢
و٢٢٠ — ٢٣٠ و٣٥٥ — ٣٥٨
و٤٦٩ — ٤٧٤
*الحرب الاهلية الاسبانية ٤٧٥
الحشرات آذانها الحية ٤٩٦
* الحضارة الحيثة ٥٥٤
الحق تمطاسهُ ٤٠٩
الحوادث الدولية اهمها ٦١٩

(خ)

الخريف في برلين (قصيدة) ٢٧٢

(د)

دار الاذاعة اللاسلكية
البريطانية ٤٨٩
الدكتور ابرهيم (قصة) ٦٢
الدم تكونهُ والحرارة ٤٩٧
الدماغ اسرارها ١٧ و١٣٨
الدماغ حجمهُ والذكاء ٦٢٨
الدورة الدموية الصغرى ٢٦٤

(ذ)

ذاكرة الالوان ٥٤٥

(ر)

راديوم الدائرة الفضية ١١٠
الراديوم التسمم به ٢٤٨
الرغيف اصلاحهُ ٤٢٤

وجه

(ز)

الزجاج والحضارة ٥٣٧
الزيت مصادره ١١

(س)

السامية في المؤتمر ٣٢
سباق الخيل في النيل ٢٦٠
السرطان مكافحته ٢٤٩
السرطان في الحيوان ٦٣٠
سرفانتس ودون كيشوت ٦٠١
سكر القصب ومقام مصر ٤٣٥
السلام دعوة عامة ٢١٣
* السمك الرامي ٥٨٥
سورية الصحة في أريافها ٥٦
سوريا وكريت سلمها ٤٩٤

(ش)

الشذوذ في النظام الشمسي ١٤٥
شكسبير سره ٥٤٤
الشلن ٢٩٨
* شلي قصته الغرامية ٤٥٩ و٥٨٣
سر الشمس المحتضرة ٥٧٧
شوبنهاور والنقد ٤٢٩

(ص)

الصرع نوباته ٤٩٧
الصوت عجائبه ٣٨٥

وجه

(ط)

الطائران (قصيدة) ٤٤٠
الطاقة العالية مصادرها ٩
الطعام حفظه ٤١٩
الطيران والحرب القادمة ٥١٣
الطيور عرقها ١٠٠

(ع)

العربية تفتح المغلقات ١٧٠
عطية معجمه ٢٣٦
العلم عيونه ١٢٩
العلم والمجتمع ٢٥٧
العلم ومشكلات المستقبل ١٧٦
علم النفس تقدمه في قرن ٢٤ و٢٩
العمر اطالته بالغذاء ١١٠
العمليات الجراحية في الذبان ٦٢٧
العمى اللوني ٤٩٥
العمي يبصرون ٣٩٨
العين تصوير عروقها ٢٤١
العي المدينة الكنعانية ١٦٤

(غ)

الغاز الخاتي ١٣
غوركي مكسيم ١٨٠

(ف)

الفحم مصادره ٩
فؤاد الاول الملك ١

وجه

الفلسفة أدوارها الثلاثة ٤٠
فيتامين (أ) ومقاومة المرض ٤٩٣
الفيتامين والتفاح ٦٢٨
فيتامين (د) في قشور الكاكاو ٦٣٠

(ق)

القرود العظام ٣١٩ و ٤٤١ و ٥٩٨
قوى الدفاع الاورية ٦٠٩

(ك)

كأس الحيام (قصيدة) ٣٩٤
الكحول وحوادث الاصطدام ٣٧٠
كلمات الغاز ٦٢٩
الكهربائية البشرية ٥٦٠
الكهربائية وكريات الدم الحمر ٦٢٩
الكيمياء والسلوك الانساني ٤٩٢
الكيمياثيون والغازات السامة ٣٦٩

(ل)

اللبن حفظه طازجاً ١١١
اللذة عند فلاسفة العرب ٧٠
اللذة والسلوك ٥٤٨

	وجه
(م)	
المادة قوتهُ ومصادرها	١٤
المادة سرُّها المحير	٢٨٥
المحايد الصغير	٣٦
محمد علي والامبراطورية العربية	٩٠
محمود سعيد المصوّر	٥٣١
المذهب الشكلي (Gestalt)	١٥٥ و٢٨٠
المضايق بعد مؤتمر مونترو	٤١٦
المعادن امتحانها بامواج الصوت	١١١
المعاهدات الدفاعية اقدمها	٣٢٨
معاهدة الزعفران	٣٤٨
مكتبة المقتطف ١١٦ — ١٢٧ و٢٤٩ — ٢٥٥ و ٣٧٥ — ٣٨٣ و٥٠١ — ٥١١ و٦٣٣ — ٦٣٩	
(ن)	
النبات مفرداتهُ ٥٢ و٢٠٨ و٣٣٧ و٤٥٦ و٥٨٩	
نجم جديد في صورة الراعي	٦٣٢
النجوم ابردها	٤٩٣
نحلة جديدة	١١٤
النزعة الدكتاتورية تعليلها	٣٤٦
نوبل جائزتهُ الطبيعية	٦٢٥
نوبل جائزتهُ الكيميائية	٦٢٦
النوترون خطرهُ	١١٤
النور البارد	٣٣٢ و٤٩٨
النور الكهربائي	٤٤٤
نيوتن الى بلانك	٣٦٧
(هـ)	
هتلر وفيشته	٥٩٦
الهرصتهُ بحصول العسل	٦٣٠
هورجرونيه وفاتهُ	٤٩٦
هيئة العمل الدولية	٣٤١
هيدلبرج الاحتفال بها سنتها	١١٢

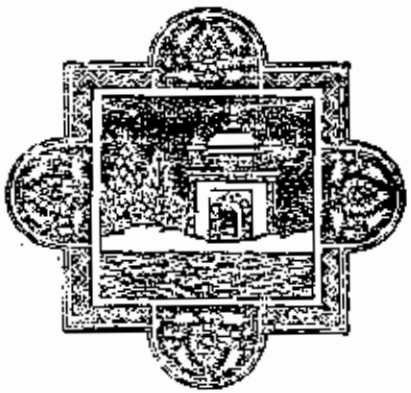

المغفور له جلالة الملك فؤاد الاول

المقتطف

الجزء الاول من المجلد التاسع والثمانين

١ يوليو سنة ١٩٣٦ — ١١ ربيع الاول سنة ١٣٥٥

الملك فؤاد الاول

فقدت مصر بفقدهِ ملكاً عظيماً ، عرك الدهر قبل ارتقائهِ اريكة الملك جندياً واميراً ، وخبر الناس عالماً ورحّالة ومصلحاً اجتماعيًّا ، فأعدتهُ التجارب للحكم ، وعلمتهُ غير الزمان سياسة الخلق . والامم لا توفق كل يوم ، ولا كل قرن ، الى ملك توفّر له من وسائل الاستعداد لعمله السامي — علاوة على فطرة صافية وذكاء متوقد — ما توفر لجلالة ملك مصر العظيم ، المغفور له فؤاد الاول

من المدرسة الى الحياة العامة

وُلدَ الامير احمد فؤاد وهو أصغر ابناء اسماعيل ، وحفيد ابراهيم ، وسليل محمد علي مؤسس الاسرة العلوية في مصر ، في قصر والده بالجيزة في الثاني من شهر ذي الحجة سنة ١٢٨٤ هجرية اي ٢٦ مارس سنة ١٨٦٨ ميلادية ، وكان طفلاً لم يناهز ثمانية عشر شهراً يوم احتفل والده اسماعيل باشا ذلك الاحتفال الشرقي الفخم ، بالامبراطورة اوجيني ومن قدم مصر حينئذٍ من الامراء والعظماء لافتتاح قناة السويس

كان جوّ مصر السياسيّ ، في حداثة الامير مليئاً بالغيوم ، تعتوره الازمات ، الناشئة عن موقف دائني مصر ، وما جروا عليه من الاساليب لضمان مالهم . ولكن ذلك لم يحُل دون العناية كل العناية بتعليم الامير وتنشئته ، أوسع تعليم وأقوم تنشئة . فلما بلغ السابعة من العمر

انتظم في المدرسة التي خصصها والده لتعليم ابناء الاجراء في عابدين وكان يعقوب ارتين باشا ناظراً لها . فمكث فيها الامير فؤاد ثلاث سنوات « تلقى في خلالها مبادىء العلوم والمعارف وكان من معلميه في هذه الفترة رجل انكليزي يدعى رونلد ميشيل ، وقد دوّن في مذكراته أن الامير فؤاداً « كان ذكي الفؤاد كريم الخلق رقيق الحاشية ، على جانب من صعف البنية ، وشديد التعلق بوالدته » . فلما بلغ العاشرة من عمره صدر امر والده الى دور بك المفتش بنظارة المعارف وصاحبي السعادة حسن جلال باشا وحمد الله امين باشا المدرسين بالمدارس الاميرية بالسفر في معية الامير الى مدينة جنيف ، فانتظم هناك في معهد توديكي . ثم عاد دور بك الى مصر وبقي مع الامير حسن جلال باشا مدرساً للغة العربية ، وحمد الله امين باشا مدرساً للتركية ، فبقي في ذلك المعهد سنة شهد له فيها مدرسوه ورفاقه ، بالمواظبة والنشاط والورع

ولما غادر اسماعيل باشا مصر ، وخلف عرشها لنجله توفيق باشا في سنة ١٨٧٩ ذهب الى ايطاليا فسافر الامير فؤاد من جنيف الى نابولي لمشاهدة والده ثم جاء مصر ومنها عاد الى نابولي حيث اقام مع والده ثلاثة اشهر في القصر الملكي الشهير باسم فاوريتا في ضواحي تلك المدينة

وكان الملك امبرتو الاول ، ملك ايطاليا ، صديقاً للخديوي اسماعيل ، فأشار عليه بان ينتظم الامير فؤاد في المدرسة الاعدادية الملكية في مدينة تورينو فانتظم فيها سنة ١٨٨٠ ولما اتم دروسه فيها نقل الى مدرسة تورينو الحربية وخرج منها برتبة ملازم ثان في سلاح المدفعية ، ثم انتظم في مدرسة تورينو الحربية العليا وهي احدى المدارس الحربية الثلاث المشهورة في العالم ، واتم دروسه فيها سنة ١٨٨٨ وانضم الى الاي المدفعية الثالث عشر برومة وظل ضابطاً في الجيش سنتين كاملتين . وفي سنة ١٨٩٠ ذهب الى الاستانة العلية لزيارة والده فيها فعرفه السلطان عبد الحميد ، وعينه ياوراً فخرياً لجلالته ، وندبه ملحقاً حربياً لسفارة تركيا في مدينة ڤينا وبعد سنتين استدعاه ابن شقيقه الخديوي عباس حلمي باشا ، وانعم عليه برتبة الفريق وقائد فرقة في الجيش المصري ، وعينه في منصب كبير الياوران ، فبقي في هذا المنصب ثلاث سنوات ، استقال في نهايتها ، لكي يصرف همه وتفكيره ونشاطه الى ترقية وطنه من الناحيتين الثقافية والاجتماعية وهو عمل كان حتى آخر نسمة من حياته احب الاعمال اليه واقربها الى قلبه واجمعها لعنايته

في خدمة العلم والعمران

من دواعي الفخار ، التي يجب ان تقرن باسم احمد فؤاد الامير والسلطان والملك ، انه ادرك وهو لا يزال في طراوة الصبا حين ينصرف الشبان في التالب الى اللهو والرياضة ، مدى النعمة العظيمة الواقعة على امير يحب ان يخدم بلاده ، وعظم المشقة التي يلاقيها في سبيل هذه الخدمة ، واتساع نطاق العمل المجدي . وقد اثيرت عنه كلمة مشهورة وهي « ليس شيئاً ان تكون

اميراً وانما كل شيء ان تكون نافعاً ». وقد كان هذا شعارهُ الذهبي في ادوار حياته المختلفة

فلما استقال من منصبه العسكري في الجيش والسراي ، انصرف كلّ الانصراف ، الى ما عُلم بالحبر والحبر ، وبالدرس والسفر ، ان وطنهُ في حاجة اليه ، لانهُ كان متتبعاً الاضطلاع كلهُ انه اذا شاء وطنهُ ان يحقق امنية والده اسماعيل عند ما قال « ان بلادي قصّة من اوربا » فعلى اقطابه ان يسعوا سعياً متواصلاً مجدياً الى رفع مستوى الحالة الاجتماعية والثقافية والعلمية في حياته العامة والخاصة . وكان الامير فؤاد متصفاً بسجايا مكنتهُ من قيادة هذه الحركة المباركة وتوجيهها . كان بعيد النظر ، واسع الثقافة ، لا يستعجل ولا يستنفد صبرهُ ، علاوة على مقدرة نادرة عند كثير من امراء الشرق وهي مقدرة التنظيم . فأقبل بهذا الاعتقاد وهذه السجايا ، على هذا العمل الشاق وكأنهُ خالص ممتركاً مقدساً ، حتى اصبح من الاقوال المأثورة في ذلك العهد ، ان الامير احمد فؤاد هو الرجل الذي يجب ان يرجع اليه ، في تمهيد سبل النجاح لكل مشروع تعليمي او انساني

واتجهت عناية سموّه الى مشروع الجامعة المصرية ، وكانت حتى سنة ١٩٠٦ امنية عزيزة تجول في صدور المثقفين من اهل مصر . فأحاطها برعايته واخرجها من حيّز القوة الى حيز الوجود . ولما افتتحت في ٢١ دسمبر سنة ١٩٠٨ القى فيها خطبة بليغة قال فيها : . . . نحن لا نجهل ان هذا العمل الكبير ستطرأ عليه تغيّرات كثيرة قبل ان يأخذ شكلهُ النهائي ، ولكننا لم ندّخر وسعاً في تثبيت قواعده ليكون البناء الآتي قائماً على اساس مكين وافياً بما تدعو اليه الحاجة في مستقبل الايام . . . ولقد جاء اليوم الذي تقضي فيه الضرورة على الشبيبة المصرية بورود مناهل التربية العملية المحضة في نفس القاهرة دون ان تتغرّب في ربوع العلم التي نالت بفضله مكانة عالية في العمران . واني اتبتهل اليه تعالى ان يجعل هذه الجامعة نافعة لطلاّب العلم عموماً ولشبيبتنا المصرية خصوصاً . اذ اننا لم نقدم على هذا العمل الجسيم ولم نسهر الليالي بسببه الاّ لترقية هذه الشبيبة التي لا يكفينا امتيازها بالذكاء والنشاط والاجتهاد ، بل نرى انهُ يتحتم عليها ايضاً ان تتحلّى بفضيلتي الصبر والاستمرار لانهما سرُّ النجاح . . . . »

ومضى يعضد الجامعة بهمته العالية ورأيه الثاقب ، فوفق بفضل ما بذلهُ لدى الحكومات الاوربية من السعي ، الى استحضار كبار العلماء المستشرقين للتدريس فيها فألقوا فيها محاضرات نفيسة في مختلف العلوم والفنون ووضعوا فيها مؤلفات

كانت الجامعة المصرية جامعة اهلية في عهدها الاول ، ولكن جلالة الملك فؤاد ، الذي رعاها ورئس مجلس ادارتها اميراً ، رأى ان سبل التقدّم لا تمهّد لها كما يجب ان تمهّد حتى تصبح موئل التعليم العالي في البلاد الاّ اذا تملتها الحكومة المصرية بنظام رسمي وجعلت لها ميزانية خاصة بها ، فلما تمّ هذا الانتقال احتفل في ٧ فبراير ١٩٢٨ بوضع حجر الاساس في بنائها الجديد بحديقة الاورمان في الجيزة

وخطب سعادة علي الشمسي باشا وزير المعارف حينئذ فقال : مولاي صاحب الجلالة — يحق لمصر ان تفخر بهذا اليوم المبارك الذي تؤسس فيه يدكم الكريمة بناء جامعتها الكبرى . وليس هذا الاساس الذي تتفضلون بوضعه اليوم بأول ما اقتسموه في بناء الجامعة المصرية فلقد شاهدتم بالامة بجهدكم الجليل منذ سنة ١٩٠٨ في العمل على انشاء جامعة اهلية وامددتم تلكم الجامعة بعظيم الثقة اذ توليتم رآستها وبذلتم ثمين وقتكم في تعهدها ، وتحشمتم الاسفار لزيارة كبرى جامعات الغرب واقتباس خير طرائقها ولقنها فعلتم بهذا على انهاض الجامعة وترقيتها

وكانت آخر خطوة تمت في تاريخ الجامعة المصرية وتدرّج ارتقائها في عهدها قبيل وفاته بأشهر ، ضمّ كليات الزراعة والهندسة والتجارة انطبا والطب البيطري الى الجامعة واستكمال استقلالها وضمان استقلال اساتذتها وذلك في عهد وزارة محمد توفيق نسيم باشا ، اذ كان احمد نجيب الهلالي بك وزيراً للمعارف . أما الجمعيات العلمية التي كان لجلالة الملك الراحل اكبر الاثر في انشائها وتعزيزها ، فصفحة مجيدة من صفحات خدمته للعلم في هذه البلاد

فما كاد جلالتهُ يرتقي العرش حتى وجه عنايته الى تنظيم اعمال الجمعية الملكية التي انشأها ساكن الجنان والده وما فتيء سموه يرعاها باهتمامه لما كان اميراً وبوجه خاص بعد ما أسندت اليه رآستها في ٣٠ اكتوبر سنة ١٩١٥ فأدركها بهمته واعاد اليها الحياة والنشاط . فعادت الى اذاعة نشراتها الدورية العلمية وطبعت مطبوعات شتى وزعت على الجمعيات الجغرافية في البلدان الاجنبية واستطاعت بمعونة جلالته ومساعدته ان تطبع عدة مؤلفات قيمة كالسفر الذي أعده المسيو جوندريه عن ميناء السويس والمؤلف الذي وضعهُ عن ميناء الاسكندرية والأطلس التاريخي الذي عني برسمه لاطوار الادوار المختلفة التي تقلب عليها ميناء الاسكندرية منذ القدم وقد اهديت هذه المطبوعات الى كبار علماء الجغرافيا في الاحتفال الذي اقيم في باريس في سنة ١٩٢١ للاحتفاء بانقضاء مائة عام على تأسيس الجمعية الجغرافية الفرنسوية فأتوا على الجمعية الجغرافية المصرية ووضعوها في المنزلة الاولى بين الجمعيات الجغرافية الدولية . واشتغل المسيو ديلارونسير — وهو من كبار علماء الجغرافيا في العالم — ثلاث سنوات كاملة في وضع مؤلف يتضمن حالة القارة الافريقية من الوجهة الجغرافية في العصور الوسطى وذلك باقتراح من جلالة الملك وبتشجيع متواصل منهُ فجاء المؤلف من انفس المؤلفات وقدعرض على المؤتمر الجغرافي الدولي حين التأم في القاهرة في سنة ١٩٢٥ فنال استحساناً عامًّا لم يقل عنه الاستحسان الذي ناله كتاب المسيو جورج دمران المؤلف بشركة قناة السويس وهو الذي سماه « اسطول بونابرت عند شواطىء مصر »

ولم يقصر جلالة الملك عنايتهُ على الجمعية الجغرافية بل شمل بها ايضاً معهد الاحياء المائية وهو المعهد الذي كانت فكرة انشائهِ قد خطرت لجلالتهِ في سنة ١٩١٢ ولم يستطع يومئذٍ

اخراجها الى حيز التنفيذ لصعاب شتى اعترضته فكلف على تذليلها واحدة فواحدة الى ان اتيح له في سنة ١٩١٥ الشروع في تحقيق هذه الفكرة بصفة جدية فما حلت سنة ١٩١٨ حتى كانت جميع الاعمال التمهيدية لانشاء المعهد قد تمت فانتهز جلالته فرصة استلائه العرش في اواخر تلك السنة واصدر مرسوماً ملكيًا في ٢٨ يناير سنة ١٩١٨ اعلن فيه احياء معهد الاسيوط الذائع صيتًا وشمله بالرعاية الملكية السامية . وفي سنة ١٩٢١ اضاف اليه جلالته بناية جديدة لتستعمل كمكتبة ومتحف للمعهد ولكي يبث جلالته حب المباحث المائية في نفوس ضباط البحرية المصرية ألحق به ضابطين من ضباط اليخت الملكي « المحروسة » ليشتركا في دروسه ومباحثه ويكونا واسطة الاتصال بينه وبين زملائهما من ضباط البحرية . وأخيراً عهد جلالته الى البروفسور سانز الايطالي في وضع رسوم دار جديدة تشيد لهذا الغرض

وكان بديهيًا ايضاً ان يهتم جلالة الملك برفع مستوى جمعية الاقتصاد السياسي والاحصاء والتشريع فهو الذي اقترح تأليفها وهو الذي عمل بنفسه على انشائها سنة ١٩٠٩

ووضع اهم مبادىء البرنامج الذي تضمن الاغراض التي بعثت على تأسيسها فكان من نتيجة هذا الاهتمام الذي ما انقطع جلالته عن ابدائه نحو هذه الجمعية بعد اعتلائه الاريكة الملكية ان عدد اعضائها المنتمين اليها ما برح يزداد كل سنة . وتعنى ادارة الجمعية على الدوام باعداد محاضرات نفيسة في مختلف المسائل المتعلقة بالاقتصاد السياسي والاحصاء والتشريع ثم تعمد الى نشر هذه المحاضرات في مجلتها الدورية التي تصدر بانتظام باللغة الفرنسية باسمها . وقد استطاعت في السنوات الاخيرة ان تبني لمكاتبها داراً فخمة في شارع الملكة نازلي متعددة على هبات جلالة الملك الذي حرص على ان تعقد لجان مؤتمر الملاحة جلساتها في غرفها تعزيزاً لمنزلتها وتنويهاً بمكانتها

وليس في مصر بين المثقفين من يجهل قيمة الفائدة العلمية الجليلة التي يجنيها طلاب العلم من وجود جمعية علمية نافعة كالجمعية الطبية المصرية التي انشئت في سنة ١٩٠٨ واستطاعت بعد زمن قصير من انشائها ان تضم اليها عدداً كبيراً من الاطباء المصريين . فلما جاءت الحرب العظمى اضطرت الجمعية الى ان توقف اعمالها في اثنائها ولكنها ما لبثت ان عادت الى استئناف نشاطها بعد عقد الصلح على منوال نال ارتياح جلالة الملك فتفضل في سنة ١٩٢٤ وشملها برعايته وصدر مرسوماً ملكيًا اجاز لها فيه ان تطلق على نفسها اسم (الجمعية الملكية الطبية المصرية) وهو نفس الملك الذي سلكهُ جلالتهُ تجاه جمعية الحشرات فانهُ غداة تربعه في دست الملك شمل هذه الجمعية برعايته وعكف على تشجيعها وتعزيز مواردها

وفي شهر مايو سنة ١٩٢٣ أصدر جلالته مرسوماً ملكيًا وضع فيه جمعية الحشرات الملكية تحت رعاية الحكومة المصرية ونفحها من الهبات ما ساعدها على تشييد داركبيرة خاصة بها الى

جانب الدار التي شيدتها جمعية الاقتصاد السياسي في شارع الملكة نازلي بالعاصمة

ومن المعاهد العلمية التي يرجع الى جلالة الملك فؤاد الفضل في انشائها واخراجها الى حيز الوجود « معهد الصحاري » وقد بنيت لهُ دار فخمة في ضاحية مصر الجديدة في اول الطريق الصحراوي المؤدي الى السويس

اما انشاء المجمع الملكي للغة العربية فيعود كل الفضل فيه الى جلالة الملك الراحل

ولم يقتصر على توجيه عنايته الى الجامعة والجمعيات العلمية بل شمل الجمعيات الانسانية برعايته ومعونته في ٥ يناير سنة ١٩١٠ اجتمع مجلس ادارة جمعية الاسعاف بمدينة القاهرة وانتخب سموهُ باجماع الآراء رئيساً لجمعية الاسعاف فقبل الرآسة وقام بها خير قيام والى سموه يعود الفضل في انشاء صيدلية كبرى في مركز الجمعية بمصر . وفي ٢ مارس سنة ١٩١٦ تعهد برآسة جمعية الهلال الاحمر المصري فخفف آلام الاسر والاسقام عن الوف من اسرى الحرب

الى العرش والدستور

في اوائل اكتوبر سنة ١٩١٧ اصيب المغفور لهُ السلطان حسين كامل بمرض خشي منهُ على حياته ، فلما فوتح نجلهُ المغفور لهُ الامير كمال الدين حسين في موضوع العرش ، رأى ان الحالة لا تمكنهُ من ارتقائه . وفي ٧ اكتوبر من تلك السنة تنازل عن حقوقه في وراثة العرش . فأجمعت الآراء حينئذٍ على ان الامير احمد فؤاد وهو شقيق السلطان خير من يرقى الاريكة السلطانية خلفاً للسلطان ، اذا حمَّ القضاء . فلما توفي السلطان حسين في ٩ اكتوبر خلفهُ شقيقهُ الاصغر الامير احمد فؤاد

ومن غرائب الاقدار ان عرَّافة تنبأت للامير فؤاد سنة ١٨٩٨ في باريس بأنهُ سوف يصبح ملكاً . فضحك لعلمه مدى ما بينهُ وبين العرش في مصر . ولكن عند ما آنت حروب البلقان في سنة ١٩١٣ الى انفصال البانيا عن الدولة العثمانية ، اقترحت ايطاليا اسم الامير فؤاد ، وكانت صلتهُ قد توثقت بأسرتها الملكة منذ ما طلب العلم في تورين ، ليتنصَّب ملكاً عليها . فعلاوة على كونه اميراً مسلماً كان حفيد محمد علي باشا وهو البانى الاصل . ولكن السياسة الالمانية حالت دون التسليم باقتراح ايطاليا فاختير امير الباني ، هو البرنس وليم دي ويد ، ملكاً على البانيا

ولما عرض عليهِ العرش المصري ، كانت احوال العالم السياسية مضطربة كلَّ الاضطراب ، وعروش الملوك غير راسخة الاركان ، وكان مستقبل مصر تحيط بهِ غلالة من الغموض ، وكان اعتلاء العرش تبعة عظيمة لا متعة وميزة . ولكن الامير فؤاد ، أقدم على القبول ، ثقةً منهُ انهُ وهو على الاريكة يستطيع ان يؤدي لبلاده خدمات لا يستطيعها في ساحة العلم والعمران وحدها . نقول أقدم ، لان القيود التي فرضت على البلاد في ذلك العهد ، وهي القيود الناشئة عن ضرورات الحرب

واخضاع كل شيء في سبيل السعي الى النصر. كانت تنية على النفوس وكان من البيّن لكل من ينظر في الامر ان مصر كانت تحتمل الاحتلال حينئذٍ في سكينة ولكن على مضض

فارتقاء العرش والحالة ما وصفنا كان إقداماً وجرأة ، لا يحتمله من سوء التأويل . ولكن خبرة العاهل الجديد وتجاربه كانت قد علمته ان ما لا يؤخذ بالاقتدار قد يؤخذ بالصبر . وان ما تطلبه مصر من تحقيق أمانيها القومية ، يجب ان يصحبه نشاط في حياتها العقلية والاجتماعية وكلتا الناحيتين تجد فيه وهو على العرش اقوى سند وعضد

لم يئن الوقت لكتابة تاريخ الثورة المصرية ، وما تلاها من حوادث واحداث ، ولكن الامر الذي لا ريب فيه ان حكمة الملك الراحل وخبرته ، كانتا العامل الفعال في حفظ التوازن في فترة الانتقال من الثورة الى التعمير ، ومن السلطة الى الملكة الدستورية

كانت الفترة التي انقضت بين اعلان الحدنة سنة ١٩١٨ وسنة ١٩٢٢ من أحفل السنوات في تاريخ مصر الحديث ، بالمشكلات المعقدة ولكنها انقضت اخيراً ، الى اعلان تصريح ٢٨ فبراير وفيه اعترفت الحكومة البريطانية باستقلال مصر وبأنها دولة ذات سيادة وحصرت المسائل المعلقة بينها في حماية المواصلات الامبراطورية والدفاع عن مصر والاجانب والسودان على امل ان تسوى بين الامتين في مفاوضة تالية

وفي ١٥ مارس ، اي بعد انقضاء اسبوعين على صدور هذا التصريح ، أعلن السلطان فؤاد نفسه ملكاً على مصر ، وكان اهم مظهر من مظاهر هذا التحوّل في نظام الحكم في مصر ، انشاء لجنة برآسة المغفور له رشدي باشا لوضع مشروع للدستور يكون أساساً لاقامة الحكم في هذه البلاد على أساس دستوري نيابي . وفي ١٩ أبريل سنة ١٩٢٣ وقع جلالة الملك وثيقة الدستور وبعد ما اعدّت المعدات للانتخابات ، اجريت الانتخابات في ١٤ يناير سنة ١٩٢٤ ففاز فيها الوفد المصري بزعامة المغفور له سعد زغلول باشا . فالملك فؤاد الاول هو اول ملك دستوري في تاريخ مصر ، وسعد زغلول باشا رئيس الوزارة الدستورية الاولى في هذه البلاد . ولاريب في أن تاريخ توقيع وثيقة الدستور وتاريخ تأليف الوزارة الدستورية الاولى من الاعلام الخالدة في تاريخ مصر الحديث

الملك العالم

حدثنا حضرة صاحب السعادة حسين سرّي باشا من سنوات ، انهُ عهد اليه في احد الايام في وضع تقرير في مسهب في مسألة معيّنة اختلفت فيها الآراء ، ليعرض على جلالة الملك ، فوضع التقرير وبسط فيه الآراء الفنية اوفى بسط ، ثم رأى ان يلخّص ذلك التقرير في مذكرة موجزة ، توفيراً لوقت جلالته الثمين ورفع التقرير والمذكرة الموجزة الى القصر ، وبعد ايام تلقى امراً من القصر بالحضور اليه للتشرف بمقابلة جلالة الملك ، فلما دخل على جلالته رأى

التقرير مفتوحاً أمامهُ ، وقد كثرت عليهِ الاشارات بالقلم الاحمر ، فدار حديث بين جلالتهِ وحسين بك في تناول أدق الامور الفنية المذكورة في التقرير ، فثبت من هذا الحديث ان بعض ما ذكر فيهِ يحتاج الى زيادة ايضاح ، فخرج حسين بك ، وهو المهندس الكبير والعالم الثبت معجباً ، اشد الاعجاب بجلد جلالتهِ وسعة علمهِ ودقة فهمهِ لشؤون هي من اختصاص أهل الفن ، وما لبث حتى زاد النقط المذكورة بياضاً ورفعها الى القصر لجاز التقرير بعد تعديلهِ القدير السامي

والواقع ان جلالة الملك الراحل ، كان من نوادر الدهر في سعة علمهِ ودقة تتبعهِ تطوُّر الاحوال السياسية ، وارتقاء العلم والعمران والفن والادب في مختلف بلدان العالم . وكانت وسيلتهُ الى ذلك الاطلاع على عشرات بل مئات من المجلات والصحف الفرنجية والقصاصات التي تقتطع منها خاصة بموضوعات معيَّنة يهمهُ بوجهٍ خاص الاطلاع عليها . ثم ان جلالتهُ كان يغتنم فرصة سفرهِ الى اوربا ، في عهد الامارة وعهد الملك ، ينقّب تنقيب الباحث الجادّ . فكان لا يكتفي بزيارة المعاهد والمنشآت والمصانع ودور الآثار ، بل كان يوجّه الى من يرافقهُ من العلماء والمختصين ، السؤال تلو السؤال مدققاً النظر في كل ما يشاهد وشاركهُ الكريم « أتيت الى هنا لأستفيد لا لأتسلّى »

واسبغ جلالتهُ على المقتطف آيةً من آيات فضلهِ ، عند ما تفاءل وشمل حفلة عيده الذهبي في سنة ١٩٣٦ برعايتهِ السامية . وقد تحدَّث المرحوم الدكتور صرُّوف ، بعد مثولهِ هو والدكتور فارس نمر بين يدي جلالتهِ لرفع آيات الولاء والشكر فقال :

« ذهبنا الى قصر عابدين بعد ان حدد لنا الوقت الذي نال بهِ شرف مقابلة صاحب الجلالة الملك فؤاد ، وكان أكبر ظني الاَّ تستغرق تلك المقابلة اكثر من خمس دقائق استمع فيها حديث التفجيع السامي والعطف البالغ على المقتطف ، ولكن أتعلم كم لبثت في حضرتهِ ؟ لقد استطال بنا المقام ساعتين كاملتين تناول فيها جلالتهُ كلَّ غرض ألمَّ بهِ المقتطف ، واستفاض في أدق تفاصيلهِ وأحدث ما جدَّ فيهِ من تقدم وابتكار . هنالك أحسست أني لست في حضرة ملك لهُ من مشاغل الملك وشؤون الرعية ما يملك عليهِ وقتهُ وتفكيرهُ بل في حضرة عالم ضليع العلم بديع التفكير لم تفتهُ فائتة من شؤون العلم والادب والاقتصاد والاجتماع »

وهذه المقابلة التي ذكرها لنا المرحوم الدكتور صرُّوف لم تكن الاولى ولا الاخيرة لان جلالتهُ كان يقدّر المقتطف وصاحبيهِ تقديراً عظيماً من يوم ان تشرفا بمعرفتهِ حين قدومهِ الى مصر أميراً الى يوم انتقالهِ الى رحمة ربهِ ملكاً عظيماً . وكان في كل مقابلة لهما اولاً او لاحدهما اخيراً يبقيهِ في حضرتهِ الساعة والساعتين وهو ينثر الدرر من بحر علمهِ واختباره في كل فن ومطلب على الوجه الذي وصفناهُ آنفاً ووصفهُ جمهور عظيم من علية القوم الذين كانوا يتشرفون بمقابلتهِ

مصادر الطاقة العالمية

متى تنفد ؟ وهل يهيئا العلم نفادها ؟

مما يقاس به ارتقاء الانسان خلال العصور اطراد مقدرته على استعمال الطاقة الخارجية في قضاء اعماله. وهذا المقياس يصح اليوم مع ان مقدار الطاقة الذي رهن ايدينا يبدو اعظم مما يحتاج العالم اليه، حتى ليحدث تقلقلاً واضطراباً في الصناعة وما ينشأ عن ذلك من تعطل عن العمل. ولكن هذا التقلقل والتعطل ليسا حكماً على الطاقة نفسها بل هما حكم على عجزنا عن استعمالها الاستعمال الصحيح

ولما كانت الطاقة ركناً من اركان الارتقاء الانساني، فيحسن بنا ان ننظر في مصادرها، الى متى تدوم هذه المصادر قبل ان تنفد، وما الوسائل لاستعمالها على احسن وجه واتمه

ان مصدر الطاقة الاول هو الشمس، والمواد التي تستمد منها الطاقة التي نحتاج اليها مؤلفة في الغالب من احياء، عاشت في العصور الخالية مغمورة بضوء الشمس وحرارتها، ثم دفنت في باطن الارض فتحولت الى فحم ونفط وغاز وغيرها

ومما لا ريب فيه انهُ اذا مضى الانسان في استهلاك الطاقة بالمعدل الذي يستعملها به الآن، فمصادر الطاقة المعروفة الآن تكفيه الوف السنين. واذا رتبنا هذه المصادر بحسب مقامها كانت كما يلي: الفحم والنفط وقوة الماء المنحدر والغاز الطبيعي والخشب وقوة الانسان العضلية وقوة الحيوان العضلية والريح مع قليل من طاقة الفحم المائي[1] والكحول وحرارة باطن الارض وطاقة الشمس المباشرة والجزر والمد والفرق بين حرارة مياه البحر على السطح وفي القاع

الفحم

قبل ان يشيع استعمال الفحم الحجري كانت تقطع اشجار الحراج لتحويلها الى فحم يعرف بالفحم

(١) Peat وهو يختلف عن الفحم الحجري في نسبة الكربون فنسبته في الاول ٥٥٦٢ في المائة وفي الحجري ٨٨ الى ٩٤ في المائة

الصناعي Charcoal لاستعماله في افران مصانع الحديد والصلب. الا ان تاريخ استعمال الفحم الحجري غامض في بدئه. ففي كتب اليونان والرومان اشارة الى «حجارة تحترق». وقد عثر الباحثون في آثار الرومان الباقية في بريطانيا على بقايا نيران كان الفحم الحجري وقودها. ولم تتضح الاشارة الى استعمال الفحم الحجري الا في القرنين الثاني عشر والثالث عشر. ويلي ذلك ذكر الحفر المناجم في الارض لاستخراج الفحم منها. ولما اخذ الفحم الحجري يزاحم الفحم الصناعي في انكلترا في العهد الاول من شيوع استعماله سنّت قوانين تحرّم استعمال الفحم الحجري، وقد سجن غير واحد من الانكليز في ذاك العهد لانتهاكه هذا القانون

والفحم الحجري على اربعة اصناف (المقيّر)[١] و (نصف المقيّر)[٢] و (الفحم الخشبي)[٣] و (الانثراسيت)

يقدَّر ما يوجد في باطن الارض من الفحم بنحو ٧٤٠٠ بليون (الف مليون) طن يستعمل منها الناس كل سنة بليوناً وثلاثة اعشار البليون. فاذا لم يزد ما يستهلكهُ الانسان من الفحم في المستقبل عن متوسطها يستهلكهُ الآن فالفحم الذي في باطن الارض يكفيه ستة آلاف سنة اخرى

الا ان الفحم لا يجدي الانسان نفعاً ما، حتى يطلق الطاقة المخزونة فيه. فحرارة الفحم تستعمل في توليد الطاقة الكهربائية، او البخار، لدفع السفن والقاطرات والترينات. ثم ان الفحم اذا حرق في احوال خاصة استخرجت منهُ مواد نافعة كالغاز والكوك والبنزين والزفت والاسفلت وغيرها من المواد المستعملة في الصناعات الكيميائية

كان معدَّل ما يحرق من الفحم في سنة ١٩٢٠ لتوليد ما مقداره قوة حصان واحد من الطاقة الكهربائية اربعة ارطال من الفحم. لكن العلم لا يقف عند حدّ من الاتقان. فما اهلّت سنة ١٩٣٥ حتى كان ما يجب حرقهُ من الفحم لتوليد مقدار حصان واحد من الطاقة الكهربائية رطلاً واحداً فقط. ومع هذا لم يبلغ العلم الحدّ الادنى بعدُ، وقد نصبح في المستقبل قادرين على توليد قوة حصان واحد من حرق اوقية واحدة من الفحم او اقل من اوقية

وقد بلغ مقدار ما استعملتهُ الولايات المتحدة الاميركية من طاقة الفحم ٤٨ في المائة من مجموع الطاقة التي استعملتها في السنة الماضية

ومما يستعمل لهُ الفحم، استخراج الغاز منهُ، ومصانع توليد الغاز من الفحم في الولايات المتحدة الاميركية تولد في السنة ما مبلغهُ ٥٠٠ بليون قدم مكعبة. والطريقة الشائعة الآن هي نقل الفحم من المناجم الى مصانع الغاز على مقربة من المدن حيث يحول الى غاز وسائل وكوك. ثم يحوَّل الكوك الى غاز مائي او اول اكسيد الكربون وايدروجين او يستعمل في صناعة التعدين.

(١) Bituminous (٢) Semi-bituminous (٣) Lignite اصله من Lignus اللاتينية اي خشب

ولكن الطريقة المعقولة ،هي ان يولّد الغاز من الفحم قرب المنجم، ثم يوزّع على المدن بأنابيب ممتدة تحت الارض وفي هذا توفير مالي كبير ، لانهُ يزيل من السلسلة حلقة نقل الفحم من المنجم الى المصنع علاوة على انهُ يوفر على المدن ما ينتشر في جوها من هبابه المتصاعد من المصانع التي تحرقهُ لتستخرج منهُ الغاز ، وهذه هي الطريقة المتبعة في منطقة الروهر بألمانيا .ويضغط غاز الفحم في بعض البلدان في اسطوانات خاصة ضغطاً عالياً ويباع كما تباع صفائح البنزين ويستعمل وقوداً لتحريك السيارات

ولكن الاتجاه الجديد ، في المانيا وانكلترا ، لاستعمال الفحم على أتمّ وجه ، هو تحويلهُ الى الفط ومشتقاته ، وفي كل من البلادين مصنع ، يستخرج من طن من الفحم نحو خمسة براميل من البترول . ثم ان علماء المانيا قد استنبطوا طريقة « كاتيليكية » لاستخراج زيوت مختلفة من غاز الماء او اول اكسيد الكربون المولّدين من الفحم والماء . ثم تحوّل هذه الزيوت الثقيلة الى بنزين يستعمل في تحريك السيارات . نعم ان الطريقتين تقتضيان نفقات كبيرة ، الآن ، ولولا مساعدة الحكومة لما تمكّنت المصانع التي تقوم بهذا العمل من منافسة اصناف الوقود السائل المستخرجة من باطن الارض

فاذا استعملت احدى هاتين الطريقتين ، او كلتاهما بعد اتقانهما لتحويل كل ما في باطن الارض من الفحم ، الى زيت صالح للتحريك ، واستهلكنا كل سنة منهُ بليوناً ونصف بليون من البراميل ، كفانا فحم الارض ، على هذا الاساس ، ٢٤ الف سنة

الزيت (١)

يسلّم العلماء الآن بأن المواد الايدروكربونية موزعة توزيعاً واسع النطاق في طبقات الارض سواء كانت فحماً او نفطاً او غازاً خلقيًّا او فحماً نيئاً . والنفط بوجهٍ خاص كثير على الرغم من الاعتقاد الشائع بأن مقاديره محدودة قريبة النفاد . واذا نظرنا الى النفط من الوجهة الجغرافية وجدنا ان الشور عليهِ تمكن في أية بقعة من الارض . فقد وجد مثلاً قرب الدائرة القطبية الشمالية وفي ادغال كولومبيا وبورنيو عند خط الاستواء وفي المنطقة المعتدلة في الولايات المتحدة الاميركية . بل وجد النفط في بيرو باميركا الجنوبية على منحدرات جبال الاندس حيث الارتفاع ١٣ الف قدم فوق سطح البحر ، كما وجد على سواحل البحار وفي مقر المحيط الهادي، أمام ولاية كاليفورنيا وفي الصحراء في وادي سان يواكيم . ومما يدل على اتساع نطاق المواقع التي يوجد فيها،ان مدينة شيكاغو قائمة على صخر جيري من نوع «الدولوميت»

(١) استعملنا كلمة الزيت هنا ترجمة لكلمة Oil الانكليزي وهو لفظ عام يشمل النفط وجميع مشتقاته

وهذا الصخر يحتوي في كل ميل مربع منهُ على ٧٫٥٠٠٫٠٠٠ برميل من الزيت. واذن فالارض التي شيدت عليها مدينة شيكاغو ومساحتها تبلغ ٢٠٠ ميل مربع، تحتوي على بليون ونصف بليون من براميل الزيت الخام

وقد عثر في السنة الماضية على اربعين حوضاً جديداً من احواض الزيت يقدر ما تحتوي عليهِ من الزيت بنحو ١٢٥٠٠٠٠٠٠٠ برميل

وتقرت عشرة آلاف بئر جديدة في الستة الشهور الاولى من سنة ١٩٣٥ فكان سبعون في المائة منها تنتج زيتاً وستة في المائة تنتج غازاً والباقي غير منتج

ان الزيت الخام، لا يلي الاَّ الفحم، في كونهِ مصدر من مصادر الطاقة. يستخرج منهُ كل سنة ما متوسطهُ بليون ونصف بليون من البراميل وهو يختلف من البُنّي الغامق الى مادة جامدة قاتمة اللون قذرة المظهر. والزيت الخام يختلف لوناً من الابيض الى الاسود وما بينهما من الوان قوس قزح. ويختلف رائحةً من رائحة الصندل الزكية الى رائحة الكاتور القوية الى رائحة الظربان الكريهة

وقد استخرج من باطن الارض، منذ ما أُلفت صناعة الزيت، ستة وعشرون بليوناً من البراميل. فلو وضع هذا المقدار من السائل في حفرة عمقها ميل ومساحة سطحها ميل مربع لما ملأتها. على حين أن علماء الجولوجيا قرروا في شهر يناير من سنة ١٩٣٤ انهُ اذا ظل استخراج الزيت في الولايات المتحدة الاميركية على ما هو الآن أمكن استخراج ١٣ بليون برميل او ما يكفي الولايات المتحدة خمس عشرة سنة. ولكن يبقى في باطن الارض مع ذلك مقدار من الزيت يختلف من ٣٨ بليوناً من البراميل الى ١١٣ بليوناً ولكن الحصول عليهِ بالاساليب المستعملة الآن لاستنباط الزيت من الارض متعذّر ومتوسطهُ يكفي العالم نحو ثمانين سنة

قلنا ان بليوناً ونصف بليون من براميل الزيت الخام تستنبط كلَّ سنة من باطن الارض فيستعمل بنزينها على الاكثر في تسيير السيارات التي يبلغ عددها في مختلف بلدان العالم نحو ٣٥ مليون سيارة والطائرات وتستعمل بعض مشتقاته لتزييت اجزائها. وهذا لا ينفي استعمال بعض المشتقات الاخرى في اغراض مختلفة

والعلماء منبثون في كل ناحية من نواحي صناعة الزيت، يسعون الى الكشف عن اساليب جديدة او اتقان الاساليب القديمة، لتعيين آبار الزيت المنتجة، ونقر الآبار، وخزن الزيت ونقلهِ، وتقطيرهِ، حتى لا يضيع الاَّ اقل مقدار تمكن منهُ في خلال هذه العمليات جميعاً

ومن هذه الوسائل التي استنبطها العلماء وسيلة تعرف بطريقة التحطيم او التهشيم Cracking اذ بها يحوَّل الزيت الخام الذي لا يحتوي على بنزين ما، الى بنزين، او على الاقل يستخرج بهذه الطريقة

مقدار كبير من البنزين من زيت خام لا يحتوي عليه . ولولا هذه الطريقة لكان البنزين الذي تحتاج اليه سيارات العالم ، لا يستخرج الا من نصف مقدار الزيت الخام الذي يستخرج منهُ الآن

ومنذ ما اكتشف الزيت ، أخذ يزاحم الفحم كمصدر من مصادر الطاقة . فقد قدر ان ٤٨ في المائة من الطاقة المستعملة في الولايات المتحدة الاميركية في السنة الماضية كان مصدره الفحم . ويدل الاحصاء على ان ٢٢ في المائة او أقل من نصف الباقي قليلاً كان مصدره الزيت

وقد ابتدع اسلوب بارع من عهد قريب يه يصنع وقود السيارات والطائرات من الغاز الذي يطير من الزيت الخام عند تهيئه لاستخراج اكبر قدر من البنزين منهُ . ويقدر ما يخرج من هذا الغاز كل سنة بثلاثمائة بليون قدم مكعبة يمكن تحويلها بهذه الطريقة الى الف مليون جالون من بنزين يعرف باسم (Octane) وتبلغ نسبة نقاوته ٨١ في المائة . فاذا عولج هذا البنزين بالايدروجين على اسلوب معين تحوّل الى اوكتين تبلغ نسبة صفائه مائة في المائة فيمكن الطائرات من قطع ٥٠٠ ميل في الساعة

الغاز الخلقي

يخرج الغاز الخلقي من الارض وحدهُ او يصحب الزيت الخام كذلك . وهو من افضل مولّدات الطاقة لانهُ مركّب من « الميثين » « الايثين » وهما مركّبان ايدروكربونيان يصلحان خاصة للاستعمال في المحركات الغازية وتوليد البخار وفي شؤون المنزل لشدّة الحرارة التي يولدانها . ويؤخذ من الاحصاءات الرسمية ان مقدار ٨ في المائة من الطاقة التي تستهلك في اميركا كلّ سنة مردّهُ الى هذا الغاز . ومما يسهّل استعمالهُ ان نقلهُ سهل من الاماكن التي يستخرج فيها من الارض الى المراكز الصناعية بانابيب تمتدُّ الوفاً من الاميال من دون ان يفقد شيئاً منهُ . وقد قدّر الباحثون ان منابع هذا الغاز في « پانهاندل » بولاية تكساس الاميركية تكفي المدن يستعملونها الآن مائتي سنة

على ان استعمال هذا الغاز نادر خارج الولايات المتحدة الاميركية مع انهُ كثير في بعض المناطق كمنطقة آبار الزيت الايرانية . ففي هذه المنطقة يضيع كلّ يوم نحو الف مليون قدم مكعبة من الغاز الخلقي وذلك لعدم وجود مناطق صناعية حول المنطقة او على بعد معتدل منها تحتاج اليه

ويقدّر ما يمكن استخراجهُ من منابع الغاز الخلقي في الولايات المتحدة الاميركية المعروفة الآن بـ ٧٥ تريليون قدم مكعبة وهي تكفي مدة خمسين سنة اذا لم يزد المقدار المستهلك عن المتوسط السنوي الآن

قوة الماء

الماء المتحدر مصدر من اقدم مصادر الطاقة التي استخدمها الانسان . ومنذ ما اكتشف احد قدماء المصريين استعمال العجلة لاستخدام طاقة الماء الجاري توالت وجوه الاتقان عليها حتى اصبحنا الآن ولا سيما ظاهرة بين تربين العصر الحديث وعجلة المصريين الاقدمين . وقد بلغت كفاءة تربين الماء ٩٤ في المائة فهي افضل آلة صنعها الانسان من هذا القبيل . ويبلغ ما يستعمل من الطاقة المولَّدة من الماء المتحدر في اميركا ٨ في المائة من مجموع الطاقة المستعملة فيها

وتقدَّر الطاقة التي يمكن توليدها من الماء المتحدر في الولايات المتحدة الاميركية بنحو ١٣٧ تريليون حصان كلَّ سنة لا يولَّد منها الآن الا ٤٢ تريليون حصان

والماء على ما تعلم مصدر دائم للطاقة وقد يعود الى الاعتماد عليه كلَّ الاعتماد عند ما تنفد سائر مصادرها . ولكنَّ الصعوبة في توليد الطاقة من مساقط الماء انها بعيدة في الغالب عن مناطق الصناعة التي تستهلكها ، والاعتقاد السائد هو ان كل ما يحتاج اليه المرء لتوليد الطاقة من الماء المتحدر يتمُّ بوضع عجلات اوما يقوم مقامها في تيّار متدافع من الماء . ولكن الواقع انهُ بعد اعداد المعدات نفسها لتوليد الطاقة من الماء المتحدر والجاري — وهي دقيقة ومعقدة وكبيرة النفقة — تحتاج الى مدّ الاسلاك مسافات طويلة من حيث تولَّد الطاقة الكهربائية الى حيث تستعمل وكلما طالت المسافة زاد ما يضيع منها في الاسلاك . ولذلك نجد ان الطاقة المولَّدة من قوة الماء أغلى في بعض المناطق من طاقة البخار المولَّد بالفحم او النفط او الغاز الطبيعي

اما توليد الطاقة من المد والجزر فقد عني به المستنبطون من القرن التاسع عشر الى الآن والواقع ان الاختلاف بين المد والجزر يجب ان يجهزنا بمقدار عظيم من الطاقة اذا تمكنا من توليدها منهما بطريقة سهلة المأخذ معتدلة النفقات . وقد استنبطت في العصر الحديث طرق جديدة لاستخدام هذه الطاقة ولكن يظهر ان فائدتها العملية محصورة في نطاق ضيق في بعض القرض البحرية في فرنسا وانكلترا والمانيا . ونفقات الاجهزة اللازمة لتوليدها بهذه الطريقة كبيرة يضاف اليها تعذر استعمالها الا في أماكن معينة حيث تؤاتيها احوال المد والجزر وهذا يقيم العراقيل في سبيل انتشارها

وقد وافقت حكومة الولايات المتحدة الاميركية على انفاق سبعة ملايين ومائتي الف من الجنيهات لانشاء محطة على شواطىء ولاية ماين تولِّد طاقة قدرها ٢٠٠ الف حصان من المدّ والجزر . والمعروف ان مشروعات مختلفة وضعت لتوليد الطاقة من المدّ والجزر عند مصبّي نهر تسين تاتع في الصين وسڤرن في انكلترا وعلى شواطىء بريتاني في فرنسا . ولكن المشروع الاميركي هو الوحيد الذي ينتظر اخراجهُ من حيّز القوة الى حيّز الفعل

وقد وضحت حديثاً طريقة جديدة لاستعمال طاقة مياه البحر . وهي في رأي العالم بايجر طريقة لها مستقبل باهر . ونريد بذلك طريقة الكهاوي الفرنسي كلود (Claude) وزميله بوشرو (Bouchereau) المبنية على استعمال الفرق بين حرارة سطح البحر في المناطق الاستوائية وحرارة مياهه في الاعماق التي تكاد تكون دائماً (٣٧ — ٣٩) درجة بميزان فارنهيت . ففي سنة ١٩١٣ اشار كبل الاميركي الى امكان الحصول على طاقة ميكانيكية او كهربائية من هذا الفرق الدائم بين حرارة مياه السطح وحرارة مياه الاعماق . وانقضت عشر سنوات فاذا رومانيولي ودورتج وبوجيا يشيرون اشارة كبل ذاتها . ولكن لم يتصدَّ لتحقيق هذه الفكرة الا كلود وبوشرو الفرنسيان . فقد اثبتا بالامتحان ان ترينا يتحرك ببخار يتراوح ضغطهُ بين ٣ ارطال و ٣٠٠ رطل على البوصة المربعة، يمكن تحريكهُ ببخار مائي متولد من طبقتين من المياه يختلف الفرق بين حرارتيهما من ٧٧ درجة بميزان فارنهيت الى ٤٤ درجة . ومبدأ هذه الطريقة يتلخص في ان جانباً من المياه السطحية الساخنة يتحول بخاراً اذا ضعف الضغط الجوي على سطحه وهذا البخار يشتغل في إدارة الترين مع ضعف ضغطه . ثم يؤخذ هذا البخار ويبرد بماء مستمد من الطبقة الباردة ويقذف في البحر . فيولد هذا التبريد الفراغ الجزئي المطلوب في الاناء الاول الذي يتحول فيه الماء الساخن بخاراً . ويؤخذ من حساباتهما ان طاقة قدرها ٣٨٣٠٠٠ قدم — رطل يمكن توليدها من متر مكعب من الماء اذا كان الفرق بين الماء الساخن والماء البارد نحو اربعين درجة بميزان فارنهيت . وذلك بعد استهلاك قدر من هذه الطاقة في رفع الماء من الاعماق الى مستوى الحوض الذي تستعمل فيه لتكثيف البخار بعد خروجه من الترين . فاذا كان حوض الماء البارد يتسع لخمسة وثلاثين الف متر مكعب فالآلة تستطيع ان تولد نحو ٤٠٠ كيلو وطس من الطاقة الكهربائية . وهذه الطاقة تفوق الطاقة التي تولد من جهاز المدّ والجزر (من الحجم نفسه) ٣٠ ضعفاً الى ٣٥ ضعفاً . وقد اثبتا مؤخراً امام طائفة من المهندسين ان فرقاً من الحرارة يبلغ ٣٨ درجة بميزان سنتراد يمكن استعمالهُ لتحريك مولد كهربائي يولد ٥٩ كيلو وط . ويؤخذ من حسابات بوشرو لنفقات جهاز من هذا القبيل ان اتقان هذه الوسيلة واستعمالها في نطاق الامكان العملي

لخصنا ما تقدم من محاضرة للدكتور غوستاف اوغلوف مدير قسم المباحث في شركة « يونيترسل اويل برودكتس كومباني » بشيكاغو وقد صدرت بها المجلة العلمية الشهرية ومن مقال نشر في مجلة البتنك اميركان . أما مصادر الطاقة الاخرى كالحطب والقوة العضلية في الانسان والحيوان والريح والفحم النيء والكحول وطاقة الشمس المباشرة وحرارة باطن الارض — فمقدار الطاقة المستخرجة منها يسير اذا قيس بما تقدم ولذلك أخرنا الكلام عليها الى عدد تالٍ

من شعر الاسابير

جنون الحياة

للشاعر المهندس علي محمود طه

في هذه الابيات حديث امرأة الى عذراء تمنت لو كانت شاعرة لتستأثر بقلب شاعر تمنع عليها فتمنت عليه وتمنت اغواءه بقوة الشعر ، وهي اسطورة شعرية من ملحمة البعث الاول تصف أهواء الزمان وتصور بني اسرائيل ليلة أحاطوا بالعجل الذهبي يرقصون ويغنون للذهب والانوثة على ضوء النيران :

نبا منطقُ الوحي في سمعهم ... وخفَّ عليهِ رنينُ الطربْ
ومدُّوا العيونَ الى دميةٍ ... تَمَثَّلُ في حيوانٍ عَجَبْ
ترامى بأحضانهِ غادةٌ ... أفادَ صباها شبوبَ اللهبْ
جنونُ الحياة وأهواؤها ... انوثتها وبريقُ الذَّهبْ ! !

***

فأين من القوم سحرُ البيانِ ... وصيحةُ موسى قبيلَ الوداعْ؟
همُ الناسُ لا يعشقون الحياةَ ... إذا لم يكنْ حافزاً للطماعْ
همُ الناسُ لا يعبدون الجمالَ ... إذا لم يكنْ نهزةَ للشعاعْ
همُ الناسُ لا يألفون الحياةَ ... إذا لم تكنْ مَسْرِضاً للخداعْ

***

تماثيلهُ بعضُ اجسامنا ... اذا صاغها العبقريُّ الصَّناعْ
ولوحاتهُ صُوَرُ العاريات ... إذا مَزَّقَ الفنُّ عنها القناعْ
أبالشعرِ تُغوينَ هذا الفتى ؟! ... وهمتِ إذنْ وجهلتِ الطباعْ !
أليستْ له صبوةُ الآدميِّ ... وشهوةُ تلك الذئابِ الجياعْ ؟!

اسرار الدماء (١)

للدكتور علي توفيق شريف باك

مدير معامل مصلحة الصحة العمومية

سادتي — كان الانسان قديماً ينظر الى الدم نظرة تقدير واحترام ، ولقد عرفت الاجناس الاولى في أبعد العصور ما للدم من الشأن الكبير في حياة الفرد ، فكثيراً ما شاهدوا كيف كان البطل يخر صريعاً اذا ما طعن بسهم عدوه ، وكيف كانت روحه تنسلل منه مع قطرات الدم التي تسيل من جرحه ، فاستنتجوا من ذلك ان الدم هو موطن الروح . بل هو موطن الحياة فلا عجب اذن ان كانت القرابين البشرية وليدة هذا الاعتقاد ، ولا عجب ان قد خيم بمرور الزمن وتعاقب الاجيال نسيج معقد من الخرافات حول الدم وأسراره . فالشعوب البدائية كانت تكتب ولا تزال تكتب معاهداتها بقطرات الدم . ومواثيق الاخاء في الحياة والموت كانت تمضي ولا تزال تمضى بينهم بعصير الدم

وطبيعي ان يكون لتلك المعتقدات الخرافية في الدم تأثير شديد في آراء العلماء الذين عاشوا في القرون الغابرة . اما الآن فنحن اكثر منهم علماً ، وقد كشفنا الغطاء عن الكثير من خفاياه ، ولكن حتى هذا اليوم الذي اخذ فيه فريق منا بدراسات عن الدم وأحواله ، والذي وصلنا فيها الى استجلاء الكثير من الحقائق عنهُ . حتى هذا اليوم يجب ان نرجع الى ضمائرنا ولنسألها : أليست تلك الاسرار التي استخلصها العقل البشري من دراساته وانتزعها من مشاهداته ، أليست تنطق بلغة هي اعظم وأوقع من تلك التي جادت بها قرائح الاولين حين ادخلوا الدم ضمن دائرة معبوداتهم الخرافية ، وحاكوا حوله خيوط الاعتقادات الوهمية

سفن الحياة

وليس الدم الا سائلاً يغذي الخلايا والاعضاء الداخلية في الجسم بالطعام الضروري لها . ولا يقتصر الامر على ان يحمل الدم الغذاء الى الخلايا . فكما ان الآلة البخارية لا تحتاج الى فحم للوقود فقط بل تحتاج ايضاً الى الاوكسجين كيما تتم عملية الاحتراق ، كذلك الحال في

(١) الجانب الاول من المحاضرة التفيسة التي القاها الدكتور شوقه بك في مؤتمر المجمع المصري للثقافة العلمية

الحنيه ، تلك الآلة الصغيرة في الجسم البشري وكريات الدم الحمراء — كما تعلمون — هي حاملة الاوكسجين وناقلة نسبة كبيرة في شبكة الاوعية الدموية فهي تأخذ شحنتها من الاوكسجين من الرئتين وتجري مندفعة في تيار قوي الى جلاله الجسم . تفرغ حمولتها هناك وتأخذ عوضاً عنها شحنة جديدة من حامض الكربون ، ثم تعود الى الرئتين حيث تستبدل به ثانية غاز الاوكسجين الثمين — فهي في معناها الحقيقي سفن الجسم الصغيرة التي تسير في شرايينه المملوءة بالمصل الدموي ، متنقلة من جهة الى اخرى ، تحمل من هذه بضاعتها وتفرغ في تلك حمولتها

والآن اتعلمون كيف يحمل الدم الغذاء للانسجة ؟ ذاك النظام الذي تعدد الاعضاء للامتصاص والهضم . قد تعرفون ان الكربوات والنشويات تذهب ذائبة تواً الى قنوات الدم وتخزن في الكبد، وقد تعلمون ايضاً ان الدهن ينقل بواسطة القنوات اللمفاوية الصغيرة الى المجرى اللمفي الكبير ومنهُ إلى تيار الدم . اما الزلال : أتدرون ما ذا يحدث لهُ ؟ المعروف ان المواد الزلالية تتحلل في الامعاء . والمعروف ايضاً انها تتركب ثانياً زلالاً بشرياً في جدار الأمعاء بواسطة احدى الخمائر . ولكن اين مصيرها ؟ اذا بحثنا في الدم الخارج من الامعاء لا نجد فيه هذه المواد الزلالية ولا مشتقاتها إذن كيف تصل الى الجسم . هناك مشاهدة قد تسر لنا ما خفي علينا . بعد تناول الطعام يزداد عدد كريات الدم البيضاء زيادة كبيرة في ذلك الجزء من الدم الخارج من الامعاء الى الكبد . بتلك المشاهدة أمكننا الوقوف على طريقة هضم المواد الزلالية على النسق الآتي :

هضم الزلال

يتحلل الزلال بواسطة الاعضاء الهضمية ثم تنزل كريات الدم البيضاء الى داثرة الامعاء وتلتقطه وتسبح ثانية الى الاعضاء الداخلية ، وهناك تحل بذاتها مقدمة نفسها وما تحمله من غذاء قرباناً الى تلك الاعضاء المفتقرة الى هذا الغذاء

كلكم يعلم من مشاهداته الخاصة ان الزلال انواع مختلفة : فزلال بيضة الدجاج يختلف منظراً ومذاقاً عن زلال بيضة الاوز . وكما يختلف البيض في نوعه يختلف الزلال ايضاً في نوعه . وليس كل زلال كثيره ، بل ان هناك اختلافاً كبيراً بين انواع الزلال في مختلف المواد ، فلحم الجمل مثلاً يختلف عن لحم الضأن وعن لحم الارنب ايضاً . وكذلك يختلف تركيب الزلال في اللحم عن زلال اللبن . وكل هذه الانواع من الزلاليات تختلف ايضاً عن زلاليات النبات

ومهمة الجسم هي تحليل هذه المواد الغريبة عنهُ وتحويلها الى زلال خصيص به ، خصيص بلحمه ودمه . وهو يقوم بهذه المهمة عن طريق عملية الهضم ، وهذه ليست اكثر من مجزئة انواع الزلاليات وحلها الى عناصر بسيطة اولية . ومتى تم ذلك ارسلتها الامعاء الى الدم . هناك

تلتقطها كريات الدم البيضاء ، وتقوم هي الاخرى بعملية تحويل تلك الاجزاء الاولية الى نوع جديد من الزلال خصيص بالجسم البشري ، ثم تضحي هذه الكريات بنفسها على مذبح الاعضاء والخلايا الداخلية ، فتتنزع كل واحدة من الخلايا لنفسها ما تحتاج اليه منها ، وتبنيه لنفسها — تبني نوع الزلال الخاص بها الذي يلائمها والذي يلائمها هي فقط

حقًّا انهُ لنظام عجيب وترتيب بديع ، لم يقنع الباحثون بكشفه بل اخذوا يقومون بتجارب شتى ، ليستوضحوا الطبيعة بعض الحقائق الاخرى ، واخذ الواحد منهم يسأل نفسه : ترى ماذا يحدث اذا اعطيت حيواناً زلالاً (وليكن آح الدجاج) لا على سبيل الطعام عن طريق الفم بل بحقنه يحقن بها رأساً في الدم ، هل يمكن الانتفاع بهذا الزلال والاستفادة منهُ ؟ ماذا يكون شأن الاعضاء حياله ؟ الجواب على ذلك ، هو انهُ اذا حقن آح البيض في دم الارنب فان اعراضاً شديدة من التسمم تظهر عليه مصحوبة بتشنجات ونوبات اختناق قد تودي بحياة هذا الحيوان. فلماذا يحدث هذا ؟ هذا طعام لا ضرر فيه اذا هو أخذ عن طريق الفم وهضم وتمثل يكون حميداً ومفيداً للبدن ، وهو هو نفسه اذا ارسل الى الاعضاء مباشرة دون تمثيله وحله وهضمه بواسطة الامعاء يكون سمًّا ميتاً

على انهُ في الامكان جعل الحيوان يعتاد تعاطي هذا السم من دون ان يؤذيه ، فانا اذا حقناه في المرة الاولى بمقدار صغير منهُ ، ثم حقناه ثانية بمقدار صغير آخر ، ثم بعد فترة بمقدار آخر ، يتزايد تدريجيًّا بطء ، فاننا نجد الارنب قد اعتاد السم واصبح حصيناً ضد تأثيره — واذا ذبح هذا الحيوان وجمع دمه وترك زمناً ليستقر ذلك الدم ، فاننا نجد مصله قد اكتسب خاصية عجيبة لا توجد في مصل حيوان آخر لم يحقن مثله : لاننا اذا اضفنا هذا المصل الى محلول من آح البيض وجدنا ان هذا المحلول اصبح عكراً وتكوَّنت فيه رواسب

وهذا يحدث فقط اذا استخدمنا آح الدجاج ، وبعبارة اخرى لا يحدث هذا التفاعل اذا استخدم زلال بيض الطيور الاخرى ، او اي محلول آخر من الزلاليات . واذا حقنَّا الارنب بزلال من لحم الحصان فان مصله لا يكدر ولا يرسب الاَّ زلال لحم الحصان . ولقد اجريت عدة تجارب باستعمال مختلف الانواع من الزلاليات وكانت النتيجة دائماً ان المصل لا يرسب الاَّ صنف الزلال الذي استعمل في تحضيره

وبهذه الطريقة اصبح من الممكن تعيين مصدر اي نوع من انواع الزلال او اصله ، وهي نتيجة ذات شأن عملي كبير . فعلم الكيمياء قد تركنا في هذه الحالة حيارى ، فلا هو بقادر على ان يعطينا بياناً عن تركيب المواد الزلالية ولا عن اسباب اختلافها ، كما ان التحليل الكيمائي قد عجز ايضاً عن ان يوضح لنا نوع الزلال الذي يوجد في اية مادة من المواد . ولكن هذا التفاعل

الحيوي بين يديه الآن وهو ينبئنا عن الكثير مما نفتقر اليه من هذه الناحية . فمثلاً اذا اردت ان تعرف هل يحتوي نوع من انواع المقانق (السجق) على لحم حصان ، فما علينا هنا الآن لفصل خلاصة مائية من هذه المقانق . ثم نضيف اليها مقداراً من مصل ارنب يكون قد حقن بخلاصة لحم الحصان . فاذا تعكر السائل وترسب ، دلَّ ذلك على ان المقانق تحتوي على لحم الحصان . وقد تمكن الاستاذ (أوهلهوت) واضع هذه التجربة من الاستدلال على غش بعض المواد الغذائية بلحم الخيول واحياناً بلحوم الكلاب والقطط

ولقد حقنت الارانب بأمصال دماء الحيوانات المختلفة ومصل دم الانسان وامكن الحصول على امصال من الارنب ترسب امصال الحيوانات التي استخدمت في حقنها . فمثلاً اذا اضيف مصل الارنب الذي حقن بمصل الانسان الى اي سائل يحتوي على مصل الانسان فان هذا السائل يترسب نساعته . وهذا التفاعل دقيق وحساس للغاية اذ انهُ يحدث مع اي خلاصة من اي عضو من أعضاء الجسم حتى ولو تقادم عليها العهد . ولقد ظهرت فائدة هذه التجربة في الجرائم . فاننا الى الآن لم نكن نستطيع ان نخبر المحقق بطريقة جازمة في الحالات المشتبه فيها بان بقع دم معيَّنة ليست بقع دم انسان . فاما عن الكيمياء فكان قد اخفق كل الاخفاق في هذه الناحية ، واما المجهر (الميكرسكوب) فان فائدته كانت قليلة وقاصرة على انارة الطريق في حالة الدم الحديث العهد وذلك بتمييزه بعض الاشكال المختلفة لكريات الدم في بعض الحيوانات كالانسان والطيور مثلاً ، ولكنهُ عاجز عن هذا التمييز في الدم الجاف القديم الذي تتعدم فيه تلك المميزات الشكلية للكريات

وهنا تظهر فائدة تلك التجربة الحيوية الناجحة التي بيناها والتي لا يمكن دحض نتائجها حتى ان المحاكم اليوم تبني احكامها في الحالات المشتبه فيها على نتائج هذه الاختبارات

انتساب الحيوانات

ولكن لا نلبث حتى نرى عثرة تعترض سبيلنا ، لان هذا التفاعل المصلي ليس مطلق النوعية بمعنى انهُ اذا حقن ارنب بمصل حصان ، فان مصل الارنب لا يرسب فقط مصل الحصان ، ولكنه يرسب ايضاً مصل الحمار . ومصل الارنب المحقون بمصل الثعلب يرسب مصل الثعلب والكلب ايضاً . وبديهي ان الحيوانات القريبة بعضها من بعض تعطي تفاعلاً مشتركاً بينها . ولقد امكن بواسطة هذه التجربة معرفة صلتها وقرابتها بعضها الى بعض ، لانه كلما كانت الصلة قريبة كان التفاعل شديداً . وقد تناول العلامة (ناتال) هذا الموضوع ، وبحث في درجة انتساب الحيوانات بعضها الى بعض فقام بتجارب على ٩٠٠ نوع من انواع الدم توصل بها الى معلومات قيمة عن تاريخ المملكة الحيوانية مما اثار اهتمام علماء الحيوان . فقد اثبت الصلة القريبة بين القط والضبع ،

وبين الكلب والذئب والثعلب وابن آوى . وأيد الرأي الشائع عن الصلة القريبة بين اللاما والطجين . وقد امكنه ايضاً أن يؤيد رأي علماء الحيوان عن وجود صلة بين الطيور والزواحف وان السلحفاة هي اقرب الزواحف الى الطيور . وان التماسيح بعيدة الصلة . ثم السحالي والحيات فتكاد تكون الصلة معدومة بينها وبين الطيور . وبالاختصار امكنه توضيح تطور مملكة الحيوان وتبديد الظلام الذي احاط بكثير من انواعها وفصائلها

***

وقد يدعونا هذا الى وضع ذلك السؤال الهام ، وخصوصاً لان الاجابة عنهُ قد تنا معرفتها وبهذا الوقوف عليها ، وهو : اذا حقن ارنب بمصل آدمي فأي نوع من انواع الدم يرسبه مصل الارنب . وهل يحدث ذلك في دم الانسان فقط . او ان هذا التفاعل يحدث في دم بعض الانواع الاخرى من المخلوقات . والتدليل على ذلك سهل ، والجواب واحد : وهو : ان مصل الارنب الذي حقن بمصل آدمي يرسب مصل الانسان ويرسب ايضاً مصل القردة الشبيهة بالانسان (الجيبون والاورانج اوتاج والغوريلا والشمبانزي) . اما القردة ذات الذيل الطويل فان التفاعل المصلي فيها ضعيف ، واما قرود الدنيا الجديدة كالليمور مثلاً فأمصالها لا ترسب بالمصل الآدمي بتاتاً . كذلك جميع المخلوقات الأخرى الحية . هذا هو الواقع الذي لا يتطرق اليه الشك

والآن ماذا نستخلص من تلك المشاهدة : نستخلص منها انهُ توجد هناك قرابة دم بين الانسان وبين القردة الشبيهة به . تلك القرابة التي تعترف بها الشعوب البدائية . والتي ينكرها ويرفض الاعتراف بها الرجل المتمدن على الرغم من تأييد علمي الحيوان والتشريح لها والتسليم بوجودها . لقد انكر بعض الناس منهم سنة التطور ، وسخروا بنظريات داروين التي تقول بتطور الانسان . رأى هؤلاء من الواجب عليهم ازدراء هذه التعاليم فأغمضوا عيونهم وصموا آذانهم عن الحقائق التي اظهرها داروين ولكن الطبيعة لا تحاجُّ . انها تنادي بأعلى صوتها : انهُ لكذلك . هناك قرابة في الدم بين القردة والانسان مهما انكرتم وتنكرتم . هي صلة دم لا اكثر ولا أقل . وهذا لا يعني اننا انحدرنا من القردة بل ان لنا وللقردة شجرة نسب واحدة يرجع تاريخها الى أقدم العصور ولهذه الشجرة جملة فروع . في اسفلها القردة وعلى قمتها الانسان . ان جواز احتمال صيرورة القرد انساناً قد زالت الى الابد من الوجود ، ولن تتاح الظروف لاي حيوان آخر ليمرَّ في ادوار التطور حتى يصبح في النهاية شبه انسان ، لان الاحوال التي وجدت في قديم الازل والتي ساعدت الانسان الاول على الوصول الى شكله الحالي لا توجد ولن تعود ، وحتى اذا وجدت فرضاً فانهُ لمستحيل ، اذ ان الانسان يسود الآن العالم ولا يحتمل وجود سيد آخر يشاركه في هذه السيادة

سادتي — ان العلم البشري جبار . ولكن نجح بلقاه في الكشف عن الحقائق يحرك اوتار شغفه للكشف عن حقائق اخرى

لقد رأيت كيف ان البرلانيات والامصال المختلفة اذا حقنت في حيوان من فصيلة اخرى أحدثت تغيرات في الدم . تغيرات يصنعها ذلك السائل الحي بنفسه

الآن يبدو لهذا العقل ان يسأل ما هي التغيرات التي تحدث في الدم اذا ادخلنا عليه بدلاً من سوائل الزلال خلايا مشكلة

فلنفرض اننا حقنا الحصان بدم الثور اي بخلايا دمه الحمراء واخذنا قليلاً من دم الحصان المحقون وتركناه ليتجمد حتى ينفصل مصله من الجلط الدموية . اذا أضفنا هذا المصل الى دم الثور في انبوب الاختبار وجدنا انهُ يذيبهُ ويحله . واذا حقناه في الثور مات هذا الحيوان لوقته . لأن كريات دمه الحمراء تكون قد ذابت وانحلت بتأثير هذا المصل . يموت الثور لان دمه فقد تلك السفن الصغيرة التي تشحن وتفرغ الاوكسجين وحامض الكربون . ان هذا الحيوان المسكين يلوث عبثاً في طلب الهواء . قد يدخل الهواء الى رئتيه ولكن الاوكسجين الذي به لا يجد تلك السفن التي تحمله الى مرافىء الجسم . هنا تنتفخ خياشيم الحيوان ويتأوه من حشرجة الموت . وفي دقائق معدودات يفارق الحياة الى الابد

خذ احد الطيور كالبط مثلاً ، واحقنه بدم اي حيوان آخر ، وليكن كلباً ، فان عشر نقط فقط من مصل انبطة المحقونة تكفي لقتل كلب قتلي . صحة وعافية في لمح البصر . كل هذه التجارب تشير الى ما يحدث عند دخول خلايا من نسيج احد الحيوانات في حيوان آخر ، ولكن ماذا يحدث اذا دخلت في الدورة الدموية كائنات حية من ذات الخلية الواحدة كالميكروبات مثلاً

الجسم ودفاع الرمم

قد يذكر بعض حضراتكم من الذين استمعوا الى محاضرتي في هذا المجمع الموقر سنة ١٩٣١ عن الوقاية الطبيعية للجسم او كما اسميتها وقتئذٍ المعركة اليومية في الجسم البشري ، تفاصيل ذلك القتال الذي قام بين الميكروب وبين الجسم وكيفية انتصار الاخير على خصمه بفضل ما اعده من وسائل الكفاح وخاصة بفضل حماته الابطال ، ألا وهي البلعمات . ولكن منازلة الميكروبات ليست دائماً سهلة وقتالها قد يكون احياناً متعباً ومضنياً فان هؤلاء الشياطين هم محاربون غادرون ويحملون معهم سلاحاً قويًّا هو سمومهم الزعافة التي ينفثونها في الجسم لتحدث حتى ولو كانت بالقدر القليل اضراراً بليغة . ورأينا في المعركة كيف كان الجسم يرسل الى ميدان القتال جنوده الابطال وكيف كانت تلك الجنود تبيد عدوها اللدود ولكن ماذا تصنع تلك الجنود مع عدو مهاجم اكتسح

ارض المملكة وأعمل فيها التخريب والتدمير . لا بل عن اكثر من ذلك . فقد سمم موارد طعامها وشرابها بسمومه التي نثرها فيها وغمرها بها ، ما العمل . . . قبل ان تتابع هذه المنحة الجديدة بجدر بنا ان نسأل انفسنا هذا السؤال الآتي : —

ماذا يحدث اذا دخل اي سم في الجسم . الجواب عن ذلك هو ان الجسم يبذل اقصى ما في وسعه لطرد هذا السم من دمه ، فهو يستخدم لذلك اعضاءه الخصيصة لهذا العمل وهي الكلى والامعاء وغدد العرق

هذا هو السبيل الذي يتبعه الجسم في التخلص من سموم الميكروبات ولو انهُ طريق صار به اذ انهُ يعرض تلك الاعضاء للتلف بدليل ما نراه كثيراً من اصابة الكلى في الامراض المعدية ولكن تلك الجهود التي يواجهها الجسم لطرد هذه السموم تذهب في أغلب الاحيان سدًى ، لانها سموم معقدة التركيب من الناحية الكيميائية، خصوصاً وانهُ لم يألفها ولم يكن لهُ بها سابق معرفة

ومع ذلك فنحن نرى ان كثيراً من تلك الامراض القسمية قد تبرأ من تلقاء نفسها بفضل نظام الجسم وحسن اتقانه ، بمعنى انهُ تمكن في النهاية من التخلص من السموم التي دخلت فيه وغمرت نواحيه فكيف كان ذلك

نحن نعلم الآن انهُ في مثل هذه الحالة تتغير اخلاط البدن تغيراً حيويًّا ، وانهُ يتشكل هناك ترياق يبطل مفعول سموم البكتريا فيجعلها غير ضارة . وان مصدر هذا الترياق هو الدم بنفسه

ولقد قام « بهرنج » بعمل تجارب على الخيول فحقن عدداً منها ببطء وبالتدريج بسم الدفتريا فوجد بعد زمن ان الخيول قد اعتادت تأثير هذا السم ، واصبحت تحمل منهُ مقادير كبيرة بدون اي ضرر ، ووجد انهُ اذا أخذ دماء هذه الحيوانات المحقونة وتركها لتجمد ونزع منها المصل فانهُ يحصل على ذلك الترياق في هذا المصل . وهذا الترياق او بعبارة اخرى المصل الشافي لهُ خواص عجيبة فانهُ اذا حقنت به حيوانات اخرى يحصنها ويقيها ضد تأثير السم ، واذا اضيف الى السم فانهُ يشل عمله ، بل الامر اكثر من ذلك فان الحيوانات المريضة يمكن شفاؤها بمعالجتها بهذا المصل

ها قد رأيتم الآن كيف يدافع الجسم عن نفسه ضد سموم البكتريا ، ولا اخفي عليكم ان ما ابديتهُ لكم الآن لا يعتبر بياناً شاملاً عن تفاصيل هذا النظام البديع الذي يتمتع به الجسم البشري في مكافحة الميكروبات وفي التغلب عليها . اذ ان تفاصيل ذلك الموضوع وما توصل اليهِ البحث العميق من حقائق علمية وعملية اكثر مما تقتضيهِ مني هذه المحاضرة

الجانب الثاني من المحاضرة يتناول موضوع : فرق الدم واثبات الابوة

تقدم علم النفس

في مائة عام

تطوُّر البحث فيه

— ١ —

في مائة عام

لمحمد مظهر سعيد

أستاذ علم النفس بمعهد التربية وكلية أصول الدين

يقول الناس : أن علم النفس علم قديم ، نشأ مع الفلسفة في أقدم عصورها — من عهد افلاطون ، بل وقبل افلاطون — وسار معها في كل ميادينها كالتابع الامين ، لا يحيد عن اسلوبها وطريقها النظري في البحث ، قيد شعرة فلم تكن هناك مجارب واسعة ، ولا معامل معدة بمختلف الاجهزة ، ولا اختبارات مقننة ، ولا احصاءات ومشاهدات مضبوطة منظمة . ومع تحرج نواحي بحثه الخاصة به — أو بعبارة أدق ، بحوث بعض الفلاسفة التي تناولوها عرضاً ، ضمن ما بحثوا فيه — عن رأيين او ثلاثة : — تتناول النفس البشرية ، وأقسامها القديمة الثلاثة عند اليونان ، او الخمسة عند الفارابي وفلاسفة المسلمين ، الذين نقلوا عن اليونان . ثم الملكات العقلية الخاصة كالذاكرة والخيال ، وأخيراً الصلة بين وظائف العقل والبدن

على ان الدارس المحص الذي يتتبع تاريخ المباحث النفسية وتطورها ، لا يسعهُ الآن يقرر انهُ لم يكن هناك ، في اي عصر من العصور ، شيء منظم مرتب ، يصح ان يطلق عليه اسم (علم النفس) . وكل ما هناك آراء متفرقة لافراد من الفلاسفة ، وعدة ملاحظات فردية ، لبعض الباحثين في العقل البشري . ولكن ما كاد القرن التاسع عشر ينتصف حتى استطاع المفكرون ان يتحرروا من نير الفلسفة ، وقواعدها واساليبها النظرية في البحث . فخطا البحث خطوات واسعة ، هي في الواقع طفرة سريعة وثابة ، لا يعدلها شيء في تاريخ العلوم الاخرى . وتنوعت

مناحي البحث فيه ، حتى شملت كل شيء يمت للعقل بصلة . واتجه الباحثون بالضرورة اتجاهات متعددة متناقضة بعض الشيء ، وكوّنوا لانفسهم مذاهب ومدارس . وازداد التطاحن في سبيل البحث عن الحقيقة حتى صار علم النفس مسرحاً لمعارك ، دونها حروب التاريخ . على ان هذا كله كان من شأنه ان يحدد موضوعات البحث ، وينظم اسلوبه ، ويربط اجزاءه المتناثرة ، حتى تجمع من ذلك علم مرتب منظم ، له أساس علمي متين

ونستطيع ان نقول ، ان ما تمّ في كل عام من الاعوام المائة الاخيرة ، من التطور ، يفوق كل ما تقدمه في القرون السابقة المتعاقبة ، حتى ان الباحث ليكفيه ان يدرس تاريخ علم النفس في القرن الاخير لا غير

وسنحاول ان نستعرض في هذه العجالة ، اهم المدارس والمذاهب التي ظهرت في هذه الفترة وقد فصلها وبسطها الاستاذ فولجل في كتابه النفس ، الذي ظهر أخيراً باسم (علم النفس في مائة عام) ولم يترك فيه زيادة لمستزيد . ويمكننا ان نقسم التطورات التي ألمّت بعلم النفس في المائة السنة الاخيرة الى ثلاثة أدوار

﴿ الدور الاول ﴾ : يبدأ من سنة ١٨٣٣ الى سنة ١٨٦٠ ، ويتميز بوجود تيارين متضادين يسودان ميدان علم النفس . فمن حيث طبيعة العقل البشري ، نجد فريقاً من العلماء ، ينظرون الى العقل نظرة آلية بحتة ، كما لو كان آلة ميكانيكية ، ليس لها شعور أو ارادة ، ولا تصرف خارج عن طبيعة تكوين مخه المادي . وفريق آخر يرى العقل كائناً حيّاً ، عاملاً متصرفاً لا يقف نشاطه عند حد . وكذلك نجد للعمليات العقلية ذاتها ووظائفها تفسيرين متضادين : الأول يفترض وجود ملكات عقلية كل منها تعمل مستقلة عن غيرها الى حدّ ما . وتكون قوية على وجه العموم عند شخص ما وضعيفة جداً عند الشخص الآخر . فالشخص الذي وهبهُ الله ملكة الذاكرة مثلاً يكون سريع الحفظ سريع التذكر ، يذكر كل ما وقع تحت حسه من الحوادث الماضية في اي وقت يشاء وبأقل مجهود ممكن . ثم ان كل ملكة من هذه الملكات قابلة للتحسن بالتمرين حتى تصل الى حد الكمال . فحفظ الشعر مثلاً يقوي الذاكرة على وجه العموم ، حتى يصبح صاحبها قوياً في تذكر الامور الاخرى غير الشعر . وهذا المذهب — مذهب الملكات العقلية — من أقدم الامور التي اعتقد العلماء في صحتها من ايام افلاطون ، الى ان اثبتت التجارب في اوائل القرن الحاضر بالبرهان القاطع فساده وبطلانه . ثم المدرسة الاخرى التي تفسر العمليات العقلية على اساس تداعي المعاني بقوانينه القديمة المعروفة : — وهي الاقتران الزماني والمكاني والتشابه والتضاد ونجد كل فريق من العلماء ينحو في بحثه منحىً خاصاً ، ويفرض لتعليل اسس علم النفس والحياة العقلية فروضاً غريبة . فمدرسة هربارت وبراون وستيوارت مل وبنيكا وضعت فكرة الكيمياء

العقلية ، التي تعتبر العقل معملاً يخرج الافكار كما تخرج الاملاح من تفاعل المواد الكيميائية . وخطا بورز بعلم النراسة خطوات جريئة لتحديد شكل عقلية خاصة مركزاً في الجهاز العصبي وجعل بين Bain كل همه في جمع التفاصيل بصرف النظر عن التفسير . وتفوق عظيم المتر على أثر علماء الفزيولوجيا ، الذين جعلوا علم النفس علماً عضوياً بحتاً كعلم وظائف الاعضاء . فتوصل من دراسته الواسعة للاحساس البصري والسمعي الى مذهب « الطاقات » التي تقوم بها الاعصاب الحسية . وخطا فبر Weber ، وفخنر Fechner خطوة اخرى جريئة فاكسبا علم النفس صبغة فيزيقية ترمي الى تحديد العلاقة الجوهرية بين العقل والبدن

﴿ الدور الثاني ﴾ من ١٨٦٠ — ١٩٠٠ يتميز هذا الدور بظهور ثلاثة ازواج من الآراء والمذاهب المتعارضة . فهناك نجد النظرية النظامية Systematic التي تحاول ان تخلق انظمة على مثال النظم الفلسفية ترد اليها كل الظواهر العقلية ومدارها في البحث ، النظر الفلسفي العقلي . وتقابلها النظرية التجريبية Experimental التي كان لنشط وانجهاوس وبنر Wundt, Ebbinghaus, Muller الفضل الاكبر في ابرازها . وان كانت جهودهم في اول الامر موجهة الى الاهتمام بتجارب الادراك الحسي والتداعي والانفعال والذاكرة . وفي الناحية الثانية نجد رأي صللي وفولكمان Sully, Volkmann الذين ترسموا بين وهربارت في أن المدار في دراسة العمليات العقلية يجب ان يكون على المحتوي Contentual . ويقابلها الرأي الفعلي او الواقعي Actual الذي اخذ برنتانو وانصاره من اتباع المدرسة النمساوية مثل أيرنفلس وميتونج Ehrenfels, Meinong ، ثم الاساتذة الاعلام جيمس ووارد وستاوت ونيس وهوفونج وكولب . فهؤلاء يقولون بأن دراسة العملية العقلية يجب ان تكون موجهة للعملية ذاتها أو العقل الحادث وطريقة حدوثه بصرف النظر عن المحتويات او العناصر التي تشملها العملية

واخيراً نجد مدرسة جالتون الانجليزي تهتم بدراسة الافراد والفوارق الفردية وتستعين بالاحصاء والدراسات الفردية والتجارب العملية فتؤسس مدرسة علم النفس الافرادي Individualistic التي استقرت في امريكا وانتشرت على يد كاتل Cattell وتقابلها المدرسة الاخرى التي تدرس العقل على وجه العموم عند بني الانسان بصرف النظر عن الفوارق الفردية وتسمى المدرسة العامة General

ومن المدارس القديمة التي استمرت في هذا الدور المدرسة الفزيولوجية ممثلة في بحوث بروكا وفرنيك وجوتز Broca, Wernick, Gotz عن تحديد الوظائف المخية ، وجاكسون وشرنجتون Sherrington عن الافعال المنعكسة وافعالها . ثم اخيراً في بحوث بافلف Pavlov الروسي عن الافعال المنعكسة الشرطية او المعدلة او المحوّلة

وخطا علم النفس على وجه العموم خطوة اخرى واسعة المدى وامتدت بحوثه الى ميادين الطفل والحيوان وعلوم الانسان والاجتماع

﴿ الدور الثالث ﴾ من سنة ١٩٠٠ ، ظهرت في هذا الدور مدارس ومذاهب متعددة وقف بعضها أزاء بعض كالدويلات المتعادية كل منها تشن الغارة على حدود ما يجاورها ليتسع سلطانها بما تضمه اليها من املاك الغير . فهناك خمس نزعات جديدة متناقضة

ففي الناحية الاولى نجد المدرسة التركيبية Structural وعلى رأسها تتشنر Titchner تحاول ان تعرف ما هو العقل وما تركيبه ، وطبيعة عملياته وتعارضها المدرسة الوظيفية Functional وعلى رأسها ديوى وانجل وجدد Dewey, Angell, Judd وهذه تبحث في الغرض من وجود العقل وفائدته وما ترمي اليه كل وظيفة من وظائفه . فالاولى تبحث عن السبب والثانية تقنع بالنتيجة . ومن الناحية الثانية نجد مدرسة التداعي او الاصولية Elementarism القديمة ويقابلها المدرسة التشكيلية أو الجشتالت Configuration, Gestalt التي تحاول هدم المدارس القديمة وهي مدرسة المانية أسسها فرتهايمر وكهلر وكوفكا Wertheimer, Köhler, Koffka . وتلخص آراؤها في ان المواقف العقلية يجب ان تدرس بالجملة لا موقفاً موقفاً ، وبالتركيب لا بالتحليل ، كما هي كائنة جملة على اعتبار كل منها شيئاً واحداً ، لا يتجزأ ، وليست مكونة من وحدات حسية أو ذرات Atoms فالاولى تفصل وتحلل بالاجزاء والثانية تجمع وتحلل بالكليات . وقد خطت هذه المدرسة في السنوات الاخيرة خطىً واسعة سريعة فعالة وعززت آراءها بتجارب واسعة النطاق قامت بها في صبر وأناة ودقة تمحيص ، مما يجعلنا نعتقد انها ستسود الميدان وترد كل الآراء المتنافرة الى حقيقة واحدة . وقد اكتسبت قوة فوق قوتها بالمذهب الجديد الذي وضعهُ سبيرمان زعيم علماء النفس الانجليز ورسم له قوانين ثلاثة هي في علم النفس كقوانين الجاذبية وتسمى Noo-genetic Laws وهذا المذهب لا يحلل الظواهر العقلية الى ذرات وفروض وانما الى خواصها ، الملاحظة بالفعل ، والعلاقات القائمة بين اجزائها

ومن الناحية الثالثة نجد مدرسة السلوكيين التي لا شأن لها بالامور العقلية ، لانها تجد كل حلولها في الحركات البدنية التي تصدر عن البدن والجهاز العصبي ، من دون الحاجة الى افتراض عقل ، له وظائف اخرى غير البدن ، وبمجال آخر لايخضع لقوانين الحياة المادية . وقد نشأت هذه المدرسة اولاً لتعارض مدرسة التأمل الباطني Introspectionism التي تستمد كل تفاسيرها من تأمل الاشخاص لذاتهم وما يدور في عقولهم وتسجيل ملحوظاتهم عنها . ونادت هذه المدرسة بالشك في عملية التأمل الباطن لانها خفية وخاضعة لعوامل شخصية متباينة ولا يمكن ان توصلنا الى حقائق عامة بطريقة عملية ، ثم لانصرافها لدراسة الحيوان الذي يستحيل عليه ان يتأمل تأملاً

باطلية وهو ان فعل فعلا فلا يستطيع ان يجدها عفواً . وما دامت كل الظواهر العقلية الموجودة عند الانسان موجودة بذاتها عند الحيوان فلا حاجة بهم الى استبدال فروض اخرى لتعليل الحياة العقلية خارجة عن دائرة الحيوان وكأنهم بهذا قد جعلوا الانسان حيواناً خاصاً لجهاز نفسي لا يقوم باكثر من عدة افعال منعكسة اكثرها بسيطة أو معقدة فتصبح غرائز . وبلغ من تضامن هاتين المدرستين ان هدمت إحداهما الاخرى

ومن الناحية الرابعة نجد المدرسة الآلية Mechanistic التي نشأت أصلاً كثورة على علم النفس القديم الذي يصور العقل البشري كشيء لا وجود لهُ الاَّ ليشبع رغباته وتعارضها مدرسة ما كدوجل Mc Dougall الغرضية او الهورمية Purposive, Hormic التي أحيت المذهب الذي نادى به افلاطون قال ان الله خلق كل شيء كائن حي يسعى لغرض يدركه وقد كشفت هيئة المدرسة ما كان غامضاً في بحث الغرائز والاستعدادات والسلوك الانساني واكتسحت كل ما أمامها في زمن قصير

وأخيراً نجد مدرسة الشعور Consciousness التي تعنى بدراسة اليقظة والشعور الكامل ، وتنظر الى كل الظواهر الاخرى التي تصدر عن الانسان في حالة النوم والاحلام والشذوذ والاضطراب كعمليات عابثة لا قيمة لها ، وان كل العمليات العقلية الهامة تصدر في اثناء الشعور فدراستها تهاون بدراسة الشعور ذاته . وتعارضها المدرسة الحديثة مدرسة اللاشعور Unconscious التي جرت بخطى واسعة وقامت بالمعجزات في تعليل كل الظواهر العقلية الغريبة ، تعليلاً صحيحاً معقولاً ، ومعالجة كل الاضطرابات العصبية وحالات الامراض العقلية التي كان الطب الى عهد قريب يعجز عن مداواتها . واصبح لطريقة التحليل النفساني Psycho-Analysis مقام محترم حتى صرنا نقول ان الشاذ هو الطريق لدراسة العادي واللاشعور هو مفتاح الشعور

واخيراً ظهرت في الميدان امور جليلة الخطر عظيمة الشأن توجت جهود علماء النفس ، وأقبل عليها الناس من كل حدب حتى صارت مرضاً عالمياً لا غنى لكل بلد ناهض من الاخذ بأسبابه . وعلى رأسها اختبارات الذكاء والتوجيه المهني والعيادات السيكولوجية لتقويم السلوك ومعالجة الشذوذ

وقد يخيل الى القارىء العادي غير المتصل بعلم النفس او الدارس لفروعه وأصوله المتتبع لتطوراته الملم بكل جديد فيه ، ان هذه الفوضى لا يمكن أن تخلق علماً محترماً ، وان علم النفس كما حدثني الكثير ممن لا يعرفون — لا يزال شيئاً نظريًّا يتطاير في الهواء . وهذا في الحق وهمٌ باطل . لان هذه الجهود الجبارة هي في ذاتها دليل على بقائه لانه صالح للبقاء ، وعلى رقيه وسيره للامام نحو الكمال بخطى واسعة ليس لها مثيل في تاريخ العلم . لان الباحثين فيه رجال علماء اخصاء مختصون لعلمهم متفردون فرسانهم ، يتطاحنون ويتعاركون كل بوسيلته وطريقته

للوصول الى الحقيقة المدفونة ، ولا مصلحة لاحدهم في ان يستبد برأيه بالباطل . ولذلك تجدهم اكثر اتمام تسليماً بالحق اذا قام الدليل عليه . ويكفي ان يعرف القارىء ان الامم المتمدينة جميعها تتعاون معاً على القيام ببحث واحد يوصل الى حقيقة ما . وقد وحدوا كلمتهم وجمعوا امرهم وهذه مجلاتهم العلمية التي لا عدد لها وجمعياتهم العلمية تلخص في كل عام اهم البحوث التي اجريت فيه وتذكر كل ما يهم الانسان الاطلاع عليه في مجلدات خاصة ، بحيث يتسنى للدارس ان يلم فيه بكل شيء ، بطريقة منظمة لا مثيل لها في اي علم آخر . وها قد انجلت المعركة اخيراً عن موت مدارس كثيرة الى حيث لا رجعة . وقد دفنا في العام الماضي مذهب الملكات العقلية وفي هذا العام مدرسة المذكين والتداعي . والغلبة الآن للجشتالت وعلم النفس التجريبي واللاشعور . ويحق لنا معشر المشتغلين بهذا العلم ان نغتبط كل الاغتباط بما وصلنا اليه . ويكفينا فخراً اننا الآن نذأب على تحسين الانتاج في كل ناحية من نواحي النشاط النفسي . ونظن انشاء الله بأن نخلق من بني الانسان جنساً اقرب الى الكمال

— ٢ —

تطور البحث في علم السيكولوجيا

لعفيف عبد الوهاب

حلقة السيكولوجيا بجامعة بيروت الاميركية

نشأ علم السيكولوجيا كبحث فلسفي وطرقهُ علماء كثيرون اشهرهم ارسطو الذي وضع رسالته « في النفس » وقال ان النفس كناية عن مجموعة حوافز حيوانية وقوى عقلية مستقلة عن تلك وتختلف عنها كثيراً في وظائفها . فالعوامل العقلية ترشد المرء الى الصواب ومعرفة الحقيقة اما الحوافز فتقوده الى الامور المادية الدنيوية المنحطة . وقد عمت هذه الفكرة فلسفة العصور الوسطى شأن تعاليم ارسطو كلها وصبغت بصبغة دينية ، فالروح تأمر بنواميس آلهية سماوية أما الجسد ففاسد لا علاقة له بالروح

بعد هذه الفترة المظلمة بزغت اشعة النهضة العلمية فبرهن العلامة جاليليو ان معظم القوى الطبيعية تسير بدافع الحركة وقوة الاستمرار الذاتي واستعمل هارفي بعض هذه القوانين لشرح الدورة الدموية وفكر ديكارت تقليداً لهذين العالمين ان يأخذ نفس هذه الاسس لشرح تصرفات الانسان والحيوان العقلية . ونظريته في ذلك انهُ عند ما يضغط شيء خارجي على عصب حساس من الجسم يدفع هذا الضغط سائلاً من العصب الحساس الى الدماغ ومن الدماغ

الى العصب الصمّاخ او العصل . وقال ان الروح مركزها في الدماغ وان لها ميزة التدخل في العوامل الداخلة اليه والخارجة منهُ

ثم جاء هُبز فقبل نظرية ديكارت وزاد عليها بقوله أن هذه الحركة التي تبتدىء بضغط خارجي على الاعصاب وتنتهي بحركة في العضلات تنتج بقوة استمرارها الذاتي الذكريات والآراء والتخيلات. وكان قد عزى ديكارت هذه الحالات العقلية الى الغدة الصنوبرية الموجودة بين شقتي الدماغ

وفي اوائل القرن التاسع عشر انتشر المبدأ الارتباطي Association وقد شرح اتباع هذا المبدأ التذكارات والانتقالات الفكرية بطريقة التسلسل او التداعي . ومثال ذلك انك ترى شخصاً لابساً قبعة من شكل معين فتتذكر صديقاً لك كان يرتدي قبعة من النوع نفسه فرؤيتك للقبعة كانت مدعاة لتذكر صديقك لما كان بين القبعة والصديق من رابطة كائنة وعلاقة متينة

وفي اوائل هذا القرن ايضاً تقدم علم الكيمياء تقدماً محسوساً وكان لطريقته التحليلية أثرها الظاهر في تفكير العلماء في ذلك الوقت . واصبح علماء السيكولوجيا ذوي نظرات تحليلية . واخصهم بالذكر اتباع المبدأ الارتباطي فانهم اخذوا يقسمون المسائل التي يعالجونها الى اجزائها الاولية ويحاولون ان يعرفوا كيفية تركيبها والنواميس التي تتبع في هذا التركيب . وعلى اثر هذا التطور شاع التعريف القائل من أن السيكولوجيا هي الكيمياء العقلية نظراً للتقارب بين اساليب العلمين التحليلية

وفي عام ١٨٧٩ اسس العلامة فنط Wundt أول مختبر لعلم السيكولوجيا كفرع من مختبره الفسيولوجي لما بين العلمين من تقارب في معضلاتهما كالذاكرة والادراك وتأسيس هذا المختبر جاء خطوة جريئة للقضاء على طريقة البحث القديمة المبنية على الذاكرة والاختبار البسيط ، اذ أصبح البحث السيكولوجي يرتكز على الطرق العلمية البحتة

في هذا الوقت كانت نظرية داروين في النشوء والارتقاء تنتشر بسرعة زائدة . وما لبثت ان ظهرت تأثيرها في مباحث علماء السيكولوجيا عن التطور العقلي في الفرد وفي الجنس ، وبلغ تأثير الوراثة والمحيط فيه ، وعن نفسية الحيوان ونفسية الطفل ، وعن الفروق بين الافراد والشعوب وقس على ذلك من الابحاث العميقة المبنية على كل من علمي الحياة والاحصاء

ثم ان تقدم علم الشذوذ العقلي Psychiatry وانقسام علمائه الى فئتين هذه ترى اسباب الشذوذ في خلل دماغي كمرض او جرح في الدماغ نفسه ، وتلك تراها في جوّ عقلي نفساني لا علاقة لهُ بمادة الدماغ ، فتح باباً آخر للدرس والبحث

ومجمل القول هو ان جميع هذه التأثرات من مختلف العلوم قد اضفت الصلة الوثيقة ما بين السيكولوجيا والفلسفة وربطتها ربطاً محكماً بالعلوم الطبيعية ، وأصبح علماء السيكولوجيا في اواخر القرن التاسع عشر زمرة صغيرة العدد تتقدم في طرقها العلمية تقدماً مطرداً . وعلى الرغم من انها

حاولت درس السيكولوجي درساً موضوعيًّا مجرداً Objective فقد حددت منطقة درسها بالوعي واعتمدت في تحديدها هذا طريقة التأمل الباطني Introspection

هذه حالة السيكولوجيا عندما قامت مدارسنا الحديثة لتثور ضدها وتحرر لنا من اعتقاداتها وطرقها القديمة

قامت مدرسة السلوكيين Behaviorism اولى هذه المدارس ثائرة على طريقة التأمل الباطني وعلى تحديد السيكولوجيا كعلم يبحث في الوعي وأكد اصحابها أن الوعي لا يمكن درسه بطريقة علمية مجردة قائمة على الاستقراء والتجربة ولذلك فهو ليس بكفوء لان يبنى عليه علم ثابت الاركان بل يجب ان تقتصر السيكولوجيا على درس تصرفات المرء وسلوكه درساً موضوعيًّا كأنهُ مظهر من مظاهر الطبيعة لا غير وبحيث يستطاع مراقبة اعماله بواسطة التجارب والملاحظة الدقيقة

ثم قامت مدرسة التحليل النفسي Psycho-Analysis فقالت ان علم السيكولوجيا يجب ان لا يقتصر على الوعي فحسب بل يجب ان يتعداه الى درس العقل الباطن Inbeuncions ويعتقد اتباع هذه المدرسة أن هناك ظواهر نفسانية لا يمكن درسها بالطريقة العلمية المجردة التي احتطها السلوكيون لانفسهم وقاموا بتجارب واساليب مرتكزة على الاستبطاء الذاتي . وقد كان الدافع الاهم لقيام هذه المدرسة الابحاث التي قام بها فرويد Freud وادلر Adler في معالجتهما للشذوذ النفساني اذ اثبتا اهمية الحياة الباطنية في سلوك الفرد

ثم قامت المدرسة النائية Hormic مناقضة لما ادعتهُ مدرسة السلوكيين من أن تصرف الانسان هو سلسلة متصلة بعضها ببعض اتصالاً ميكانيكيًّا محضاً مؤكدة أن وراء التصرف البشري دافع نحو غاية مثلى توحد مظاهر الحياة وتجعل لها معنى

واخيراً ظهر في مستهل القرن العشرين زمرة من علماء الالمان في جامعة فرنكفورت بمدرسة جديدة دعيت فيما بعد بالمدرسة الشكلية Gestalt . وقد قامت كثورة فكرية على الاساليب التي اتبعها الارتباطيون وعلى رأسهم ثنط . وانكرت هذه المدرسة الطريقة التحليلية المحضة قائلة انهُ مهما تفننا في دراسة الاتصالات النفسية والتجارب العقلية فاننا لن نصل الى معرفة كنهها اذا لم نعتبرها جميعاً « كشكل انموذجي » . ويعتقد الشكليون مؤلاء أن هذه الاشكال هي وحدات تامة يدركها العقل ادراكاً فطريًّا لا اجزاء صغيرة تجتمع فتركب وحدة كما كان يظن اصحاب المدارس الفكرية القديمة . وقد ثارت هذه المدرسة على تعاليم السلوكيين ايضاً واجرت تجارب علمية كان لها الوقع العظيم عند علماء النفس واشهرها تجارب كولر Köhler في ذكاء القرود وورتيمر Wertheimer في الحركة والحجم

هذه كلمة عامة ذكرنا بها التطورات التي طرأت على السيكولوجيا وعسى ان يكون لنا في المستقبل متسع من الوقت ندرس فيه بعض هذه المدارس الحديثة بشيء من الاسهاب

الساميّة

في مؤتمر ثقافات البحر المتوسط بموناكو

بيانه جاستون زنانيري

مع مقدمة وتعليق لفليكس فارس

في أول نوفمبر من العام المنصرم عُقد في موناكو مؤتمرٌ دولي لدراسة الثقافات القديمة التي نشأت في البلدان المحيطة بالبحر الابيض المتوسط ، وكان المجمع الذي دعا الى عقد هذا المؤتمر يحصر مهمتهُ من قبل في درس الآداب اللاتينية غير ملتفت الى الآداب الساميّة التي أثارت العالم من الشواطىء الآسيوية . واذا ما علمنا أن القائمين بهذا المجمع هم امثال بول فاليري وهانوتو ودانونزيو ادركنا مكانتهُ في عالم الادب اللاتيني

غير ان الانظار اتجهت مؤخراً الى الحركة الادبية في البلاد العربية فدعي الى المؤتمر الاستاذ جاستون زنانيري عن مصر والاستاذ شارل قرم عن لبنان وسوريا ، وهكذا لقي هذين الاديبين بمعارفهما الواسعة واقتدارهما باللغة الفرنسية ان يمثلا ثقافة البلاد العربية في اللجنة التي خصت لدرس الآداب السامية في الشرق الادنى وان يسمعا صوتهما في المؤتمر العام

لقد ذكرت الجرائد اليومية انعقاد هذا المؤتمر ولم تقف على وصف ما دار فيه من ابحاث وتناولت البيان الذي قدمه الاستاذ زنانيري بتحليل موجز ، وقد تمنيت جريدة المقطم الغراء لو يترجم هذا البيان الى اللغة العربية لينشر في مجلة علمية ، فرأيت ان انزل عند رغبتها ، فترجمت البيان وهو كما سيرى القراء موضوع بالاسلوب العلمي الموجز الدقيق ويتضمن من المطالب ما يفتح مجالاً وسيعاً لاقلام المفكرين في هذا الشرق العربي الذي يمثل لاول مرة بثقافته السامية في مؤتمر جلُّ اعضائه من الباحثين بالحضارة الغربية المتخلين بما في بلادنا من فطرة ومؤهلات

إن بيان الاستاذ زنانيري يتضمن من المبادىء ما يصح ان يبنى عليه دستور النهضة التي يتطلع اليها ابناء الاقطار الممتدة من الشرق بالبحر المتوسط على اختلاف مذاهبهم لانه اذا كان لكل من هذه المذاهب (قانون ايمانه) يأخذ به الوجدان في العقيدة الدينية فاننا نرى في الوحدة الروحية التي صدع بها الاستاذ زنانيري اعداء الساميّة (قانون ايمان واحد) للعقيدة المدنية التي يتفق الجميع عليها لاقامة حضارة يستعيدون فيها مجدهم الغابر ومقامهم الاعلى بين الشعوب

بيان عن الساسية

١ — الساسية

المبدأ — إنّ الساسية أو بالاحرى نهضة ثقافتها ، إنما هي مبدأ يتخذ قوّة العقيدة في الزمن الذي تتجه الافكار فيه نحو مسألة السلالات . غير أنّ السلالة الساسية لم تسلم من الاختلاط ، لذلك لا يصح أن ينظر الى المبدأ الساسي كقضية ترمو على وحدة الجنس بل على وحدة إجتماعية وروحية . وإذا ما اعتُبرت الساسية على هذا الوجه فانها لتعدو قضية السلالة المفروضة التي تقوم أساساً على اعتبارات المميّزات البدنية

الوحدانية — ان قاعدة الساسية إنما هي الوحدانية ، أي الاعتقاد بالقوة الازلية الأبدية ، بالجوهر الاكمل المحجوب المتعالي على كل وصف وتحديد ، بالمبدأ الغير المتناهي ، الواحد الاحد الواحد الصمد الذي لا يتجزأ ، وهو مصدر الكائنات ومرجعها ، واعتبار هذه القوّة ناموساً لنظام الكون وشريعةً ادبية عامة للناس اجمعين . فعلى اليهودية والمسيحية والاسلامية ، إذاً ، يجب أن تقوم النهضة الساسية ، فتجمع الوحدانية الكامنة فيها بين شعوبها التي سادها التقاطع من مناحيها الاجتماعية لا من مناحيها الفكرية وتقاليدها وثقافتها

الوحدة الاجتماعية — تتكون الساسية من مجموع عوامل ليس من السهل ان يفصل بينها وهذه العوامل هي

(الموقع) — نشأت الساسية من أتحاد الشعوب التي جاءت من مختلف الجهات فنزلت في جزيرة العرب وفلسطين وسوريا ووادي الفرات والنيل والشواطىء الشرقية للبحر المتوسط وشواطىء البحر الاحمر

(الثقافة) — إنّ الثقافة والتوحيد الساميين أوجدا التقاليد المنطبقة عليهما فأصبحا غرائز فكرية في من قطن هذه البلدان من شعوب ارتقت في ظل اليهودية والاسلامية كما ارتقت في ظل النصرانية الشرقية التي تتولى البطريركيات فيها الفصل في الاحوال الشخصية

(اللغة) — إنّ للعبرية والسريانية طابعاً واحداً ، وهنالك لغات أخرى لها هذا الطابع نفسه وقد قصر استعمالها في الرتب الدينية كالسريانية والآشورية والكلدانية

(الفلسفة) — لقد تعاون العرب واليهود تعاوناً وثيقاً على مدى الاحقاب في البحوث الفلسفية مما ادى الى انتشار الثقافة الساسية في اوربا بل والى صدور تآليف يتجلّى الإلهام الشرقي فيها

(التاريخ) — ان الممالك الساسية ازدهرت في بلدان البحر المتوسط في الشرق الادنى وكانت الجهود مشتركة في تاريخ الشرق بين اليهود والنصارى والمسلمين وجميعهم ينتمون بنسب الى الساسية

(عامل عام) — وتضاف الى هذه العوامل الجامعة الروحية الخاصة بالساسية ، وهي بصفاء مبادئها الادبية تتجاوز الوحدات الاجتماعية الى الوحدة الانسانية بعقيدتها بالوحدانية وبايمانها وتقاليدها وثقافتها وفكرتها الاساسية بالوحدة الشاملة وتلك عوامل تفوّق ولا ريب على سائر المبادىء التي تسود البشرية

للسامية بُعدٌ مظهرها من حيث الواقع ومظهرها من حيث الشمول

السامية من حيث الواقع — اما وقد نشأت السامية من عوامل الموقع والثقافة واللغة والفلسفة والتاريخ ، فقد وجب أن تنشر على اساس صحيح من المبادىء الجديدة بين الامم التي ظهرت ما بين النيل والفرات. فان الحضارات القديمة : المصرية والبابلية والفينيقية والاسرائيلية انما تجلّت بين هذين الحدّين حيث نشأت السامية الاصلية القديمة فانتشرت أولاً بين القبائل الرُحّل متأثرة بالنظام الواقع الذي أخذه المجتمع عن نظام الاسرة المقدس وعن حرمة القبائل واكرامها للضيف

السامية من حيث الشمول — اما وقد ظهرت السامية ملهمة بالمبادىء الأدبية العالية فقد وجب ان تشمل الانسانية كلها . ان القوى الخفية تخلق فوق الشعوب فترفع مستواهم وتسمو بعواطفهم وافكارهم ، فهي الهادية للناس اجمعين لانها تجتاز تخوم الاوطان وتتشى مع التقاليد سائدة بمبدإ ثابت لا يتغير ، هو مبدأ الإخاء الروحي

٢ — عداء السامية

لهذا العداء ثلاثة مظاهر ١ — العداء للسامية باعتباره موجهاً ضدّ اليهود . ٢ — العداء للسامية باعتباره عداء للشرق موجهاً ضد السامية

إذا كان يبدو لنا في الواقع ان الساميين من غير اليهود لم يستهدفوا للمعارضة في ممالك الغرب كما استهدف اليهود انفسهم ، وان الحكومات المعادية للسامية لم تضطهد سوى اليهود دون العرب والمصريين والسوريين والفلسطينيين والعراقيين والاحباش وسواهم ، فما كان ذلك الاّ لان اكثرية هذه الشعوب لم تبرح مواطنها ولهذا السبب يتجلى عداء السامية في العالم في مظهر الاضطهاد لليهود . ان هذه القوة التي يتحها الغرب بينهُ وبين الشرق على ما فيهِ من مختلف المذاهب انما هو الدليل على ما تضمره بعض ممالك اوربا واميركا نحو الشعوب التي تمت بأصلها الى السامية واجلى ما يتمثل شعور الغرب فيهِ نحوها ما نراه من اعتقاده بتفوقهِ عليها بالقوة الفكرية

٣ — العداء للسامية باعتباره مقاومة لافكار الساميين والهامهم : ان قوة السامية ترسو على مبادىء الآداب التي لم يحتفظ بها اليهود في تشتتهم فحسب ، بل احتفظ بها ايضاً المسلمون في مراحل انتشار الاسلامية كما احتفظ بها النصارى في تقاليدهم السامية او بأخذهم بروح الكتب المنزلة في حياتهم ، وما هذه الكتب الاّ الركن المكين للسامية . وعلى هذه الاعتبارات يصبح العداء للسامية منطوياً على تهديد للآداب التي نشأت من الاطام الساميّ

٣ — الثقافة السامية

إن الثقافة السامية التي اجتاحت العالم صادرة عن بغداد والقاهرة وقرطبة انما كانت مزيجاً من الثقافتين العربية والعبرانية فكانت تحمل طابع السامية والفلسفة اليونانية . وكان المتفوقون

من ناشريها يعرفون العربية والعبرانية ومنهم العرب المسلمون والعرب المسيحيون واليهود

وقد تجلت هذه الحركة الفكرية بخاصة في اسبانيا واكس وايطاليا . وهكذا فان الحضارة السامية العربية واليهودية سادت التفكير الآري في اوربا. فذلك لا بدّ هذه الثقافة المزدوجة التي عززت الحضارة الاوربية مثل هذه الحوافز من أن تبعث مجدداً حاملة الفكرة السامية فتخلق نهضة في مناحي التفكير . على انه يلوح لنا ان ليس هذه النهضة ان تبلغ الازدهار ما لم تضم الى مبادئها الساميّة الصرفة التفكير الذي استلهمه اليونان الاولون ، كفلسفة فيثاغورس وأفلاطون التي تجلت فيها بعد في تفكير فيلون والقديس اوغوسطينوس وكمبادىء ارسطاطاليس التي تجلت في تفكير ابن رشد والفارابي وابن اسبيد ، وتتشرب ايضاً مبادىء المتجلين في عصر اليونان وعصر الرومان ، وما هي الاّ المبادىء التي اتسمت بها ثقافة بلدان البحر المتوسط فتجلت في فلسفة ابكتيتوس وماركوس اورليوس وآباء الكنيسة الاولين . وأن التفكير الساميّ ، بعد ان مرّ بحضارة يونانية لاتينية نشأت في الاصل من الآرية ، انتشر في اوربا داعماً الحضارة الغربية التي ارتقت على اساسيْ الساميّة الصافية والآرية المرتقية . ان ثقافة تستلهم مثل هذه المبادىء يمكنها ان تسود الافكار لتدفع بها الى اتجاه جديد

٤ — الآداب السامية

لا يقوم الدين الاّ بالآداب ، ويتوقف انتشاره على سهولة الاخذ بها ، لذلك انتشرت الآداب السامية بسرعة في العالم ملتية الى المجتمع بالمبادىء العامة التي تقوم الانسانية عليها . وإن مبدأ النهضة السامية لا يتجه الى الحط من مقام عقيدة تجاه عقيدة اخرى اذ ليس هنالك سوى ثلاثة مبادئ منحدرة من آداب واحدة فعلى اليهودية والنصرانية والاسلامية ان تعمل عملها الاخلاقي لتسيم الحضارة السامية ناشرة على العالم المتداعي حيوية تواتما المتجددة . وهل يمتنع على هذه الشعوب التي نشأت بينها ثلاثة اديان سامية ان تواجه بنظرة واحدة طلائع مستقبل يشملهم جميعاً بوحدته . إن الدين شعور كامن في النفس متشرب بالآداب يسود جميع الافكار ايّاً كان مذهبها ، وما يقوم الدين على السنن والبراهين اللاهوتية أكثر من قيامه على ما يصلح الحياة في المجتمع . لذلك وجب ان يرسو على التفكير الادبي لتنظيم الحياة نفسها

ان ما تناولناه من السامية في بحثنا هذا انما هو القواعد التي يجب ان ينشأ منها ارتقاء الآداب والتفكير بصرف النظر عن اي اعتبار ديني من حيث المذاهب . أنما الدين عقيدةٌ في النفس يجب الاحتفاظ بها والحرص عليها لانها واجب الانسان تجاه نفسه وتجاه المرجع الذي صدر عنهُ ، فالدين دعوة من اعماق الوجدان يهيب بالناس الى معرفة انفسهم والاعتراف بالاخاء الانساني العام

يحلل في العدد القادم : تعليق فيلكس فارس على الموضوع

المحايد الصغير

The Neutrino

دقيقة مرت مرور الاشباح

في عالم الطبيعة الحديث

لو عهد الى عالم في جمع « وصايا العلم العشر » او « قواعده العشر » لجعل ناموس حفظ الطاقة احداها . فكان الطبيعة حصرت في حدود هذا الناموس القائل بأن الطاقة لا تُخلَق ولا تتلاشى وانما هي تتحول . فالطاقة هي حرباء العلم لكثرة الالوان المختلفة التي تلبسها . فهي آناً حرارة وآناً ضوء وآناً حركة . انها مخزونة خزناً كيميائيًّا في الطعام الذي نأكلهُ ، والهواء الذي نتنفسهُ ، والفحم الذي نحرقهُ . انها تبعث التيارات في اسلاك البرق وتقرع الاسماع في المذياع . فهي كامنة في المادة على اختلاف اشكالها لان العلم الحديث قد بين لنا ان الكتلة والطاقة انما هما شكلان مختلفان لشيء واحد . ولكن ليكن الشكل الذي تفرغ فيها ما كان فانها تبقى هي هي : القدرة او الطاقة على العمل

فالسائق عند ما يسوق سيارتهُ ، تتحول الطاقة الكيميائية في البنزين الى طاقة حرارة ثم الى حركة ، فتتحرك الاسطوانات والعجلات . فاذا وقف السائق اطاعة لاشارة الشرطي تحولت طاقة السيارة المتحركة ، وهي طاقة حركة ، الى حرارة تظهر في فرامل السيارة وفي اطارات العجلات وعلى الارض التي تدرج فوقها . ولا يخفى ان طاقة الاشعاع المنطلقة من الشمس يخزن بعضها في النبات بطريقة التركيب الضوئي ثم نأكل هذا النبات فتتحول هذه الطاقة المخزونة ، نشاطاً عضليًّا في عضلاتنا ونشاطاً عقليًّا في ادمغتنا

ولعلَّ بنيامين طمسن المعروف باسم كونت رمفرد ، كان اول عالم ، ادرك التساوي بين مقادير الطاقة في خلال تحولها من شكل الى آخر . فقد كان في احد الايام يراقب صنع مدفع فلاحظ ان نحاس المدفع يحمو في خلال ثقره ويبقى حامياً ما زال الثقر مستمرًّا ، فجرب التجارب باداة غير معتنة لقياس مقدار الحرارة (محرار Calorimeter) فوجد ان طاقة الحركة تتحوَّل الى مقدار يقابلها من طاقة الحرارة . وتلت ذلك تجارب كثيرة ومتنوعة افضت في اواسط القرن التاسع عشر الى التسليم بصحة ناموس حفظ الطاقة اي انها لا تُخلَق ولا تتلاشى وانما هي تتحول

الا أن علماء هذا العصر لا يستطيعون ان يجزموا بصحة ناموس حفظ الطاقة . كما كانوا يجزم بها اسلافهم لان دراسة الذرات قد اسفرت عن احوال لا تصح فيها طائفة من البراهين والنظريات التي كان مقطوعاً بصحتها . فكأن الذرة قد تمردت عليها ، ومن جملة ما تمردت عليه ناموس حفظ الطاقة . والى القارىء البيان

هنالك طائفة من العناصر غير مستقرة التركيب تتحول من تلقاء نفسها الى عناصر اخف منها واكثر استقراراً . واشهر هذه العناصر الاورانيوم والثوريوم والراديوم . ولا يعلم على وجه من الضبط الباعث على هذا التحول الذاتي . ولكن يقال ان لهُ صلة ، بحالة توازن القوى داخل نواة الذرة ، لان نوى الذرات في العناصر الثقيلة ، تحتوي على عدد كبير من الكهارب والبروتونات حتى ليسهل احداث تقلقل في القوى التي تربط بينها وتؤلف منها نواة الذرة . فاذا حدث هذا التقلقل حاولت الذرة ان تستعيد توازنها باطلاق دقيقة صغيرة وهذه الدقائق هي ، دقائق الفا ودقائق بيتا واشعة غما . ومما اثبتهُ البحث ان نواة واحدة تستطيع ان تطلق دقيقة الفا او دقيقة بيتا ولكنها لا تستطيع ان تطلق الدقيقتين في آنٍ واحد . اما اشعة غما فقد تصحب هذه الدقيقة او تلك

واذا تتبع القارىء اقوال العلماء تبين سلسلة التحولات التي تطرأ على نواة عنصر من العناصر المشعة قبل ان تبلغ درجة الاستقرار . فراديوم (A) يطلق دقيقة الفا فيتحول الى عنصر جديد هو راديوم (B) ولكن هذا الراديوم غير مستقر فيطلق من تلقاء نفسه دقيقة بيتا وهي الكترون او كهرب فيتحول الى راديوم (C) . هذا العنصر اي راديوم (C) غريب الاطوار ، فمعظم ذراته تطلق دقائق بيتا (اي كهارب) فيتحول الى راديوم ($C^{'}$) والباقي من ذراته يطلق دقائق الفا ويتحول الى راديوم ($C^{''}$) . ثم ان راديوم ($C^{'}$) يطلق دقيقة الفا وراديوم ($C^{''}$) يطلق دقيقة بيتا فيتحول كلاهما الى احد نظائر isotopes الرصاص وهو عنصر مستقر

وهنالك نوع آخر من الدقائق التي تنطلق من العناصر ، وهو الكهارب الموجبة (بوزيترونات) ولكن هذه الدقائق لا تنطلق الا من العناصر التي حملت على الاشعاع حملاً ، اي جعلت مشعة بالصناعة Artificially radio-active (راجع مقالنا في صدر عدد مقتطف مارس ١٩٣٦) على ان هذا النوع من الاشعاع لا صلة لهُ بموضوع هذا المقال ولذلك نكتفي بالاشارة اليه فقط

ومعلوم ان ذرات عنصر من العناصر متشابهة ، فهي جميعاً تحتوي عدداً واحداً من الكهارب في منطقة حول النواة . وهي جميعاً تحتوي على عدد واحد من البروتونات والكهارب في النواة . ولكل منها صفة خاصة من صفات الطاقة . لذلك اذا فقدت نواة احدى هذه الذرات دقيقة الفا ، او دقيقة بيتا ، تحولت الى نواة ذرة اخرى لها صفة اخرى خاصة من صفات الطاقة . فكل تحول في ذرة العنصر يصحبهُ فقد قدر معين من الطاقة

وقد تفسَّر هذه الخسارة في الطاقة بأساليب مختلفة. فأولاً ان كتلة الدقيقة التي قذفت الى الخارج تعدل قدراً كبيراً من الطاقة المكامنة. ثم ان سرعة الدقيقة المقذوفة تمثل قدراً من طاقة الحركة. فاذا كان مجموع الطاقة من كتلة الدقيقة وطاقة حركتها لا يعدل ما فقدتهُ الذرة من الطاقة، عمل حساب لانطلاق شعاعة من اشعة غمَّا مع الدقيقة المقذوفة فتعادل الكفتان. اما طاقة شعاعة غمَّا فتختلف باختلاف طول موجتها وهذا يسهل عمل الحساب بها في أحوال مختلفة.

كلُّ هذا يمهِّد لنا السبيل لوصف المشكلة الناشئة عن تمرُّد الذرة على ناموس حفظ الطاقة. لنفرض أننا أخذنا نواتي ذرتين من عنصر واحد. انهما متشابهتان في كل وصف من اوصافهما. ولنفرض أن كلاً من الذرتين اطلقت دقيقة مثل الدقيقة التي تطلقها الاخرى، فتتحوَّلان الى نواتي ذرتين من عنصر آخر، واذن يجب ان يكون مقدار ما تخسرهُ كل منهما من الطاقة واحداً.

ولكن الواقع ان هذا يصحُّ اذا كانت الدقيقة التي تطلقها كلٌّ منهما دقيقة الفا. اما اذا كانت الدقيقة التي تطلقها كلٌّ منهما دقيقة (بيتا) اي الكترون فعندئذٍ قد يتساوى ما تخسرانهِ من الطاقة وقد لا يتساوى، اي ان النواة في هذه الحالة تمردت على ناموس حفظ الطاقة.

ولكن كيف يمكننا ان نتثبت من صحة هذا القول؟ بالبرهان التجريبي والتصوير الضوئي وعلماء الطبيعة قد ابتدعوا تجارب بارعة البراعة كلها، دقيقة الى أبعد حدود الدقة، اثبتت لهم ان دقائق بيتا اي الكهارب المنطلقة من نوى ذرات عنصر واحد، تختلف سرعة وطاقة في انطلاقها. فلماذا تقذف النوى بكهارب مختلفة السرعة. وماذا يحدث للطاقة الفائضة عن كهرب يسير بسرعة أبطأ من سرعة كهرب آخر؟ هذه هي الاسئلة التي تحير العلماء الآن، فاذا كان هذا المقدار من الطاقة — الفرق بين كهرب سريع وآخر بطيء — يفنى غير تارك أثراً، فناموس حفظ الطاقة من لغو الكلام. ولذلك سعى العلماء، قبل التسليم هذا التسليم المطلق بخطإ هذا الناموس، الى ابتداع اعذار واساليب لتفسيرما يقع. ولعلَّ ابحث هذه الاساليب على الغاية، ضمَّ دقيقة جديدة الى اسرة الدقائق الذرية sub-atomic تعرف باسم النوترينو Neutrino اي المحايد الصغير وهي مصغر نوترون Neutron (المحايد)

الاَّ ان المحايد الصغير — اذا صح وجوده — يكره الاجتماع ويبعد عن اخوانه في الاسرة الذرية، وقد امتنع حتى الآن عن الظهور، بل قد خابت جميع المساعي التي بذلت لاقتناء أثره فاذا ثبت وجوده، كان رحمةً من القدر للمؤمنين بناموس حفظ الطاقة والمدافعين عنها

والى القارىء خلاصة هذه النظرية الجديدة: من مقتضيات نظرية اينشتين ان الطاقة والكتلة وجهان مختلفان لشيء واحد. فانطلاق كهرب (دقيقة بيتا) من نواةٍ ما بسرعة اقلَّ من سرعة كهرب آخر منطلق من نواة اخرى من العنصر نفسه، يعني أن الطاقة التي وقعت على

قذف الاول اقل من الطاقة التي وقفت على قذف صنوه . ولكن النواتين متشابهتان في كل دقيقة من دقائق التركيب . وادن في النواة الاولى مقدار فائض من الطاقة يستعمل في قذف الكهرب فاذا حدث لهُ ؟ ان التجارب الدقيقة والاساليب العلمية البديعة لم توفّق الى كشف اي اثر لهُ . فاذا لم يفسَّر ذلك وجب القول بانهُ تلاشى من دون ان يترك اثراً وهذا مناقض لناموس حفظ الطاقة

ولكن اذا قلنا ان النواة تطلق في الحالة الاولى مع الكهرب، دقيقة صغيرة جداً ، تعدل في كتلتها وسرعتها، مقدار الطاقة الضائع امكن تفسير ما يقع . هذه الدقيقة الصغيرة المفروضة فرضاً هي النوترينو او المحايد الصغير . ولكن دقيقة من هذا القبيل يجب ان يكون تبيُّنها مستطاعاً في مجال مخطط اذا كانت ذات شحنة كهربائية . وقد جرّبت التجارب لتبيُّن المحايد الصغير بهذا الاسلوب فاخفقت . فنرض انها لا تحمل شحنة كهربائية اي انها كالنوترون (المحايد) . ولكن النترون يمكن تبيُّنهُ لان كتلتهُ تكفي لذلك وهذا المحايد الصغير لم يستطع تبيّنهُ لانهُ اذا كان ذا كتلة ، فهو اصغر من ان يظهر بالاساليب المستعملة في تبيُّن شقيقه الاكبر

ولذلك ترى العلماء قد فرضوا ان (النوترينو) ليس لهُ كتلة ما وهو في حالة الاستقرار

قد يبدو هذا القول غريباً او بالحري مستحيلاً اذ كيف تكون هذه الوحدة الذرية من دون كتلة ؟ والواقع ان الفوتون (النوّر) وهو دقيقة الضوء ليس لهُ كتلة ، ولكن لهُ طاقة ويمكن ان يتحوّل الى كتلة احياناً اذ لا يخفى ان هناك ناموساً علميًّا ، وهو انهُ اذا زادت سرعة الجسم زادت كتلتهُ . وهذه الزيادة يسيرة جداً في حركة عادية حتى يتعذر تبيّنها . فالقطار السائر بسرعة خمسين ميلاً في الساعة لا تزيد كتلتهُ وهو سائر بهذه السرعة عن كتلته وهو مستقرٌّ الاَّ جزءاً يسيراً من الاوقية . ولكن اذا زادت سرعة الجسم المتحرك حتى تقارب سرعة الضوء (١٨٦٠٠٠ ميل في الثانية) زادت كتلتهُ كذلك زيادة ظاهرة . وهذه الدقائق المنطلقة من النوى تنطلق بسرعة عظيمة لا يفوقها في العالم المادي الاَّ سرعة الضوء . لذلك قيل اذا كان النوترينو مستقرًّا ، كان لا كتلة لهُ ، ولكن اذا انقذف بسرعة تبلغ ١٠٠ الف ميل في الثانية ، اصبح لهُ كتلة يسيرة ، ولكنها كافية لفرضنا هذا . ولما كانت سرعة دقائق بيتا (الكوارب) مختلفة باختلاف الذرة التي تنطلق منها ، وجب كذلك ان تختلف سرعة « المحايد الصغير » باختلاف الكهرب الذي تسمهُ فهما صاحبان يتمم احدهما ما في الآخر من نقص

لم يفز احد من العلماء حتى الآن باستنباط اسلوب من التجربة على وجه كافٍ من الدقة لتبيُّن المحايد الصغير مع ان الاستاذ بينبردج (هارفرد) قد اقام دليلاً غير مباشر على وجوده . وقد اقترحت نظريات اخرى غير نظرية « المحايد الصغير » لتفسير هذه المشكلة ؛ ولكن الاستاذ هرفتن الاميركي يقول في البنتفك اميركان ان التفسير الوافي لا يزال حتى الآن في طيّات المستقبل

ادوار الفلسفة الثلاثة

ومميزات كل منها

للمطران الخوري

كل امة قامت على وجه المعمور منذ فجر التاريخ الى الآن اشتغل مفكروها بشيء من ابحاث الفلسفة بقدر ما اتاحت لهم عقولهم ومداركهم . ولا غرو فان مسائل الحياة الكلية كالوجود والعدم والخلود والفناء والتغير والاستحالة والصيرورة وغيرها من امور الحياة الهامة لا يمتنع ان تفوت مدارك قوم مهما كانت درجة تلك المدارك من الرقي او الانحطاط

غير ان فلسفة الاقدمين اذا استثنينا منها فلسفة اليونان كان يخالطها الشيء الكثير من الخرافات والاوهام وسخافة الاعتقادات ولهذا فلم يطلق عليها اسم الفلسفة بمعناها الصحيح ولا ابقى التاريخ على شيء منها جدير بان تتناقله الاجيال . اما الفلسفة اليونانية فقد قدّر لها منذ اول نشأتها طائفة من جبابرة العقول او سلسلة طويلة من عظام المفكرين رفعوا شأنها واعلوا منارها وجعلوا منها علماً واسماً مستقلاً انتشر بسرعة غريبة في سائر اقطار العالم المتمدن . ولم يكتفوا بان وضعوا اسس الفلسفة فحسب بل انهم رفعوا بنيانها باذخاً ووطدوا اركانها فمختلف الآراء الصحيحة فلم يدعوا باباً من ابواب الفلسفة لم يعالجوه ولا غادروا مبحثاً من مباحثها لم يخوضوا عبابه وهذا كبيرهم ارسطاطاليس لايزال مرجعاً سامياً في كافة ابحاث الفلسفة الى يومنا هذا . وقد مرت الفلسفة منذ نشأتها الاولى على ادوار ثلاثة لكل منها مميزات خاصة تميزه عن سواه وسنتوخى في هذا المقال ذكر اهمها لضيق المجال

— ١ —

الدور الاول

﴿ او الدور القديم وهو دور الفلسفة اليونانية ﴾ قد تقدم انهُ لم يعرف لاي شعب آخر فلسفة صحيحة خالصة مستقلة غير امة اليونان . وكان اول مؤسسي هذه الفلسفة طاليس وهو

الذي ابتدأ بالكسوف الذي حدث في الثامن والعشرين من شهر آيار (مايو) سنة ٥٨٥ ق . م . وقد انقسمت الفلسفة اليونانية منذ اول عهدها الى فرق او مدارس شتى عرفت بأسماء مؤسسيها او الاماكن التي نشأت فيها فهنالك المدرسة الفيثاغورية نسبة الى مؤسسها فيثاغورس المولود في جزيرة ساموس في آخر القرن السادس . والمدرسة الايونية نسبة الى منشإها في مقاطعة ايونيا على الشاطىء الغربي من آسيا الصغرى . والمدرسة الايلياثية نسبةً الى مدينة ايلياء . وهنالك المدرسة الافلاطونية والمثالية والرواقية ومدرسة السفسطائيين والافلاطونية الجديدة وغيرها . اما مميزات هذا الدور فهي :

اولاً : طلب الحقيقة الواحدة المطلقة المستترة وراء ما لا يحصى من مختلف الظواهر والصور والاشكال . وهذه المزية وان كانت لم تنفرد بها الفلسفة اليونانية الاَّ انها من مبتكرات العقل اليوناني ولم يكن لها في الدورين الاخيرين ما كان لها عند فلاسفة اليونان من الخطورة والشأن

وان من يطلع على المناقشات الدقيقة التي دارت بهذا الصدد بين المدرسة الايونية وهي مدرسة التحول والصيرورة والمدرسة الايلياثية مدرسة الثبوت يعلم شيئاً من الخطورة التي كانت لهذه المسألة في الدور القديم ولا يجهل مطلع على ابحاث الفلسفة ما كان لمسألة الوحدة من الشأن العظيم في جميع ادوار الفلسفة

ثانياً : احتقار المادة وكل شيء مادي من شأنه ان يعوق النفس عن تطلب الكمال الانساني . ان جميع مدارس الفلسفة اليونانية اذا استثنينا منها مدرسة ديمقراط وابيقور اللتين كانتا من النوع المادي البحت أجمعت على تحقير المادة واعتبارها مفسدة للاخلاق وحائلاً كبيراً يعترض النفس في طريقها الى الفضائل والصلاح واوضح ما يكون ذلك في تعريف افلاطون للمادة حيث يقول :

المادة هي الشيء الذي لا صورة لهُ ولا شبه صورة بل هو اشبه الاشياء بالعدم لا قيمة لهُ ولا فائدة منهُ سوى انهُ يتكيف وفقاً لارادة العقل تنفذ فيه النفس رغائبها وميولها . ولا يخفى ان هذا النظر الفلسفي القديم في اعتبار المادة هو غير النظر الديني او الفلسفي الديني الذي كان لها في الدور الثاني . فالاول فلسفي محض غايتهُ ترقية النفس الى ان تبلغ ذروة الكمال الانساني . والثاني ديني مبني على احتقار المادة وقتل كل ميل اليها تطهيراً للنفس من ادران المادة واعداداً لها لنيل الحياة الابدية

ثالثاً : الصبغة العقلية الغالبة في الفلسفة اليونانية على الصبغة الحسية المادية . كانت فلسفة اليونان في اول امرها فلسفة مادية محضة فقد كان الكون عندهم ما تألف من العناصر الاربعة المعروفة فلم يكن معلوماً لديهم شيء من قبيل العنصر الروحي او العقلي . واستمرَّ ذلك شأن الفلسفة الى ان قام انكساغوراس فقال بوجود عنصر او قوة فائقة خفية متسلطة على المادة اسماها العقل وقال ان هذا العنصر العقلي يختلف جوهراً وماهية عن عناصر المادة وغير قابل الامتزاج بها

وانهُ مدبر هذه الكائنات وموجد النظامات الطبيعية الشاملة . وذهب افلاطون الى ان الوجود الحقيقي انما هو للعقل وما عالم المادة الاَّ تابع لا شأن لهُ وبهذا ما جعل افلاطون في نظر المتأخرين مؤسس المذهب العقلي التصوري — (Idealism) ومثل ذلك نرى في اقوال سقراط وارسطاطاليس وبارمنيدس وانبدوكليس وارواقيين . ومما هو جدير بالذكر ان اهل البحث وطلاب المعرفة في الدور القديم طلبوا المعرفة لذاتها لا ليجعلوها واسطة لاغراض ومقاصد اخرى كما كان الحال في العصور التالية . كما انهم طلبوا الفضيلة حبًّا بها لا لتستخدم في شؤون ومنافع مادية كما جعلها ابناء الاجيال اللاحقة خصوصاً في عصرنا الحاضر

— ٢ —

الدور الثاني

﴿ دور الفلسفة اللاهوتية او المدرسية ﴾ وقد عرف اصحاب هذه الفلسفة بالمدرسيين لان معظمهم كانوا يشتغلون بصناعة التدريس في جهات مختلفة . نشأت هذه الفلسفة ونمت مع انتشار الدين المسيحي في ممالك الغرب في عهد التمدن الروماني وقد كان منشأها كما يعلم الباحثون لغاية واحدة هي الدفع عن تعاليم الديانة المسيحية وعقائدها . ذلك انهُ على اثر انتشار الدين المسيحي في بلاد الغرب قام اعداء الدين الجديد من فلاسفة الوثنية يحاربون ذلك الدين ويحاولون خنق مبادئه وتعاليمه في المهد فكانوا يدسون في اذهان الملأ ان تلك التعاليم لا تنطبق في شيء على احكام العقل وانها تناقض كل المناقضة مبادىء الفلسفة التي وضعها فلاسفة اليونان . وقد اوَّلوا بعض آراء تلك الفلسفة تأويلاً يوافق اهواءهم واغراضهم . لذلك خوفاً على اركان الدين ان تتزعزع وعلى العقول ان تتسرب اليها سموم تلك المفاسد هبَّ آباء الكنيسة (المدرسيّون) لصد هجمات الخصوم ودحض مفترياتهم وكان لا بدَّ لهم في ذلك من محاربة الخصوم بمثل اسلحتهم من مبادىء الفلسفة اليونانية ذاتها . لذلك عمدوا الى وضع آراء ومذاهب جديدة في الفلسفة معتمدين فيها على الغالب آراء افلاطون وارسطاطاليس بنوع خاص . ولولا ذلك لما عنى الآباء بوضع فلسفة طبيعية خاصة لهم . اما مزايا هذا الدور فأهمها اثنتان : الاولى ان فلسفة هذا الدور هي في الدرجة الاولى فلسفة روحية . وقد كان الدين العامل الاول في توجيه الافكار الى الامور الروحية غير ان وصايا الدين وحدها لم تكن كافية لاقناع الجماهير واستمالتهم الى سبيل الصلاح فقبل ان نستطيع ان نحيا الحياة الروحية يقتضي ان نفهم اولاً ماهية الروح وجوهرها فالمعرفة يجب دائماً ان تسبق العمل وتبعث عليه وبدون المعرفة الصحيحة لا يصدق العمل . وهذا

ما فعلته الفلسفة بكل دقة وجلاء وكان من نتيجة ذلك صرف القلوب والافكار الى الامور الروحية وتفهم اسرار الروح فتقوى بذلك العنصر الروحي في الانسان واشتد الميل الى البر والصلاح فضعفت شوكة المفاسد في النفوس وتزعزع سلطان الرذيلة . وقد كان الدين وحده قوة فعالة في محاربة جيوش الفساد فكيف وقد تضامن الدين والفلسفة معاً في ذلك الجهاد

الثانية نشر المبادىء الاجتماعية الصحيحة كالعدل والمساواة والاخاء. من المعلوم ما كان يسود على الاقوام قاطبة من التفاوت المشوم بين الطبقات وما نشأ عن ذلك التفاوت من الضغائن والاحقاد والفتن التي كثيراً ما كانت تؤدي الى ما لا يوصف من الويلات والخسائر في المال والنفوس . وكان راسخاً في الاذهان ان ذلك التفاوت على الرغم من أضراره امر طبيعي لا مفر منهُ فما طلعت شمس الدين الجديد وانبثت دعاتهُ يكرزون بمبادىء الاخاء والمساواة افتتحت لهُ الابواب واستقبلتهُ النفوس استقبال ظامىء اصاب منهلاً لهذا وان لم تكن هذه المبادىء شيئاً جديداً في عالم الوجود فلا شكَّ ان الدين هو اقوى العوامل على غرسها في النفوس وابعد تأثيراً من سائر العوامل الاخرى

— ٣ —

الدور الثالث

﴿ دور الفلسفة الحديثة ﴾ شهد مطلع القرن السادس عشر فاتحة عصر التجديد الفلسفي وهو ثالث ادوار الفلسفة على ما تقدم وكان استهلال العصر ثورة عامة على القديم وعلى المذاهب الفلسفية السابقة اجمالاً . وكان في مقدمة الثائرين وأول ناضح بيوق الثورة الفيلسوف باكون الانكليزي وقد وجه قوارص انتقاداته بنوع خاص الى آراء ارسطاطاليس . اما اسباب تلك الثورة فأهمها اثنان :

الاول : ان المجددين رأوا ان فلسفة الاقدمين كانت فلسفة عقيمة عديمة الجدوى وقد حملهم على هذا الرأي اعتقادهم ان تلك الفلسفة لم تعنَ بالنظر في شؤون البشر بل كانت بجملتها فلسفة نظرية بعيدة عما يتعلق بأمور البشر ومنافعهم فكان كل همها البحث في ما وراء الطبيعة في ما وراء هذا الوجود المادي لذلك كانت عديمة الفائدة لم يجنِ منها النوع الانساني ثمرة واحدة من ثمار التقدم والارتقاء

الثاني: الضغط والتقييد الفكري من جانب السلطتين الروحية والزمنية ومنع العقل من الانطلاق في ميدان البحث بحرية تامة وهو ما أفضى اخيراً الى الحركة الاصلاحية الدينية والسياسية المشهورة في القرن السادس عشر وما بعده . اما مزايا هذا الدور فكثيرة نتناول منها اهمها :

الاولى : المادية وهذه اظهر ميزات العصر الاخير ونتيجة لازمة عن نظرية المجددين من حرب محبي الامور الروحية المجردة والالتصاق بالمادة او استيلاء الفلسفة من نحو سمائها والاهتمام بالاشياء الارضية. فكما ان الفلاسفة الاقدمين قضوا بتحقير المادة وتأييد العقل وكما انه الآن ازيح في الدور الثاني قضى المجددون بتأليه المادة واهمال الروح ولا يخفى ما في هذه المبادىء المعكوسة من تقوية الطبائع والغرائز المادية الحيوانية وملاشاة الميول الروحية العقلية في النوع الانساني

الثانية : النفعية او ايثار الذات وهذه ايضاً من نتائج نظرية المجددين من حيث ابتغاء الامور العملية النافعة بدلاً من النظرية السديمة النفع وتطلب الاشياء التي تؤول الى راحة الانسان وترفيه عيشه عوضاً عن التي تشغل عقله على غير طائل . ولنظرية النفعية هذه قد كان لها شأن كبير في تاريخ الفلسفة ولا تزال وهي ترجع في اصل نشأتها الى عهد ابيقور والابيقوريين او الى ما قبل ذلك

وللفلاسفة فيها مذاهب شتى لا مجال لتفصيلها هنا الاّ انه لا بدّ من القول ان مذهب النفعية هذا قد تطوّر تطوراً خطيراً في الآونة الاخيرة وبعد ان كان المراد منه النفع الذاتي الافرادي اصبح المقصود به النفع العام الجمهوري وصارت قاعدته « اعظم النفع لاوفر العدد » ولا يخفى ما في هذا الاخير من الاختلاف المعنوي العظيم عن الاول

الثالثة : الصبغة الحسية الغالبة فيها على الروحية العقلية . ليس من السهل على الباحث تعيين صبغة خاصة للفلسفة الحديثة نظراً لتضارب الآراء وتباين المذاهب وتعددها خصوصاً في هذا العصر فلا نستطيع ان نقول مثلاً انها فلسفة حسية (Sensationalism) او نظرية (Rationalism) او فكرية خيالية (Idealism) او روحية معنوية (Spiritualism) فالآراء لا تزال متضاربة اليوم كما كانت في كل عصر ولكل مذهب انصاره ومؤيدوه . الاّ اننا اذا اردنا تعيين الصبغة الغالبة نوعاً في الفلسفة الحديثة نقول ان الرأي الحسي هو الغالب فيها على سواه ولا شك ان العامل الاكبر في اعطاء الفلسفة هذه الصبغة هو الفكرة المادية المنتشرة منذ اول عهد التجديد الفلسفي والميل العالمي الشديد الى الامور العملية الاقتصادية وترقية الصناعات والفنون فالعالم اليوم تسوده هذه الفكرة الحسية المادية وتتغلب في جميع اوساطه على كل فكرة روحية او مبدأ عقلي وقد طغى هذا الميل في البشر وتهاقم تهاقماً ينذر بكل شر مستطير ولهذا غدونا نرى الكثيرين من مفكري هذا العصر ينذرون الشعوب بسوء المصير اذا كانت المدنية ستستمر على هذا النحو من الاميال المادية والاستغناء بها عن كل ميل روحي او ادبي

***

هذا ما لاح لي من ميزات ادوار الفلسفة قديماً وحديثاً اثبت عليه بايجاز مراعاةً للمقام وعسى ان يوافينا البعض بما يرتأون من هذا القبيل تتمةً للفائدة في هذا البحث الخطير

البطالة ووسائل علاجها

والتعليم الاقليمي وأثره في علاج البطالة

للدكتور احمد سويلم العمري

عضو المكتب الفني لمعالي وزير المالية

كلمة تمهيدية

البطالة احد الامراض الاجتماعية التي أنشبت اظفارها في مدنيتنا الحديثة عقب الانقلاب الصناعي . وقد ظلّ هـذا الداء حتى ما قبل الحرب العظمى مؤقتاً يظهر تبعاً لظهور الازمات الاقتصادية القصيرة الاجل التي تتميز بارتفاع الاسعار ارتفاعاً شديداً ثم هبوطها الى الحضيض ثم عودة المياه ثانية الى مجاريها كل نحو ربع قرن . وسرعان ما كان يختفي الداء بانقشاع سحب هذه الازمات ثم تحوّل فاصبح اليوم داء دوياً يلازم الامم الصناعية الكبرى وهي تجرب مختلف الادواء لمكافحته دون الوصول الى استئصال شأفته فهو لا يزال ينقض مضجعها ويبث في عضدها ويبث اليأس فيها

واذا كان هذا الداء يلازم الامم الصناعية الكبرى ويقلق راحتها أينما قلق فهو لا ينفث سمومه في الامم الزراعية المحضة بل هو محدود الدائرة فيها يمكن حصره ومكافحته هناك . ولا تئن بلادنا واساس ثروتها الزراعة من بطالة فلاحيها وهم السواد الاعظم من السكان فالكل يبذر الحب وينتظر موسم الجني دون ان يبين هذا الانتظار عن بطالة ما لان ذلك طبيعي في الزراعة طبيعي في حياة الريف . كذلك بطالة العمال والصناع عندنا محصورة الدائرة مؤقتة وسرعان ما يجد العامل المتعطل بعد انتظار بضعة ايام العمل الذي ينشده وذلك لتعطش البلاد تعطشاً شديداً الى الصناعة . غير ان بلادنا تقاسي بطالة الشبان المتعلمين المتعطلين وقد استحكمت حلقات هذه الازمة وذهبت بآمال الشباب وما يرجوه من حياة يطمئن فيها الى عمل جدير بمعارفه . وبالرجوع الى التقرير السنوي لمكتب العمل عندنا لسنة ١٩٣٥ يمكن رسم صورة عامة للبطالة في القطر وذلك لتعذر الالمام بالحالة بالدقة لعدم وجود احصاءات في هذا الصدد كما يذكر التقرير . على ان التقرير لا يهول امر البطالة ولا يجعلها من الخطورة بمكان . هو يذكر في احدى فقراته « أن الازمة الاقتصادية الحديثة قد كانت سبباً في تعطيل كثير من العمال وارباب الحرف

بغير ارادتهم كما نتج عنها كثرة عدد العاطلين من الحاصلين على الشهادات الدراسية » ثم يعود فيذكر « سبق القول بانهُ لم يمكن الحصول على معلومات صحيحة فيما يتعلق بعدد العمال العاطلين عن طريق الاحصاء ولكن هناك عدة ظواهر تجعل من الميسور معرفة ما اذا كانت حالة البطالة تسوء ام لا . فحالة صناعة البناء وعدد طلبات الرخص لانشاء محال صناعية جديدة ونشاط حركة الميناء والاحواض واصلاح السفن في كل من ثغري الاسكندرية وبور سعيد — كل ذلك يعد مقياساً لزيادة عدد العمال المشتغلين بالصناعة او نقصانه وبفحص هذه العوامل العامة يتضح لنا انهُ وان كان كثير من العمال مازال خلواً من العمل فان الحالة قد تحسنت تحسناً ظاهراً منذ اواخر سنة ١٩٣٣ رغم ركود سوق القطن . وقد استفادت دور الصناعة المحلية من رفع التعريفة الجمركية كما وجدت الصادرات المصرية سوقاً رائجة منذ هبوط قيمة الجنيه الاسترليني ذلك الهبوط الذي لم يصحبهُ أي ارتفاع في اسعار هتات المعيشة في كل من بريطانيا العظمى ومصر . ولقد كان من اثر ما اصابتهُ شركة مصر للغزل والنسج من التقدم في السنوات الاخيرة ان راجت سوق العمل في المحلة الكبرى رواجاً عظيماً حيث بلغ عدد من تستخدمهم الشركة نحو تسعة آلاف عامل فضلاً عن العمال الذين يشتغلون في انشاء المصانع ويتراوح عددهم بين ثلاثة آلاف وأربعة آلاف عامل وكذا شركة الغزل الاهلية بالاسكندرية فقد زاد عدد عمالها زيادة عظيمة »

ولما كان موضوع (البطالة ووسائل علاجها والتعليم الاقليمي واثره في علاج البطالة) متشعب النواحي اصبح لا مندوحة من بحث البطالة عموماً ووسائل علاجها ثم بحث بطالة الشباب المثقف في مختلف البلدان المتمدينة وطرق علاجها وأثر التعليم الاقليمي فيها كما وجب تشخيص اعراض هذا الداء الخطير عندنا ومحاولة استخلاص العلاج على ضوء تجارب الغير

البطالة عموماً — اسبابها وعلاجها

الاسباب

لازمت البطالة الامم الصناعية الكبرى ملازمة الظل منذ هبوب عواصف الازمة الاقتصادية ولم تأت سنة ١٩٢٩ الا وقد اصبحت احدى المشكلات المستعصية في بريطانيا العظمى . كما ضربت اطنابها ايضاً في غيرها من الدول الاوربية الكبرى ووصل عدد المتعطلين حينما اشتدت حلقات الازمة الاقتصادية العالمية منذ نحو عامين الى ما يقرب من ثلاثة ملايين عامل في انجلترا وعشرة ملايين في الولايات المتحدة وستة ملايين في المانيا وما يربي على النصف مليون في فرنسا

ولجأت الحكومات التي لفحتها نيران البطالة الى الوسائل التشريعية فكافحتها كما لجأت ايضاً بدافع الاشتراكية تارة والعاطفة القومية أخرى الى تمويل زرافات المتعطلين بالاعانات المتنوعة مما كبد الميزانية اثقل الاعباء . ومع تصلب هذه البلدان على الرغم مما بذلتهُ من جهود جبارة في سبيل المعالجة بقيت الداء

فلا يزال ملايين العمال متعطلين بلا عمل . واخذت تكثر من مسكنات الداء دون ان تعثر على ناجع الدواء.

اما استعصاء حل مشكلة البطالة فيرجع الى تشخيص الداء وعلاجه بما لا يتفق وحقيقة الحال. اذ غالباً ما تشخص وتعالج الحكومات التي يهمها وضع حد لتفاقم البطالة هذا الداء تشخيصاً وعلاجاً بتيمان اهواء احزابها السياسية القابضة على زمام الحكم وقد تتعارض هذه الاهواء والامر الواقع وقواعد الاقتصاد السليمة . وقبل ذكر وسائل مكافحة البطالة مع نقدها يحسن ذكر اسبابها.

كان العامل طول القرن الماضي وحتى اوائل هذا القرن يجد بسهولة عملاً يدر عليه الربح بل وكان ربحهُ في صعود مستمر على الرغم من نقصان ساعات عمله وذلك بفضل تقدم الصناعة وانتشار الآلات مما ساعد على زيادة ارباح المنتجين فاستطاعوا ان يزيدوا اجور العمال مع انقاص وقت عملهم ولم تلك قد ارهقتهم بعد — كما هي الحال الآن — المنافسة الشديدة التي تضطرهم اليوم الى التضحية بما ربحوه من استخدام الآلات في سبيل ادخال التحسينات المستمرة على مصانعهم كما لم تلك قد قضت ظهورهم بعد الضرائب الثقيلة المفروضة عليهم اليوم اذ لم تلك ميزانيات الدول قد اصيبت بحمى التضخم التي حلت بها الآن . اما نقابات العمل والعمال فلم تكن على مبلغ من القوة يجعلها تطالب بالاجور الباهظة للعمال التي تطالب بها الآن. فكان العالم يتبع خطوات التقدم الصناعي عن قرب دون ان يسعى الى دفعه الى الامام دفعاً فيفوت عليه الغرض منهُ او بعبارة اخرى كان التقدم الصناعي قائماً على اساس الحاجة اليه ليس الا . ثم جاءت الحرب الكبرى فقلبت الحالة رأساً على عقب فدفعت بالتقدم الصناعي طفرة واحدة مما ادى الى استفحال ازمة البطالة .

اما اهم العوامل التي ادت الى هذه الازمة فهي : —

١ — سلوك الحكومات — اضطرت الحكومات لوفاء ديون الحرب وسائر الديون العامة ولدفع نفقات التسليح ونفقات التعمير والاصلاحات الاجتماعية الواسعة النطاق ان تزيد الضرائب زيادة فادحة تفوق نسبتها نسبة الزيادة الناجمة عن زيادة ارباح الصناعة لتقدم الآلات فترتب على ذلك ارهاق الصناعة ارهاقاً اضطرها الى استخدام وسائل الاقتصاد المختلفة والاستغناء عن كثير من العمال

٢ — اضطراد زيادة الاجور — زادت الاجور التي يتقاضاها العمال زيادة كبيرة عما كانت عليه قبل الحرب بفضل اتساع نطاق النقابات بانتشار الاشتراكية وكسبها المقاعد في المجالس النيابية واضطلاعها بالحكم . وعلاوة على ذلك حصل العامل على تخفيض ساعات العمل وعلى نصف يوم الراحة المعروف بنصف يوم الاسبوع الانجليزي علاوة على راحة يوم الاحد بأجر كامل وعلى كثير من المزايا كضروب التأمين الاجتماعي التي تترتب عليها مساعدة العامل في مرضه وشيخوخته وكذلك على الاعانات المستمرة في حالة بطالته . وقد ارتفعت اجور العمال في الولايات المتحدة ارتفاعاً بالغاً مما اثر أشد تأثير في ارباح الصناعة وقد ظن اولو الامر هناك ان رفع الاجور هذا

سيؤدي الى زيادة قدرة سراء الجان وهم طبقة كثيرة العدد من الاهلين غير ان النتيجة انقلبت عكسية فان انقاص ربح رأس المال أدى الى ظهور داء البطالة وانتشاره

٣ — ارهاق المصانع — ارهقت الحكومات المصانع كما ينا بالضرائب الباهظة التي تفرضها على دخلها . وكلما زاد ربح احد ارتفعت نسبة الضريبة المجباة مما ادخل القلق على الطمأنينة على انظمتها الاقتصادية واخذت الصناعات تسعى الى رفع اسعار منتجاتها فوق المستوى المعقول في حالة بين الاسعار الى الارتفاع والى المحافظة على الاسعار القائمة في حالة ميل الاسعار إلى الهبوط وإلى تبذير جزء كبير من ارباحها في سبيل توسيع نطاق المصانع والتمادي في مشروعات اصلاحية جديدة للهروب من دفع ضريبة الايراد من جهة ولتحسين حالة الصناعة حتى يزيد انتاجها من ناحية اخرى وكذلك الى وضع ميزانية منتفخة كثيراً ما تبعد عن الحقيقة الواقعة . ثم ان عدم اطمئنان الرأسمالية الى مستقبل كثير من الصناعات جعلها ترفع ارباح قروضها التي تقدمها للصناعة مما اجبر الصناعة بدورها ان تجاهد في سبيل زيادة ارباحها لتسديد ما عليها وتحقيق الربح الذي يضمن بقاءها . فتعقد المرقف أشد تعقيد وعجزت الصناعة عن الاستمرار في كفاحها هذا فتقلص رخاؤها تدريجيٌّ وانتشرت البطالة

٤ — الانتاج — زاد الانتاج منذ نهاية الحرب زيادة كبيرة وشجع هذه الزيادة ميل الشعوب إلى الاسراف عن سعة بعد ان وضعت الحرب اضروس اوزارها حيث حرموا انفسها من كثير من المنتجات وانصرفوا عن الحياة العادية الى ميادين القتال . فما رفرف السلم بأجنحته عليهم تهافتوا على مختلف المنتجات التي كانوا قد حرموا منها . وايَّد انشاط هذا الانتاج ايضاً سهولة تحويل المصانع التي اتسع نطاقها خلال الحرب لصنع الذخيرة والسلاح إلى مصانع تنتج للسلم كما تنتج للحرب . ثم سرعان ما فرضت الحكومات ضرائبها الباهظة لتسد المشاكل الاقتصادية والاجتماعية التي خلفتها الحرب فدفعت هذه الحال اصحاب المصانع الى ادخال التحسين والتعديل على مصانعهم وتوسيع نطاقها كي يعوضوا على انفسهم ما فقدوه من ارباح دفعوها ضريبة للحكومة وحبطت في هذه الاثناء قدرة الافراد وقدرة الرأسماليين على الشراء لذهاب جزء كبير من الدخل الى خزينة الدولة فحل الكساد محل الرخاء وانتشرت البطالة . أما ما قيل في زيادة الانتاج زيادة كبيرة لانتشار استعمال الآلات فهو مبالغ فيه اذا انتشرت قدرة الافراد على الشراء كما كانت قبل انهماك قواها بالضرائب الثقيلة . ولتفسير ذلك نحسن ضرب المثل الآتي : نفرض ان هناك نوعين من المنتجات يستبدلان بطريق المقايضة — لا بالنقد لسهولة التفسير — وأن كل منهما كيلو جرام وهما الحديد والقمح مثلاً وأن متوسط قدرة العامل على انتاج كل منهما هو إنتاج هذا الكيلوجرام في ساعة . فاذا كان ما يقتطع لتغطية الضريبة يقدر بنحو ٣٠٠ جرام في الساعة تبقى

للعامل وانتج نحو ٧٠٠ جرام في الساعة اي ما يعادل ٣٥٠ جراماً للحديد و ٣٥٠ جراماً للقمح فاذا اوقع الاقتطاع من ٣٠٠ الى ٤٠٠ جرام نقص ما تبقى الى ٦٠٠ جرام واذا عاوض العامل في الناحية الاخرى مستوى معيشته نظير هذا الاقتطاع وجب ان يستبدل كل ٣٥٠ جراماً من الحديد بمقدار ٣٥٠ جراماً من القمح . واذا تشبث منتج القمح بنفس الموقف وجب ان يدفع كل ٣٥٠ جراماً من القمح ٣٥٠ جراماً من الحديد . وفي هذه الحالة يضيع لا مفر من ارتفاع قوى الانتاج من ١٠٠٠ جرام في الساعة الى ١١٠٠ جرام . ولا شك في هذه الحالة ان الزيادة في الانتاج تؤدي الى بقاء جزء من المنتجات في السوق بلا طالب لها وعلى توالي الوقت تشل حركة الانتاج ويقف دولاب الصناعة وتنتشر البطالة

٥ — تعارض بعض الادواء وعلاج البطالة — يتقدم الانتاج بواسطة الآلات تقدماً كبيراً ويزيد انتاج الصناعة تبعاً لذلك غير ان هذه الزيادة لا توجه الى معالجة البطالة واسباب ذلك ما يأتي :—

ا — تنتهز الدولة فرصة للحصول على الزيادة المتوه بها لمعالجة امراضها الاجتماعية واهمها البطالة غير انها بدلاً من صرفها في ابواب العلاج الناجع تصرفها في دفع معاشات الحرب وارباح ديونها ومرتبات موظفي الادارات الجديدة التي تنشئها في سبيل الاصلاح الاجتماعي

ب — لا يحتفظ اصحاب المصانع بزيادة الربح الناشئة عن تقدم الآلات انما يزيدون الحال تعقيداً بالتوسع بالانفاق على مشروعاتهم. مثال ذلك نفرض ان صاحب المصنع قد يستغني بتحسين الآلات عن نحو ١٠٠ صانع يربح كل منهم نحو ١٠٠ ج . م في السنة فيوفر في النفقات ١٠٠٠٠ ج م في العام غير انهُ في نفس الوقت يدخل التعديلات على ادارته التجارية ويغدق الاموال في سبيل الدعاية وانشاء الاقسام الفنية والقضائية والمعامل التجريبية مما يضطره الى تشغيل نحو ٥٠ موظفاً فنياً عنده يتقاضى كل منهم راتباً سنوياً قدره ٢٠٠ ج م فهو والحالة هذه يصرف العشرة آلاف جنيه التي وفرها بل ربما اكثر منها وفي الوقت نفسه يضاعف مشكلة البطالة

ج — يطالب العمال بمزايا لا نهاية لها ويضطر صاحب المصنع الى اجابتهم الى طلباتهم . وهو يقتطع ما لا يستهان بهِ من الارباح في ذلك السبيل ولا يخفى ان ما يكسبهُ العمال المشتغلون زيادة عن استحقاقهم كان يمكن انفاقهُ في سبيل الترفيه عن العمال المتعطلين

العلاج ونشره

على اساس تشخيص الداء تشخيصاً يختلف في كثير من الاحوال عن الحقيقة الواقعة وضع أولو الامر برنامج المكافحة وهو يتلخص فيما يأتي : —

١ — محاولة زيادة قدرة الفرد على الشراء — عمدت الحكومات ولاسيما بالولايات المتحدة والمجلترا الى رفع الاسعار والمحافظة على مستوى الاجور القائمة في الصناعة وفي ادارات الحكومة

بل زيادة بعضها حتى يستطيع الافراد ان يقبلوا على الاستهلاك لا سيما ان الفرصة سانحة هبوط الاسعار الصناعية وقد أتت هذه الحالة بنتيجة عكسية اذ انتشرت بناء عليها البطالة انتشاراً كبيراً وسبب ذلك ان القدرة على الشراء انتقلت من اصحاب رأس المال الى العمال والموظفين وبعض الطبقات الوسطى من دون ان توجد اعمال جديدة للعمال العاطلين بينما ظلت حالة اصحاب رأس المال غاية في السوء . وعلى ذلك اغلقت كثير من المصانع ابوابها وسرّحت عمالها بينما زادت ودائع الموظفين واصحاب الدخل الثابت ومتوسطي الحال في صناديق التوفير

٢ — الانفاق عن سعة في سبيل الاعمال العامة والتسليح — عمدت الحكومات الى سياسة الانفاق عن سعة في سبيل المشروعات العامة بقصد تشغيل العمال المتعطلين ثم كذلك في سبيل زيادة قواها البرية والبحرية والجوية استعداداً للحرب القادمة مما زاد تلبد الجو السياسي بالسحب القاتمة وترتب على كل هذا تلافي الخطر موقتاً ثم لم تلبث ان اشتدت ازمة البطالة اذ لجأت الحكومات الى القروض وزيادة الضرائب فنقصت قدرة الفرد على الشراء واضطربت ميزانيات الحكومات مما اجبر كثيراً من الدول على ترك عيار الذهب وتخفيض النقد فتفككت الاسعار العالمية وساد الاضطراب الاقتصادي . وكان الاوفق مد يد المعونة للصناعات وتخفيف اعباء الضرائب وتوزيع اقصى عدد ممكن من العمال على المصانع والسعي الى اعادة الروابط التجارية الدولية بتثبيت النقد

٣ — الاتفاق الصناعي والتجاري وتحديد الانتاج — عمدت الدوائر التجارية والصناعية الى عقد الاتفاقات بين هيئاتها الكبرى وشركاتها الضخمة في سبيل مكافحة البطالة وذلك بتحديد انتاجها تحديداً نسبيًّا منعاً لزيادة الانتاج وتخفيفاً لعبء المنافسة . واذا كان هذا الحل يساعد على تلافي اخطار الازمة موقتاً فهو لا يضع حدًّا للبطالة المزمنة اذ يترتب عليه نقصان انتاج المصنع والاستغناء عن كثير من العمال . وكان الاوفق ترك كل هذا لقانون العرض والطلب حتى تختفي المشروعات السيئة الادارة وتنمو وتترعرع الاعمال الحسنة الادارة

٤ — انقاص عدد السكان — ان التفكير في وضع حد لزيادة عدد السكان في البلاد التي تعم فيها البطالة نظريٌّ اكثر منهُ عملي واذا خاض البعض غمار هذا البحث فلم تلجأ اليه دولة ما لخطورته اذ يؤدي الى اضعاف قوى الشعب وزيادة حصة الفرد في الديون والضرائب . ولا تعني زيادة السكان البطالة حتماً . فاليابان مثلاً يزيد عدد سكانها بينما لم تبلغ مشكلة البطالة عندها مبلغاً جديًّا . غير أن بعض الدول كفرنسا مثلاً لجأت الى حل يقارب ذلك وهو اخراج العمال الاجانب الذين يسكنون في بلادها ويعملون في مصانعها واعادتهم الى اوطانهم كما حرمت على الاجانب العمل ما دامت البطالة منتشرة عندها واذا اتضحت عدالة هذا الحل لاول وهلة فقد يؤثر في مستوى الصناعة للخبرة التي اختص بها الاجنبي في بعض الصناعات والتي تحرم منها الصناعة المحلية في حالة منع اشتغاله فيها

٥ — نقص ساعات العمل — ان استيفاء العمال في الصناعات الكاسدة مع نقص ساعات عملهم ودفع نفس الاجور لهم ولو انهُ حل يحول دون انتشار جيوش العاطلين الا انهُ يزيد الحالة تحرجاً اذ يقلل من ارباح المصنع . ولا بدَّ ان يأتي الوقت الذي تهبط فيه الارباح الى الحضيض ويبدو العجز واضحاً فيغلق المصنع ابوابه ويسرح عماله . وقد أتت هذه الطريقة بأسوإ النتائج في الولايات المتحدة

٦ — الحماية الصناعية والتجارية — ان حماية بعض الصناعات حماية مبالغاً فيها ليغلتها مع عدم صلاحيتها حتى لا تسرح عمالها تؤدي الى عدم التمييز بين الصناعات الكاسدة والصناعات الرائجة بل وتنصر الاولى على الثانية فيترتب على ذلك هبوط مستوى الثانية مما يساعد على ضعف الانتاج وانتشار البطالة

٧ — وضع قيود في وجه فريق من الاهلين لحرمانهم من العمل — تحاول كثير من الحكومات ان تضع القيود والعقبات في طريق بعض الطوائف من الاهلين لافساح المجال للعمال حتى تخف مشكلة البطالة . ولهذا الغرض تحرم الحكومات على النساء المتزوجات العمل كما تطيل سني الدراسة وتخفض سن التقاعد عن العمل . ومما لاشك فيه ان تحريم العمل على النساء المتزوجات يقلل من الاقبال على الزواج كما يشجع الرجل على معاشرة المرأة دون الالتجاء الى الزواج . اما اطالة مدة الدراسة فهي تؤجل المشكلة ثم تظهرها فيما بعد في صورة اخرى وهي مشكلة بطالة الشباب المثقف . كذلك تخفيض سن التقاعد يحرم الصناعة في كثير من الاحوال من خدمات الاكفاء الصالحين للعمل . وهذه الحلول لا تعالج البطالة بحال بل هي اذا افسحت الطريق للعمال العاطلين ضمت الى صفوف العاطلين ايضاً الصالحين للعمل والممنوعين منهُ

٨ — وضع حد للمبالغة في استعمال الآلات — اشار الكثيرون بحل ازمة البطالة عن طريق التخفيف من غلواء استعمال الآلات حتى لا تستغني المصانع عن خدمات العمال وقد استبدلت المئات منهم بآلة صغيرة او بتعديل بسيط في آلات الانتاج . غير ان هذا الحل لا يتفق وناموس التقدم المضطرد فضلاً عن ان هناك كثيراً من الآلات اوجدت الاعمال لمئات الآلاف من العمال مثال ذلك السكك الحديدية والقاطرات والسيارات والسينما والطباعة

يتضح والحالة هذه ان علاج البطالة لم يقف بالغرض منهُ . وما لم تعمل البلدان الاوروبية ولاسيما كبريات البلدان الصناعية على استئصال شأفة المشكلات الاقتصادية والاجتماعية التي تركتها الحرب الاخيرة معلقة دون حل استئصالاً تامًّا وان تقدم على بعض التضحيات في سبيل تفاديها وتخفف من غلواء التسليح وتضع اساساً راسخة للسلام وما لم تثبت نقدها وتحطم السياج الجمركي وتخفف من اعباء الضرائب الثقيلة وتحل مشكلة ديون الحرب وسائر الديون العامة فلن تستطيع حل مشكلة البطالة المزمنة حلاً موفقاً ولن تتعدى حلولها التي سبق ان اتينا بأهمها المسكنات الوقتية التي لا تشفي الداء

[للبحث صلة]

مفردات النبات

بين اللغة والاستعمال

لمحمود مصطفى الدمياطي

— ١٠ —

شجر الأبنوس

معرّب عن (آبنوس) بالفارسية. الشجرة منهُ متوسطة الحجم ترتفع من ٣٠ قدماً الى ٥٠ طول محيط جذعها ٦ اقدام قلفها الخارجي سنجابي اللون داكن او خشن ذو شقوق كثيرة طولية وعرضية والداخلي احمر. أوراقها الصغيرة وأزهارها مكسوة بزغب ناعم سنجابي اللون او اصفر ضارب للسمرة والاوراق الكبيرة كالجلد يكاد يكون اغلبها متقابل الوضع طول الواحدة منها ٣ بوصات الى ٦ وأحياناً تكون اكبر كثيراً عند تكامل نموها وتبلغ ١٢ بوصة. وهي ناعمة من وجهها العلوي ومكسوة بزغب قصير ناعم من وجهها السفلي وهما عنق طوله من ربع بوصة الى نصف. زهراتها الذكرية وبقية الاجزاء بلا اعناق تقريباً مجتمعة في نورات قصيرة الاعناق متدلية إبطية كل ٣ زهرات او ١٢ تكون سمًا والأنثوية فرادى إبطية كذلك كل اثنين متقابلتان على العموم وأكبر حجماً من الذكرية وهما اعناق ثخينة قصيرة أو بلا أعناق. والثمرة بيضية الشكل او كرية صفراء عند النضج عرضها بوصة (عقدة) او بوصة ونصف لها اصفر باهري حلو الطعم قابض قليلاً به ٤ بذور الى ٨ والبذرة منبسطة مستطيلة منقوسة سمراء براقة

اسمه العلمي (Diospyros melanoxylon, Roxb.) (ديوسبيروس ميلانوكسيلون) وفصيلته الأبنوسية (Ebenaceæ) (إبناسية) وبالانجليزية (Ebony-tree) وبالفرنسية (Ebénier)

يكثر في حراج الهند وخشبه سبض مشع بالحمرة صلب متوسط الاحتمال يستعمل في المباني وفي صنع عربات الثقل وغيرها. أما قلب خشب الاشجار العتيقة فيكون عادة على هيئة كتلة غير منتظمة من الأبنوس الاسود الفاحم مختلف في الحجم بحسب عمر الشجرة وبها نموات غير منتظمة في الغالب قد يبلغ عرضها في الاشجار الكبيرة ١٢ بوصة الى ١٨. وخشب الابنوس

الاسود يطفو في الماء لأن ثقله النوعي يتراوح بين ٨٠ر٠ و٣٦٢ر١ ووزن القدم المكعبة منه ٧٥ رطلا الى ٨٠ وهو مرغوب فيه لصنع الآلات الموسيقية على اختلاف انواعها . والثمرة لذيذة الطعم تؤكل . وأجود الأبنوس الهندي يحصل عليه من النوع المسمى علميًا (ديوسبيروس إبينوم) الذي ينبت في جنوب الهند وجزيرة سيلان (سرنديب) وهو شبيه بالسابق وأوراقه ملساء براقة

السَّاسَم كما تم

أو (السَّاسَب) شجر هندي يسمى بالأردية (شيشَم) وبالعامية المصرية (السَّرْسُوع) شجرته ترتفع الى ٦٠ قدماً تكون قائمة وجذعها غير معتدل طول محيط الجذع ٦ اقدام الى ١٢ وقلفه اسمر يضرب الى السنجابية او الصفرة ذو شقوق وكل اجزاء الشجرة متى كانت صغيرة تكون مكسوة بزغب ناعم . أوراقها من النوع الريشي المركب في الواحدة منها ٣ وريقات الى ٥ متبادلة بيضية الشكل عريضة منتهية بسن خضراء اللون قصيرة جميلة عند تكامل نموها ثم خضراء ضاربة الى الحمرة ملساء متى شاخت . أزهارها خنثى بيضاء ضاربة الى الصفرة تكاد تكون بلا اعناق مجتمعة في سنابل فردية الجوانب مرتبة في عناقيد قصيرة في آباط الاوراق . وثمرتها عبارة عن قرن شبيه بالخناء

اسمهُ العلمي (Dalbergia Sissoo, Roxb.) (دالبرجياسيسُو) [1] وفصيلته الفراشية (Papilionaceæ) (پاپيليوناسية) وبالانجليزية (The Sissoo-tree) وبالفرنسية Dalbergie

موطنه الهند بالاودية ويسفوح الجبال الخارجية من هيمالايا وعلى ضفاف الأنهار وجزائرها متدًّا الى بلاد افغانستان وفي هذه المواطن كلها ينمو بطبيعته او يزرع . وقد أدخل مصر كشجر للزينة والخشب ويمكن مشاهدتهُ في بعض الشوارع بالقاهرة تتساقط اوراقهُ من ديسمبر الى فبراير لتخلفها اوراق جديدة من فبراير الى ابريل . خشبهُ الخارجي قليل فاتح اللون أما الداخلي (خشب القلب) فصفيق مبقع بعروق داكنة وفي بعض الاحيان يكون في الاشجار الشيقة داكناً جدًّا لا ينفتل ولا يتشقق جيد الصقل له قوة احتمال ومرونة على وجه عام مرغوب فيه جدًّا في الهند لجميع الاغراض اذ يستعمل كثيراً في صنع القوارب وعربات النقل والركوب والآلات الزراعية وإطارات رحال الإبل والابواب والشبابيك وفي المباني ويعتبر خشباً جيداً جيلاً لصنع الاثاث . وغالباً ما تقتطف اغصان الشجر واوراقهُ في الهند وتعطى علفاً للماشية ويقال إن الإبل ترغب فيها ويتطيب الاهالي هناك بنشارة الخشب

---

(١) وسميت التسمية بدالبرجيا نسبة الى نيكولاس دالبرج (Nicholas Dalberg) طبيب ملك السويد الذي تعلم في سنة ١٧٥٥ بحثاً في تشكل النباتات واما اللا دالبرج آخر كان طبيباً لليونس

وثمة نوع ثالث من الساسم في الهند اسمهُ العلمي Dalbergia latifolia Roxb. (دالبرجيا لاتيفوليا) وبالانجليزية (Black wood or East Indian rosewood) يسمى Brazilwood أي خشب البرازيل شجرتهُ متسلقة الورق ترتفع الى ٨٠ قدماً خشبها صلب ثقيل مرغوب فيهِ يصنع أثاث الزينة وأبار دواب الجر والعجلات والخارين ودفات القوارب وقونهُ احمر بندقي أو أرجواني داكن تتخللهُ خطوط وبقع اغمق لوناً

وفي إفريقية الاستوائية والسودان وجنوب مصر نوع ثالث اسمهُ العلمي (Dalbergia melanoxylon, Guill. & Perr.) (دالبرجيا ميلانوكسيلون) وبالانجليزية (African blackwood tree) تطلق عليهِ عرب السودان اسم (بَبَنُوس) أو (إبْنُوسا) شجرتهُ صغيرة أو متوسطة فروعها شائكة ونموها غير منتظم . أوراقها من النوع الريشي المركب في الواحدة من ٩ وريقات الى ١٣ متبادلة . أزهارها بيضاء ذكية الرائحة . ثمراتها قرون منبسطة لا تفتح في كل منها بذرة واحدة غالباً . وخشب هذا النوع يضرب الى اللونين الاسود والأرجواني شبيه بالأبنوس ولذا يستعمل بدلاً منهُ للجان صقله وان كانت مجارتهُ صعبة واكثر ما يستعمل في صنع بيان السهام والمطارق الخشبية وبعض انواع الاثاث وغيرها. وقد يشتبه على بعضهم هذا النوع الاخير بالأبنوس الحقيقي مع أن انواع الساسم الثلاثة من الفصيلة الفراشية كما ذكر وذاك من الفصيلة الأبنوسية ولعلَّ سر الاشتباه ان النوع الاخير من الساسم قد يسمى بالخشب الافريقي الاسود او بَبَنُوس او إبْنُوسا أو أنهُ ورد في بعض الكتب العربية أن الأبْنُوس او الآبْنُوس معرَّب عربيته الساسم او السَّاسم وأنهُ هو الشيزى التي كانت تصنع منهُ العرب الجفان والقصاع والبكر والخلاف بين واضعي المعاجم اللغوية يفهم منهُ عدم التحقيق

الأَرْز

واحدته أَرْزَة شجر معروف من الصنوبر يقال لهُ (الشربين) أيضاً ترتفع شجرته الى ٥٠ متراً وتمتد اغصانها في كثافة . أوراقه إبرية مستديمة منظرها جميل . أزهاره وحيدة الجنس تجتمع في نوعين من المخاريط مذكرة (سدوية) اسطوانية قائمة على الاغصان ومؤنثة (مدقية) تشبه الاكواز تبتدىء في النمو عند نضج المخاريط السدوية بعد انتشار حبوب اللقاح عليها وتبقى مدة الشتاء وتنضج مدة الصيف وبهذه الخاصية تكون الشجرة مثمرة على الدوام . والمخاريط المؤنثة (الاكواز) بيضية الشكل أرجوانية اللون ابتداء ثم تصفر فتكون مخططة على نوع ظريف . ويوجد داخل المخروط الثمار في كل ثمرة حبتان موضوعتان على قاعدة قشرة

اسم جنسه العلمي (Cedrus, Linn.) (كيدروس) وفصيلته المخروطية أو الصنوبرية (Coniferae) (قونيفيرية) وبالانجليزية (Cedar) وبالفرنسية (Cèdre)

والمعروف منهُ ثلاثة انواع مهمة :

(١) أرز لبنان أو (شجر سليمان) واسمهُ العلمي Cedrus libani, Barrel. (كيدروس لباني) وبالانجليزية The Cedar of Lebanon وبالفرنسية (Cedre du Liban)

موطنهُ غرب آسيا بجبل لبنان وفي جبال طوروس بتركية آسيا ونقل الى فرنسا في سنة ١٦٨٣ ترتفع شجرة هذا النوع الى ٤٠ متراً ومحيط جذعها من ١٠—١٢ متراً فتهُ مخروطية حال الصغر تنبسط في الكبر أوراقه متجانسة الاخضرار طول الورقة من ١٢ ملّيمتراً الى ٤٠ ومخروطه الثمري بيضي الشكل طوله من ٨ سنتيمترات الى ١٢ وعرضه من ٥ الى ٧ ولونهُ اسمر قاتم عند النضج . خشبه صلب ذكي الرائحة لا يأكله السوس ولا تؤثر فيهِ الرطوبة يرغب فيهِ من قديم الزمان لتسقيف البيوت ويستخرج منهُ قطران وزين بشجره الحدائق وتنشأ منهُ غابات

(٢) الأرز الاطلنطي واسمهُ العلمي (Cedrus atlantica, Manetti) (كيدروس اطلنطيقا) وبالانجليزية (The Atlantic Cedar) وبالفرنسية (Cèdre argenté de l'Atlas) ينبت في بلاد الجزائر بجبال الاطلس وغيرها . ارتفاع شجرته كالسابق ومحيط جذعها من ٤ امتار الى ٦ وأغصانها مستقيمة وهي تمتاز عن أرز لبنان برفع ساقها كما تمتاز بقصر اوراقها وغلظها وخضرتها الضاربة الى السواد وصغر مخاريطها (اكوازها) وخشبها جيد جدًّا يستعمل كثيراً في البناء

(٣) أرز هيمالايا واسمهُ العلمي (Cedrus Deodara, Lond.) (كيدروس ديودارا) وبالانجليزية (Deodar ou Cèdre de l'Himalaya) وبالفرنسية (Deodar; Himalayan Cedar) موطنهُ غرب جبال هيمالايا وبلاد الافغان . شجرته كبيرة جميلة قد ترتفع الى ٥٠ متراً ومحيط جذعها من ٦ امتار الى ٧ وأغصانها مستقيمة مائلة في القمة وفروعها مرنة وأوراقها اكبر من أوراق النوعين السابقين طول الواحدة منها ٣ سنتيمترات الى ٥ ثاشكة ومخروطها الثمري بيضي على نوع ما طوله من ١٠ سنتيمترات الى ١٢ وعرضه من ٥ الى ٦ ولونه اسمر ضارب الى السواد عند النضج

وأطباء الهند ينسبون الى الأرز منافع فيقولون إن خشبه طارد للريح معرّق مدر للبول ويحصل منه على زيت قاتم شديد الرائحة قوي التطهير كما يحصل على نوع من القطران تداوى به القروح وتبخر بدخان خشبه المحترق ونظراً لاشتماله على الزيت والقطران المذكورين كانوا يستصبحون بخشبه قديماً

والارز يضرب به المثل في الصلابة وقد جاء في الحديث مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع من حيث اتتها الريح كفأتها فاذا اعتدلت تكفأ بالبلاء والفاجر كالأرزة صماء معتدلة حتى يقصمها الله اذا شاء

الصحة في أرياف سورية

درس علمي حديث

ملخص لكتاب الدكتور ستر [1]

بقلم جورج عبود الاشقر

نقول « درس علمي » لان المؤلف قد وصل الى الحقائق الواردة في هذا الكتاب بالطرق العلمية المبنية على دقة الملاحظة وصحة الاستقراء والتنسيق ثم الاختيار وقد ثبت له ان الطريقة التي اتبعها في درس مجتمع معين يصح تطبيقها في درس كل مجتمع وتأتي في كل حالة بالنتيجة المطلوبة

« والكتاب قد وضع ليلائم العلماء وهذا من جهة سبكه وسرد الحقائق فيه وليفع الموظفين الرسميين في ادارات الصحة العامة . وليوافق ايضاً الذين يودون ان يقفوا على حالة الامة من الوجهة الاجتماعية فقط . فهو اذاً يتناول جميع الذين يهمهم الامر مع اختلاف وجوه نظرهم في الاهمية » هذا من جهة غرض المؤلف في كتابه . والذين عاونوا المؤلف في درس حالات الارياف السورية الصحية ارادوا مع اهتمامهم الكلي بالوصول الى الحقيقة — ان يعلموا سكان القرى التي درسوا حالاتها وسائل واساليب وعادات صحية افضل مما اعتادوه في هذا الصدد . وقد كانوا اطباء وممرضات واساتذة وطلبة عم وقد تدربوا على عملهم قبل ان ولجوا بابه فهذا يجعلنا أن نرتاح الى تقاريرهم ونركن الى اقوالهم

والصحة العامة كما جاء تعريفها في هذا الكتاب هي « حالة القوم الصحية وما يعرفونه من القواعد الصحية وما يمارسونه منها والعوامل المحيطة بهم وتحت مطلق تصرفهم لزيادة العافية فيهم »

فبناء على هذا الحد قام من ذكرنا برحلة الى بعض القرى السورية الثانية والقوا على اهلها اسئلة كانوا قد اعدوها من قبل وكانت هذه الاسئلة تشمل كل حالة لها علاقة بما يؤثر في الحالة الصحية العامة كمعرفة سكان هذه القرى بالادوية او اسباب المرض او صحة الطفل او النظافة او الطعام او كيفية الوقاية من الامراض الوافدة الى ما هنالك من المطولات

---

(1) A Controlled Experiment on Rural Hygiene in Syria By Stuart Carter Dodd Ph. D. Professor of Sociology American University of Beirut

ومن قبل التجربة كانوا قد القوا الاسئلة نفسها على غير هذه القرى وجمعوا من مكانها ما يمكن ان يكون من الاجوبة عن السؤال الواحد

ثم كانوا يستعينون بمعرفة اطباء ماهرين واساتذة خبيرين علامة ايجابية لكل جواب يطابق حقيقة فتوصلوا بهذا الى معرفة المقياس الرقمي لكل عائلة ومعدل مجموع معدلات العائلات في القرية الواحدة كان مقياساً رقميًّا لتلك القرية . وللوصول الى معدل العائلة الواحدة كانوا يلقون الاسئلة ذاتها على عضوين من هذه العائلة ولكن على كل منهما على انفراد من دون ان يعرف احدهما ما اجاب الآخر . وعادوا بعد سنتين وألقوا الاسئلة ذاتها على العائلات نفسها وعلى المخبرين الاولين وقابلوا معدل القرية الواحدة في الزيارة الاولى به في الزيارة الثانية . وعندئذٍ تمكنوا من المعرفة هل كانت القرية تسير متقدمة من هذه الناحية ام لا . والكتاب يقول « ان كل تغير في الحالة النجمة التي يصبو المجتمع انها هي تقدم » ولمعرفة معدل سرعة هذا التغير ومقدار قابلية اهل القرية له اتبع المؤلف المعادلة الرياضية التالية

ان يطرح معدل القرية الواحدة في الحالة الثانية سنةً في الزيارة الاولى ثم يقسم الفرق على الزمن بين الحالتين . وهذا طبقاً للقاعدة الطبيعية المعروفة وهي ان الزخم مقدار قوة حركة الجسم ويساوي ثقله مضروباً في سرعته . فتغير السرعة بين الزمن الاول والزمن الثاني في الزيارتين يدعى زخم فاذا ضربت الزخم في عدد القوم الذين ازدادت سرعة تقدمهم ونجاحهم كان لك معرفة مقدار القوة الاجتماعية العاملة في نجاحهم

ومع كل الجهود التي بذلها هؤلاء لاتقان عملهم لم يتوفقوا للوصول الى كل الحقيقة لاسباب سيكولوجية وجهل المخبرين او للتباين في نظرهم الى الامور المسؤول عنها . « ولا يظنن القارىء ان ما ذكر في هذا الكتاب يشمل جميع الفلاحين او جميع سكان المدن في سوريا بل هو صورة تمثل طرفي نقيض ، هما احط قوم في سوريا وارقى فئة فيها »

« وقد درست حالة قسم صغير من البلاد لا يصح ان يكون عنوان البلاد كلها ولكن يمكن ان تتخذ الطريقة المتبعة وسيلة لدرس حالة جماعة اوفر عددًا »

وللتثبت من صحة الطريقة المتبعة وصحة النتائج التي وصلوا اليها بالاستقراء قد حصروا دروسهم في ناحية من بلاد العلويين وقسموا الناحية الى قسمين انشأوا في الاول منها مستوصفاً نقالاً تحت رعاية جمعية مؤسسة الشرق الادنى واهملوا القسم الثاني اهمالاً تامًّا . فعلوا هذا بعد ان درسوا حالة القسمين ووجدوها متماثلة متشابهة فيها . وعادوا بعد سنتين من عمل المستوصف في القسم الاول ودرسوا حالة القسمين معاً وعرفوا من هذا مقدار تأثير العامل الاجتماعي الذي هو المستوصف في نجاح حالة القسم الاول

اما القرى التي اتخذوها مركزاً لتجاربهم وتمثل المستوصف فواقعة في قضاء مصيف من بلاد المعرين اربع منها على مرتفع صخري يعلو عن السهل ثلاثين متراً وثلاث منها في سهل وكلها سواء مع ما في كلمة المزرعة من معنى وكانت احدى هذه القرى تختلف عن الاخرى في كل شيء لان سكانها من الارمن المهاجرين وقد بنيت القرية لهم بحسب ارشاد جامعة الامم وتحت اشراف المفوض السامي في بيروت . سكان اربع من هذه القرى يستقون الماء من آبار عملاً على الامطار . وفي القرى الثلاث الاخرى ينابيع . وعدد سكانها جميعاً ستمائة نسمة فيها ثلاثة آلاف نفس معدل الوفيات فيها ٥٦ بالالف ومعدل المواليد ٦٧ بالالف غير ان هذا المعدل يختلف في القرية الارمنية الماز ذكرها فالوفيات فيها سبعون بالالف والمواليد مائة وخمسة بالالف

وهذه البقعة من المعمور علاقة بالماضي فقد كانت عامرة في زمن الرومانيين اذ لا يزال في مصيف اثر من طريق رومانية كانت تربط انطاكية بداخلية البلاد . وفي قرية منها قطع من الرخام محفور عليها علامة الصليب وحروف لاتينية مما يدل على ان عهدها يرجع الى العهد المسيحي الاول . وعلى بعد ساعة من احداها خرائب قلعة ابو قبيس ومقابلها الى الجهة الشرقية آثار قلعة سجار وفي هذين آثار القرون الوسطى وآثار العرب والصليبيين وخرائب قلعة مصيف يرجع عهدها الى زمن الحشاشين وسلالتهم لا تزال في القرى الواقعة الى جنوب هذه القرى . كذلك في البلاد اثر من الحكم التركي فتركيا خلعت عنهم نير اسيادهم الاقطاعيين قبلها وخلعت عليهم نيرها هي

اما حالة هذه البقعة من الارض من الناحية الاقتصادية فسيئة للغاية . البلاد زراعية بحتة فسكانها رعاة ومزارعون ، ومعاملاتهم الاقتصادية مبنية على المقايضة فالنقود عندهم لمعرفة قيمة الاشياء لا لدفع الثمن لانها قليلة جداً بين ايديهم واجور اليد العاملة عندهم بخسة جداً فأجرة العامل لا تزيد عن الستة غروش سورية يومياً (عشرون مليماً) . ومعدل دخل العائلة الواحدة مائة ليرة سورية سنوياً (٢٧ ليرة مصرية) . الفلاحون لا يملكون الارض التي يستغلونها بل هم شركاء يعطون اصحاب الملك اربعين بالمائة من غلة الارض . ضرائب الحكومة باهظة جداً . وقد فرضها ذوو الامر متخذين مواسم السنوات ١٩٢٧ و ١٩٢٨ و ١٩٢٩ قاعدة لفرضها ان عداً او ثمناً فاذا فرضنا ان معدل نتاج ارض احدهم كان مائة في هذه السنوات وكان مبيع الوحدة من المائة بمائة فكانت الفريضة ٤٠ × ١٠٠ × ١٠٠ وهم يتقاضون اليوم القيمة ذاتها بصرف النظر عن مقدار ما تنتجه الارض في هذه الايام وعن ثمن هذا النتاج وسكان هذه القرى مثقلون بالديون والفائدة باهظة جداً فقد تبلغ احياناً خمسين بالمائة . فهذه الحالة الاقتصادية جرت معها سوء الحالة الصحية وهذا امر طبيعي

القرية الارمنية فقط مبنية بالحجر اما البيوت في القرى الاخرى فمن الطين ونوافذها صغيرة

جداً وهذا مما يساعد على عدم نظافة سكانها وعلى كثرة البراغيث فيها

المسيحية ديانة سكان القرية الارمنية والباقون نصيريون ينهم سنيون وقليلون من عبدة الشمس والقمر وفي هؤلاء فريق يعتقد في الجن والخرافات والتسليم وهذا يقعدهم عن الجد والنشاط

المرأة عند العلويين لا قيمة لها وهي نصيرية فقط عند زواجها وقد خلقت لارضاء زوجها وولادة الاولاد والعمل لراحة الكل وهي تباع وتشترى فيختلف ثمنها باختلاف جمالها ومقدرتها على العمل وقد يصل الى الستين ليرة سورية (ستة عشر جنيهاً تقريباً). ثم ان تعدد الزوجات عندهم مباح . نصف اطفالهم يموتون قبل بلوغهم الثانية من العمر وفريق وافر منهم يموت قبل الوصول الى العاشرة. الامية في هذا القرى ما خلا القرية الارمنية تبلغ تسعين في المائة وفي القرية الارمنية عشرين في المائة . المدارس ينهم كتاتيب المشائخ المعروفة . العلاقات الجنسية بينهم امر طبيعي كالاكل والشرب يذكرها المتزوجون دون خجل او وجل وعند الفحص وجد أن بينهم اثنين او ثلاثة فقط مصابون بالامراض التناسلية

وقد اجري الدرس نفسه على ثلاث قرى في البقاع الى جنوب بعلبك حالتها مشابهة لما ذكرنا كل التشابه إلاّ ان بيوت هذه من الحجر وحالتها الصحية افضل من حالة تلك وان هذه القرى اقرب الى العمران من تلك . وان معدل الولادة فيها ٢٧ بالالف ومعدل الوفيات ٥٣ بالالف وهذا ما ينذر بانقراض سكان هذه القرى انقراضاً تامًّا ولعلّ السبب في كثرة الوفيات وجود الملاريا مزمنة في هذه القرى وهي تصل كالمنشار تقتل الاطفال وتساعد على العقم

والحد الاقصى الآخر كان في رأس بيروت فقد درست حالات خمسين عائلة في رأس بيروت هم من الطبقة الراقية جداً وفي محيط صحي لكثرة المستشفيات فيه والارشادات الصحية وهم من فئات مختلفة كاطباء ومحامين وتجار وغيرهم. معدل الوفيات في هذه العائلات ٤٫٧ بالالف (اربعة وسبعة أعشار) بينما معدل الولادة ستون بالالف. ويبلغ متوسط دخل العائلة الواحدة منها ما يقارب الثلاثمائة وخمسين جنيهاً مصريًّا . فالحالة الصحية في الارياف بالقياس الى ما هي في المدن كنسبة ٢٨ الى ٦٥ ومعدل عدد الانفس في العائلة الريفية ٤½ بينما هو ٦½ في المدن . الولادات اقل منها في الارياف. ومعدل العمر في الارياف خمس عشرة سنة ونصف وفي المدينة ست وعشرون سنة. ولست تجد عائلة واحدة من العائلات الريفية قد سلم كل افرادها بينما ظهر ان عشرين عائلة من احدى وعشرين عائلة في رأس بيروت لم يمت فيها طفل واحد بل كل من ولدوا يتمتعون بصحة جيدة وهم أحياء يرزقون

ان كل الامراض التي يشكو منها سكان هذه القرى قابلة للشفاء وسهل اتقاء شرها ويمكن القضاء عليها وأكثر الامراض شيوعاً بينهم الملاريا وكثيرون منهم يعرفون الكينا وكيفية

استعمالها ولا يعرفون مصدر الملاريا وكيفية انتقالها من مريض الى آخر . وما قيل عنهم في الملاريا يصح على الامراض الاخرى كالتيفود والجدري والحصبة وغيرها فهم لا يعرفون كيفية الوقاية منها ولا تأثير الطعام فيها وزد على ذلك فهم يجهلون التعقيم في الجروح والقروح . ثم ان حالتهم الاقتصادية تحول دون عزل المصاب بالامراض الوافدة كالجدري . وهم يقبلون على التلقيح ضد الجدري ولا يخافون منهُ . ويخافون امراض العين جدًّا ولكنهم لا يجلد لهم على مداومة ما يشير به الطبيب من المداواة ولا يعرفون كيفية الوقاية منها . فقد تمسح الام المصابة بالرمد عينيها بطرف ثوبها القذر ثم تعود وتمسح عيني طفلها بالثوب ذاته من دون تطهيره . ولخرافات شأنٌ مهمٌّ في تطبيبهم فان لم تشفه التعاويذ يطبونهُ بالحجر الاملس او بالخرزة الزرقاء او غيرها . الامهات جاهلات لا يعرفن كيفية العناية بالاطفال غير ان الطبيعة قد جهزتهم بأفضل الأطباء وخير الادوية ألا وهي الشمس وما تحمل في اشعتها من القوة . ثم ان الامهات يرضعن اطفالهن حتى يبلغوا السنة تقريباً

انواع اطعمتهم قليلة جدًّا ولا يأكلون الخضروات في الشتاء مطلقاً ولهذا طعامهم الشتوي قليل الڤيتامين

ثم ان وجود المياه بعيدة عنهم وفقرهم يحولان دون نظافتهم فاذا اخذنا ما يستهلكونهُ من الصابون مقياس النظافة نجدهم قذرين غير نظيفين

وهم لا يعرفون كيف تفتك الحشرات كالبعوض والبراغيث والقمل والبق وكل ما يعرفونهُ عنها انها من الله . ولا يدركون ما لها من الاثر في امراضهم ونقل العدوى

في كل تلك المنطقة طبيب واحد موظف حكومي مركزه مصيف يقوم بأعمال المتوصف الحكومي ويزور القرى التابعة لمصيف مرة كل شهر وهو يقضي ستة ايام في الزيارة ينتقل من قرية الى اخرى وكل اعماله تنحصر في المعالجة والتطبيب وهو لا يحرك اصبعاً في تعليم الاهلين الوقاية من الامراض وما تستلزمه القوانين الصحية . وايضاً وجد ان الوقت لا يتسع لديه لتابع المعالجة لتصل حالة المريض الى ما يصح السكوت عليه وليس في حيازته ادوية لمحاربة بعض الامراض فلهذا زياراته قليلة الجدوى

ومتى عرف القارئ هذه الحالة يمكنهُ ان يقدر عمل مؤسسة الشرق الادنى حق قدره فقد انشأت كما اشرنا سابقاً متوصفاً سيارًا في القرى السبع التي اتخذت للدرس والاحصاء . ولم ينحصر عمل رجالها في التطبيب والمعالجة بل تناول حالات اجتماعية اخرى كانشاء صفوف للامهات والصبايا ومدرسة مجانية للاولاد الصغار وكانوا يستخدمون الفانوس السحري لشرح بعض الامور الصحية . وقد علموهم كيفية غرس الاشجار وبناء (المراحيض) . والذين قاموا بهذا

العمل طبيب وممرضات . فكان الطبيب يزور كل قرية مرة في الشهر وتقوم احدى الممرضات بزيارة القرى مرة كل اسبوع وهي كانت تذهب الى بيوت المرضى لتعالجهم هناك . وكثيراً ما كانوا يطلبون الى سكان القرية ان يحاضروا بعضهم من الامور الصحية ويضيق المقام عن سرد الحوادث التي قام بها اعضاء هذه البعثة ولكن في الحادثتين التاليتين قياس لما لا يتسع المجال لذكره

تموز (يوليو) ١٩٣١: دعيت (مس سلاك رئيسة الممرضات) لزيارة امرأة طرشاء (صمّاء) قال لها جارانها ان طرشها من الدواء الذي حقنها به الطبيب فلما وصلت اليها كثر زائرانها الذين كن يصرخن في اذنيها ساخرات وكان الوقت مساء فاستعنت بما لديّ من الآلات والادوية وفحصتها فوجدت شعرها وما لصق به من الاقذار قد لصق على اذنيها فالحال جززت شعرها ووصلت الى اذنيها فوجدت الاقذار قد سدتهما فأزلت الاقذار بالماء والصابون وللحال عادت اليها حاسة السمع

آب (اغسطس) ١٩٣١: امامنا حوادث حادة من عسر الهضم في الاطفال. والاطفال يسمح لهم ان يتناولوا كل ما تصل اليه ايديهم من المأكول. ولنجاتهم من اوجاعهم نجيء بهم الى مدارسنا ونعتني بهم اعتناء خاصاً ليستريحوا من اوجاعهم

وها كم ما قالته الرئيسة في تقريرها

كانون الاول (دسمبر) سنة ١٩٣٢: ان المراكز التي انشأناها لمعالجة اهل هذه القرى قد جعلت البدوي والعلوي والارمني على مستوى واحد فكل منهم كان يجيء الينا للمساعدة وكنا نحن نقوم بقسطنا من العمل بكل لذة وبأفضل ما لدينا من الطرق فبقينا مدة هذه السنوات الثلاث أصدقاء لهم كلهم وهم يقدرون لنا هذه الصداقة حق قدرها واننا نحسب هذه الفرصة منحة من الله . اما حالة البلاد بعد عمل المستوصف المذكور فتظهر من الاقرارين التاليين

« الحمد لله منذ جاءت الينا سلاك (Miss Slack) لم يبق عندنا مرض . والحكيمة جعلت قريتنا سماء »

« منذ سنوات لم نر اولاداً يلعبون في الازقة وكانوا جميعاً يموتون قبل مشيهم . اما اليوم ففي القرية ثلاثون منهم يركضون ويمرحون والفضل في هذا للحكيمة »

***

واذا اردنا ان نعبر عن التحسين بالارقام فنقول ان حالة هذه القرى تحسنت بين ٢٠ ٪ و٦٥ ٪ والفضل في هذا يعود الى مستوصف مؤسسة الشرق الادنى العامل الوحيد في تحسين هذه القرى

الدكتور ابرهيم

رواية مصرية لجون تل

عرض ونقد[1]: للدكتور ابرهيم ناجي

كان الكتّاب الاجانب الذين يكتبون عن مصر ، ينقسمون الى طوائف تجتمع في حقيقة واحدة واضحة وهي انهم لم يفهموها مطلقاً . فالطائفة الاولى مؤلفة من جماعة الكتّاب السياسيين وهؤلاء كانوا يعالجون الناحية السياسية من القضية المصرية ويهملون روح الامة . عاش بعضهم بين ظهرانينا ولكنهم لم يتصلوا الاّ بطبقة السراة والاعيان . عاشوا هنا معيشة ترفع فجهلوا كلّ ما يجب ان يعرفوهُ عن الفلاّح والعامل « ورجل الشارع » . لذلك اهملوا هذا العنصر العظيم المقام في حياة الامة ، عندما كتبوا عن مصر . اما الطائفة الثانية فجماعة المراسلين الصحافيين وهؤلاء في الغالب يجمعون حقائقهم من الزاجة الذين يحومون حول شبرد والكونتنتال وكوك او من صديق في حفلة شاي خاصة او من شيع الاحزاب . والغالب ان تكون معلوماتهم غير مستندة الى اساس صحيح او منزهة عن الغرض . ثم هناك جماعة السيّاح . فهؤلاء يكتفون بجولة حول الاهرام على ظهور الجمال او بزيارة للاقصر وخان الخليلي ، ثم يغادرون مصر وهم يعتقدون انهم عرفوا مصر وتغلغلوا في فهم اسرارها

ولكن المعلومات التي جمعها المستر تل ، صحيحة ، على الرغم من بعض اخطاء يسيرة تطرقت الى صفحات كتابه ، ولكنها لا تنقص بحال من الاحوال المستوى العالي الذي بلغهُ فيه

وهذه الرواية ، مفرغة في قالب ترجمة ، ترمي الى غرض خلقي . وقد غلبت النزعة الخلقية في الفصول الاولى حتى ليكاد القارىء ان ييأس منها ، ولكن لا يلبث الفنان في شخصية المؤلف أن يسيطر على السياق ، فيحلّ الوصف البارع لشخصيات الرواية ، محلّ الوعظ والارشاد . وعند ذلك يصبح الكتاب وكأنهُ قطعة من الحياة . فاذا ألقيتهُ من يديك أحسست ان المستر تل قد ادرك غرضهُ ، وهو طبع شخصية الدكتور ابراهيم في قلبك مدى حياتك . فليس في وسعك بعد الآن الاّ ان تذكر الطبيب المصري الذي لم يحلْ فقرهُ بينهُ وبين النبل والعزّة . ولا ريب في انك لن تنسى المثاليّ المصري الذي كافح الارتكاب والضعف والحيوانية

هنا يعترضنا سؤال : هل يجب ان يكون لاي رواية هدف خلقي ؟ وفي الرد عليه لننظر اولاً في الرواية وما هي . فقد وُصفت الرواية بأنها شكل ديمقراطي من أشكال الفن . وهذا يميز بينها وبين أشكال الفن الاخرى كالموسيقى والتصوير . فهما ارستقراطيان ولا بد أن يبقيا كذلك على الرغم من المساعي التي تبذل لتقريبها من الجمهور . كل انسان يستطيع ان يقرأ رواية او ان يذهب لمشاهدة رواية على لوحة الصور المتحركة ، ولكن التمتع بموسيقى بيتوفن او تصوير رفائيل ليس في متناول كل احد

ونفسية الرواية مبنية على حقائق نفسية عامة . فأعمال الناس جميعاً نتيجة رغبات اولية داخلية يشترك فيها جميع الناس . ولكنها تختلف بين الحدة والضعف في مختلف الناس . وهذه

الرغبات ليست بحد ذاتها صالحة ولا طالحة . انما هي لازمة للجنس ابقاء لهُ وحفظاً عليهِ . وكل ما هنالك ان الامر يتوقف على الاساليب التي تحقق بها هذه الرغبات . وفي بعض الاحيان يتوقف الامر على مقدار ما تكبت من رغباتنا لعجزنا عن تحقيقها . هنا ميدان واسع لنفسية الرواية . فالبطل — او البطلة — يحقق في سياق القصة او على لوحة الصور ، ما يتعذر علينا تحقيقهُ في حياتنا ، فنضع انفسنا محل ابطال القصص او بطلاتها ، من غير وعي ، ونجني من ذلك لذة خاصة ، او نحمل على طلب المزيد من قراءة القصص او مشاهدة الافلام ، مبالغة في هذه اللذة النفسية

هذا هو التفسير لاقبال الناس جميعاً على الرواية ، وهذا هو الباعث على ابداع بعض ما يشنف مع ما يسلّي ، في الروايات من افدم العصور . ولكن لنأخذ مؤلفاً عظيماً كتولستوي في رواية « آنا كرنينا » . ان الصور التي رسمها تولستوي في روايته خالدة، ولكن العبر الخلقية او الاجتماعية التي اراد التبشير بها واذاعتها قد طواها النسيان . ان هذه الآثار من الآيات الروائية الخالدة لما فيها من الوصف البارع للوسط ، وللشخصيات ، وللفجيعة ، علاوة على انها صادقة في تصوير الحياة . كان الغرض من الرواية ولا يزال — من رواية العهد الفكتوري بنزعتها الخلقية وعقدتها الآخاذة وثرثرتها احياناً ، الى فن جويس وفرجينيا وولف المعقّد — كان الغرض ولا يزال تصوير الحياة تصويراً صادقاً . وهذا هو سرُّ الخلود في فن الرواية . كانت المدرسة القديمة تعنى بهندسة الرواية ، واختيار حوادثها وترتيبها ، ولعلَّ رواية بيت « قصة الزوجات العجائز » ورواية فلوبير « مدام بوڤاري » من افضل الامثلة على ذلك . ولكن المدرسة الجديدة ، ترى ضعفاً في هذا البناء ، وتأخذ على كتّاب الجيل المتقدم من امثال بنت وولز انهم يرون الحياة ، عربة سائرة على طريق طويلة ضيقة ، وان حوادثها اشبهُ ما يكون بأعلام الطريق تتوالى بعضها في اثر بعض

ويؤكد ابناء العصر الجديد ان الحياة ليست كذلك ، بل هي كالحقل الفسيح ، وان الروائي يجب ان يملك النظر المشارف ، كأن عينهُ عين الطير المحلق ، يرى الحقل تحتهُ رقعة واحدة

وعما يبالغون في ذكره عند الاشارة الى الشعر وتأليف الروايات ان الشاعر والروائي يجب ان يتذكّر ان الحياة والعقل دائما التغيّر والتحوّل وان غرض الفنّان يجب ان يكون تتبع مراحل هذا التغيّر وتدوينها . الا ان لورنس (D. H.) نسيج وحده ، ويعتقد ان عمل الرواية يجب ان يكون تتبع التفاعل بين بطل الرواية والحياة . وقد استنبط جويس ما دعاهُ « معجم الاحلام » ولهُ الآن اتباع ومقلّدون . واني آسف اشدَّ الاسف ان ضيق الوقت يمنعني من تتبع ارتقاء الرواية الحديثة

من الصعب ، ان نعيّن المدرسة التي ينتمي اليها مؤلف الدكتور ابرهيم . ان لهُ في روايته غرضاً خلقيًّا ، وهو يكتب بأسلوب مدرسيّ . وهذه سمة الرواية في العصر الفكتوري. ثم ان الرواية من قبيل السيرة او الترجمة ، وتصف التفاعل بين البطل وهو الدكتور ابرهيم ، والحياة المصرية. فهو في هذا يمتُّ الى لورنس . وعلاوة على ذلك للرواية بناء متقن ، والحوادث فيها تتوالى وتوصف وصفاً بارعاً . هنا نفس فلوبير وبنت . ورأيي الخاص ان المستقبل تحيّر احسن ما وجدهُ في المدارس المختلفة ، مع ان هنالك ما يدلُّ ان يفضل المدرسة الفكتورية اسلوباً وهدفاً

***

فلننظر الآن في الرواية نفسها . ولد ابرهيم في اسيوط من والدين قبطيين فقيرين . وكان ابوهُ عطّاراً ، يبيع النباتات الطبية وامهُ سيدة مسيحية طيبة القلب . مرض لما كان في السادسة من عمره ، فعالجهُ حلاّق نكاد ينتهُ بعلاجه . والحلاّقون في القرى ، بمثابة مجرمين ، يرتكبون جرائمهم في خفية وسكون . وكل سعي يبذل لترقية صناعة الطب ، وتنقيتها من القذر والتدجيل ، يجب ان يتناول الحلاّقين في غير رفق ولا هوادة

وذهب ابرهيم الى مستشفى في احد الايام فرأى المرضى يضربون على بابه فبدت حينئذٍ في نفسه بذرة التململ والثورة . وكأنهُ عزم من ساعتها ان يصبح « حكيماً » . وتأيد هذا العزم في ذهنه عند ما زار مسلخاً حيث رأى الحيوانات تقتل بقسوة تثير الشفقة ، وهناك تلقى درسهُ الاول في التشريح على قتلى احد تلك الحيوانات

وشاء القدر ان يسخو على والدهِ فورث بضعة جنيهات من قريب متوفّى . فبعث بابرهيم الى المدرسة ، وبعد ما اتمَّ ابرهيم دراستهُ الابتدائية والثانوية ، جهز بالملابس وبقليل من المال وارسل الى القاهرة ليشرع في دراسة الطب . هنا ينتهي فصل الرواية الاول وعنوانهُ « اسيوط » . ولكن قبل ان ننتقل الى الفصل الثاني ، اودُّ ان انقل اليكم بعض الفقرات المختارة من مذكرات الدكتور ابرهيم . واليكم هذه الفقرة عن الانكليز :

« سأقول لاخواني المصريين ان الانكليز لا يفوقوننا ووجودهم في بلادنا عمل من اعمال الوحشية الامبراطورية منتزع من تفكير فاسد . ولكن لا تجادلوهم لان الجدل عقيم » ، او خذوا هذه الفقرة عن الامتيازات : « اشكر لك حمايتك ايها الانكليزي . نحن محميون ولذلك يتاح لقطّاع الطرق الاجانب أن يطلبوا بلادنا للغنمة » . أو خذ أيها القارىء هذا النصح الرشيد يلقيه والد ابراهيم على ابنهِ وهو يغير ملابسه : « لا تدع هذا التغيير إن يحملك على نسيان نفسك ، وعند ما تلبس هذا الرداء ليعلم الاجانب منك انهم لم يغيروا منك الاّ مظهرك الخارجي ، وانهم لم يمسّوا شيئاً في دخيلتك »

ونرى ابرهيم ، في الفصل الثاني ، ذاهباً إلى القاهرة بقميصة في النيل وعلى ظهر القبّانة

يجري عمليتهُ الجراحية الاولى اذ يضع خراجاً عميقاً في سيدة بعد ان يشخصهُ التشخيص الصحيح فتتنبأ لهُ العجوز بمستقبل باهر وانهُ سيصبح رجلاً عظيماً . قالت « اني ارى قلادة من الذهب حول عنقك . ولكن فيها حلقة غير ذهبية . وفي هذه الحلقة زهرة . هي هذه الحلقة التي سوف تتكسر ، فتخسر القلادة . وعندئذٍ تبحث عنها ولن تجد الاَّ الزهرة . فتحتفظ بها الى آخر حياتك

وكان قد فشا حينئذٍ وباء الهواء الاصفر على مقربة من اسيوط فيعترض رجال البوليس القيِّمون للحجر الصحي . فيلتقي ابرهيم هناك بطبيب الصحة الذي وكل اليهِ مكافحة الوباء . هذا هو الدكتور جاد الله . وهو رجل نبيل . فيقع من نفس ابرهيم موقعاً عالياً ، فيتبرع في الحال لمساعدتهِ في عملهِ الانساني العظيم . كان الوباء كالعاصفة المكتسحة ، والناس يسقطون موتى ، اكداساً فوق اكداس . ولم تكن الوسائل الصحية وافية فيمرض ابرهيم ويعالجه الدكتور جاد الله وينقذ حياته ، ولكن الدكتور يقع فريسة المرض بعيد ذلك ويلقى حتفهُ . ان وصف المشاهد في هذا الفصل من الكتاب من ابلغ ما يكون ، وانني لم اقرأ ما يضارعها الاَّ فصولاً في كتاب اكيل مونتي الموسوم « قصة سان ميشيل » حيث يصف وبأ الهواء الاصفر في ايطاليا

يحس ابرهيم بعد وفاة الدكتور جاد الله بألم الوحدة . هاهو ذا عليل لا يملك من الدنيا الاَّ اهتماماً بالية . لقد سرقت ملابسه ونقوده في خلال مرضه . فماذا يفعل

سار الى اقرب قرية وارتمى في ظل جدار ليصيب قليلاً من الراحة ، فلقي هناك الفتاة القروية عزيزة ، التي ربط مصيره بمصيرها

فاستقبل ابرهيم في دار عمها ، بما عرف عن سكان الصعيد من كرم الوفادة . ولكن زهرة الحب اخذت تنمو في قلبي ابراهيم وعزيزة . وكاني بالمسيو تل ينسى ان مشهد هذا الجانب من الرواية في الصعيد ، فيذكر ان الفتى والفتاة كانا يستلقيان على الارض جنباً الى جنب . فالتقاليد المرعية في الصعيد ، تحول دون هذا الاتصال الوثيق بين فتى وفتاة دع عنك فتاة مسلمة وفتى قبطيًّا غريباً . وإذا حدث هذا فاما ان يقتل الاثنان او يطردا من القرية في غلالة من العار

وكان سيدَ القرية سريّ يحمل لقب باشا . وقد وصفهُ المؤلف بما يلي : « اجتمع القرويون وصفقوا . ولكن الباشا كان لا يفكر في احد منهم . انهُ لم يرَ المصابين منهم بأمراض العيون او فقر الدم او تضخم الطحال . بل مضى على متن دابتهِ مترفعاً عنهم جميعاً وهو لا يفكر الاَّ في نفسه » . وكان للباشا ولد وحيد ، يدعى عباس ، كان ضخم الجثة ، فاسد الخلق وهو يذكرني بشخصية التذل التي وصفها هاردي في كتابهِ العظيم « تس » . نظر الى عزيزة فحسنت في عينه ، وبايماز منهُ أصدر الباشا امره الى عمها لكي يبعث بها الى قصره خادمة فيه . فيتفق ابرهيم وعزيزة على الفرار . ولكنهما

لا يلبثان حتى تكشفهم عيون عباس . فيهال اسيون عليهما ضرباً وتنزع عزيزة من ذراعي حبيبها

فاذا كان الفصل الثالث نجد ابراهيم وقد بلغ القاهرة ، وشرع في دراسة الطب ولكنهُ يعيش في حي فقير من احياء العاصمة ، في غرفة قذرة حقيرة في السيدة مع صديقه الشركسي ابو بكر . الفقر مخيم على معيشتهما ، فيعمدان الى اساليب بارعة في سبيل الخبز . ولكن نفس ابراهيم تتمرد ابداً على هذه المعيشة ، فيبحث عن طريقة تمكنه من كسب الرزق بعرق الجبين فيفتح مدرسة يعلم فيها اطفال الحي الفقراء لقاء جعل شهري صغير . وفي مقدمة ما يبثهُ في نفوسهم حب النظافة وحب الوطن . ويعمد الى التكرار والايحاء في طبع هذه المبادىء في الواح نفوسهم الحساسة . الا انهُ يساق في احد الايام الى القسم بتهمة التعليم من دون رخصة . ولكن الباعث الحقيقي على القاء القبض عليهِ نزعتهُ الوطنية . وبعد قليل يفرج عنهُ فيستقبله اخوانهُ الطلبة بالهتاف . ما انسل الآن وأساب العيش قد نفدت من يديهِ ؟ يذهب الى استاذه الدكتور هرمن ويبوح لهُ بحالتهِ فيمده بقليل من المال ، ويخلع عليهِ احدى بذلهِ ويشير عليهِ بأن لا يشتبك بعد ذلك بشؤون السياسة

ينتقل ابرهيم بعيد ذلك الى السكن في شبه اسطبل في الروضة ويكب على دراسة المؤلفات الطبية على حصير . واذ كان في احد الايام مكبًّا على الدراسة ، سمع صياحاً وصراخاً في الخارج فعدا الى صاحب الصوت فعلم ان سيدة انكليزية نبيلة ، كانت تزور البرنس علي بصحبة زوجها ، فلدغتها حية . فلم يفقد رباطة الجأش ، في تلك الساعة الحرجة ، وأنقذ حياة السيدة فلما عرض عليهِ مبلغ من المال لقاء خدماته رفض بإباء وشمم . فأحفظ ذلك الرفض صدر الامير عليهِ اولاً ولكن الامير ، اعجب بصراحة ذلك الفتى واخلاصهِ بعدئذٍ وقطع لهُ مبلغ جنيهين كل اسبوع ليقوم على معالجة كبده

ويختم هذا الفصل بحادث طريف . كان البرنس طاهر نسيب البرنس علي صيَّاداً ماهراً . فاصطاد في احدى رحلاته بعاماً « غورلاً » فحاول الاستاذ لارسن ان يحوّل البعام انساناً بحقنهِ حقناً تحتوي على خلاصة الغدة الدرقية . واذ كان الاستاذ لارسن يبسط اراءهُ في محاضرة عامة يفرُّ البعام ويلجأ الى دار الآثار المصرية . فيلحق بهِ الاستاذ الى داخل الدار ، ويحاول ان يستدرجهُ ليقبض عليهِ ولكن البعام المخيف يضمُّ سيِّدهُ ويضغط عليهِ فيكسر اضلاعهُ . فيطلق عليهِ الناس الرصاص من نافذة ويقتلوهُ

وهذه الحادثة ، سخرية بارعة يجب ان يقرأها فورونوف وشتيناخ واضرابهما

في الفصل التالي ينبئنا المؤلف ان ابراهيم قد فاز بالشهادة الطبية ، وعيّن مساعداً اكينيكيًّا بمستشفى قصر العيني . واليك وصف المستر تل للقهرمانة (رئيسة الممرضات) : كان وجهها

كبيراً مرناً . وفكّها كأنهُ من حديد . وكانت لا تحشى ان تلكم الذي احد عند ما يشتهي الامر ذلك، ولو كانت اذني مريض او ممرضة » . وهذا صحيح . واحب ان اضيف انها كانت لا تحشى ان تلكم اذني طبيب كذلك اذا اقتضى الامر

يحدّثنا المستر تل ان الدكتور ابراهيم كان صديقاً للشهرمانة ، التي كانت تقدم لهُ شراب الوسكي ، وعلّتهُ ان يدخن الغليون . ولما كنتُ قد تلقيت علومي في قصر العيني فيجب عليَّ ان أصرّح ان مثل هذه الصداقة بين الشهرمانة وأحد الاطباء مستحيلة . فقد كان لنا استاذ لعلم الباثولوجيا ، عجّهُ ويعطف علينا . فافترقنا دنياً لا يتفرّ في احد الايام اذ دعانا الى الشاي ، فرددنا دعوتهُ بمثلها ، والقينا في الحفلة التي اقامها لهُ الخطب وهتفنا لهُ هتافاً عالياً . فما انقضى زمن طويل عليهِ حتى عاد ، هذا الاستاذ البارع ، الى بلاده

فالصلة بين الاستاذ والطالب في قصر العيني كانت معدومة . كان معلمونا غرباء ، ونحتقرهم طبعاً . ولكننا تمرّدنا على هذا الاستبداد في سنة ١٩١٩ فدعانا الدكتور الذي يدعوهُ المستر تل في هذا الكتاب « دكتور ك » كلاباً فصفعناهُ . ولكن هذا من ذكريات الماضي ، وعيوننا تتطلع الآن الى فجر جديد

لنعد الى الدكتور ابرهيم . دخل الدكتور ابرهيم الجناح الخاص بالنساء في احد الايام ، فدهش اذ وجد عزيزة في احد الاسرّة . ولكنها لم تكن وحدها . بل كان معها طفل هو وليدها . فروت لهُ قصتها بعد ما انتزعت من ذراعيهِ وارسلت الى قصر الباشا . وكيف استباحها عباس ، وكيف طردت من القصر عند ما ظهرت عليها اعراض الحمل . فعزم ابراهيم في الحال ان يبذل ما في وسعهِ لينقذها . واخيراً فاز بنقلها الى الشقة الصغيرة التي كان يقطنها مع صديقهِ بكر . فتنام في الحجرة التي ينام فيها ابرهيم ، وينامها حاجز رقيق ، ولكن حبّها لابرهيم يطغى عليها ، فيقاوم ابرهيم التجربة ، لانهُ كان ينوي ان ينقذها وان يكون لها شقيقاً وحامياً . ولكن الوحش الجنسيَّ في صدرها ، يشبُّ عن الطوق احياناً فيدفعها الى ابرهيم وكأنها ضارعة خاضعة . الاّ ان بطلنا جبل لا تهزه الرياح . فيبحث لها عن عمل تعمله ، في مستشفى قصر العيني ، ولكنها لا تميل الى هذا العمل ، لانها لم تستطع ان تخضع غرائزها الثائرة . الاّ أن صاحبنا ابرهيم لا يخضع للوحش الفاغر فاه . فأما أنهُ تغلّب عليهِ واما ليس في تكوينهِ ذلك النزوع العنيف . اما انا فأظن انهُ على جانب من تبتل القديسين

ولكن الحال بين عزيزة وبكر ليست كذلك . فانهما يعتقدان ان ابرهيم ليس رجلاً وعند ما يجد ابرهيم صديقهُ بكر وعزيزة في حالة مشتبهة يقرعهما فيفران معاً

في الفصل الذي عنوانهُ دمنهور ، نجد ابرهيم طبيباً ثانياً في مستشفى دمنهور حيث يسود الفساد

والارتكاب راهان المرضى . وكان الدكتور التلمي مدير المستشفى على جانب عظيم من الدعوى والمرور . وكان فاسد الخلق يقبل الرشوة حتى من العواهر . وكان ابو برق رئيس « الترجمية » قاسي القلب مرتكباً . ان التمريض ليس صناعة الرحمان . وقد آن الوقت لازالة هذه الوصمة من مستشفياتنا

يرى ابرهيم الفساد فيحاول ان يمحو اثره ولكنهُ يخفق في ما يسعى اليه . وبعدما يضرب رئيس الترجمية يكتب تقريراً ضدَّ رئيسه ويبعث به الى الادارة الرئيسية في القاهرة . ولكن شهرته كطبيب كانت قد اخذت في الذيوع . فدعي الى مشاورة طبية مع رئيسه وطبيب يوناني . في بيت مالي يوناني . فصحَّح التشخيص الذي اتفق عليه رئيسهُ والدجَّال وأنقذ المريض من الموت بعملية جريئة . وكان هذا المريض نسيب سيدة يونانية بارعة الجمال ، عالية الثقافة ، ففاز باعجابها وما لبث ان تحوَّل الاعجاب الى شغف متبادل . فكانت تزورهُ في داره ، وتقرأ لهُ اشعار الشعراء الكبار ، وتعلمهُ اللغة الفرنسية . ولكن نتيجة تقرير وجاءت على غير ما يشتهي . فنقل من دمنهور الى ادفو ، فكسر هذا النقل قلب صاحبته اليونانية ، فحاولت اقناعه بالتخلف والاستقالة من منصبه الحكومي . قالت انها مستعدة ان تبذل كلَّ شيء في سبيله . بل وعدت بالانفصال عن زوجها اذا شاء . ولكن احساسهُ بالواجب اقوى من حبه فيخلفها في دمنهور ويذهب الى ادفو

كانت حياتهُ في ادفو حياة رتيبة ، لا توقُّع فيها ولا سلوى . ولكن حادثاً من تلك الحوادث التي يسوقها القدر لتغيير مقدَّرات الناس وقع لهُ . فقد كانت سفن السياح تقف في ادفو وكان في احدى هذه السفن سيدة انكليزية كان يظن انها مريضة بالروماتزم فجاء طبيبها الخاص يأخذ حقنة مورفين من الدكتور ابرهيم ليحقنها بها تخفيفاً لآلامها المبرحة . فتبرع الدكتور ابرهيم بزيارة المريضة وبعد ما فحصها أدرك أن الروماتزم ليس سبب علتها وألمها المبرح . فدعى طبيبان انكليزيان لمشاورة طبية من القاهرة فاحتقرا علمهُ ومقامهُ . ولكن السيدة الانكليزية وثقت به فعمل لها عملية جراحية عجيبة مستأصلاً ورماً كان يضغط على عمودها الفقري . وعند ما وصل زوجها من انكلترا ، وكان من كبار نبلائها ، كانت زوجتهُ قد تماثلت للشفاء ، فقد الدكتور ابرهيم اربعمائة جنيه . ولكن مفتش الصحة طلب منهُ نصف هذا المبلغ حتى يقدم فيه تقريراً طيباً فرفض ابرهيم هذا واستقال من منصبه ثم ذهب الى انكلترا ، حيث مارس الطب عشر سنوات ، بلغ في خلالها اعلى مراتب الشهرة بين اهل الاختصاص . ولكنهُ أصيب اخيراً بفشل وعاد الى مصر . فساقهُ القدر في خلال عودته الى باريس ، حيث وجد عزيزة ترقص في احدى حاناتها الليلية (كاباريه) فعادا معاً الى مصر حيث تزوجها وأخيراً مات ورأسهُ على صدرها بعد كفاح شديد ضد المرض

هذا ملخص وجيز لكتاب أخَّاذ يجب على كل مصري ان يقرأهُ

اللذة

في نظر فلاسفة العرب

للاستاذ فؤاد الاهواني

مبحث اللذة من الناحية الاخلاقية مبحث قديم بدأ منذ شرع الانسان يفكر ويرسم لنفسه سبل الحياة ، ويقدر ما يجب أن يفعل ، وما ينبغي أن يتجنب ، لان اللذة تنتهي إلى حدّ كبير الخير والشر وهما اساس الاخلاق كلها . واشهر النظريات القديمة التي دارت في اذهان الفلاسفة ، وجرت على ألسنتهم ، وشغلت اذهانهم زمناً طويلاً ، ولا تزال تشغل الذهن حتى الآن ، وسيظل الجدل حولها قائماً ما دام الانسان مقيماً على سطح الارض ، نظريتان عرفتا باسم اصحابهما ، وهما مذهب الرواقيين ، ومذهب الابيقوريين . فالرواقيون ينادون بالزهد والتقشف والبعد عن طيبات الحياة ، والانصراف عن المال والزينة والطعام الشهي ، والشراب السائغ والملبس الفاخر ، وكل هذه الاشياء التي يستمتع بها الانسان ويشعر بها لذة الحياة . ويمارسهم ابيقور قائلاً لِمَ خلق الانسان ؟ يجب ان يسعى جهده الى تحصيل لذة العيش ، واجتناب كل ما يدعو الى الالم ، ولكنهُ يقسم اللذة الى انواع ، لذة جسمية ولذة عقلية ، ولذة عاجلة تستتبع ألماً ، ولذة خالدة ، وان اللذة العقلية افضل من الجسمية ، واللذة المستقبلة خير من اللذة العاجلة ولسنا في صدد الكلام في اطالة عن هاتين النظريتين ، وانما اردت ان أسوقهما للدلالة على الخلاف القائم بين الناس فيما يتعلق بهذا الصدد ولأن هذين المذهبين قد اشتهرا بحيث اصبح اسم الرواقي يطلق في الاصطلاح واللغة على الزاهد الصادف عن اللذة ، واسم الابيقوري يرادف المقبل عليها

وقد ذهب فلاسفة المسلمين مذاهب شتى في هذا الصدد ، ونستطيع ان نرجع آراءهم إلى نظريات ثلاث : الاولى ان اللذة الحقة هي سعادة الآخرة ، وعبادة الله ، واتباع اوامر الدين ، والانصراف عن نواهيه . والثانية : ان اللذة هي تحصيل العلم ، وتحكيم العقل . والثالثة : أن اللذة في الاعتدال

وأنصار المذهب الاول هم المتصوّفة ، وأنصارهم كثيرون في الاسلام ، وأغلب فسقتهم مستمدة من الدين الاسلامي . فقد اقتطعوا من القرآن الآيات التي تحض على سعادة الآخرة ، مصداقاً لقوله تعالى « وللآخرة خيرٌ لك من الاولى » وفي سورة الاسراء « انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض ، وللآخرة اكبر درجات وأكبر تفضيلا » . والآيات كثيرة لا نريد ان نسردها جميعاً ، ولكن الآية التي يستند اليها اكثرهم ونجدها في اغلب الكتب والرسائل هي « اما من طغى وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هي المأوى »

والدافع الاكبر الذي دفع هذه الطائفة الى اصطناع التصوف انهم رأوا أن قد « زان الورع وطوى بساطه ، واشتد الطمع وقوي رباطه ، وارتحل عن القلوب حرمة الشريعة ، فمدوا قلة المبالاة بالدين أوثق ذريعة ، ورفضوا التميز بين الحلال والحرام ، ودانوا بترك الاحترام ، واستخفوا باداء العبادات ، وأستهانوا بالصوم والصلاة ، وركضوا في ميدان الغفلات ، وركنوا الى اتباع الشهوات . . . . . »[1]

لذلك دعوا الى الزهد ، وهو سلو القلب عن الاسباب ، ونفض الايدي من الاملاك ، وهو الثقة بالله تعالى مع حب الفقر ، وهو استصغار الدنيا ومحو آثارها من القلب . وقال الحسن البصري الزهد في الدنيا ان تبغض اهلها وما فيها

وهناك فلاسفة دينيون اقل غلوًّا من المتصوفين والداعين الى الزهد وترك الدنيا اصلاً ، وهؤلاء هم اهل الشرع الذين يفرقون بين الحلال والحرام ، ويحثون الناس على الاستمتاع باللذة الحلال دون غيرها . وقد ينادون بالصدوف عن اللذات والاقبال على الشهوات فترة من الزمن يكون الغرض منها تقوية النفس وتطهيرها من الادران ، وتسمى هذه الفترة بالاعتكاف ، وهو « عكوف القلب على الله تعالى ، وجمعيته عليه ، والخلوة به والانقطاع عن الاشتغال بالخلق ، والاشتغال به وحده سبحانه ، بحيث يصير ذكره وحبه والاقبال عليه ، في محل هموم القلب وخطراته . . . . . ويصير أنسه بالله بدلاً عن انسه بالخلق . . . . . »[2]

والنظريتان الاخريان ، مرجعهما إلى فلاسفة اليونان ، ومن العسير أن نجد نظرية من هذه النظريات خالصة عند اطباء العرب وحكمائهم بل هي مزيج من آراء اليونانيين مع ما قد اضيف اليها بعد ذلك

أما ابن سينا فانهُ يرى أن « اللذة ادراك لما هو خير عند المدرك والألم ادراك لما هو شر ، وقد يختلف الخير والشر بحسب القياس »[3] هذا هو التعريف الذي يضطلع عليه ابن سينا ،

(١) الرسالة القشيرية في علم التصوف ص ٢و٣ (٢) زاد المعاد لابن القيم الجوزي ، ج ١ ص ٢١٤٢٤
(٣) كتاب لباب الاشارات لفخر الدين الرازي ص ١٢٣

وهو التعريف النفساني هذا ، أما الجهة الاخلاقية ، وهي ما يجب أن تكون عليه اللذة في رأيه انها اللذة العقلية ، لانها اشرف من الحسية ، وفي ذلك يقول « لما ثبت ان اللذة عبارة عن ادراك الملائم ، وثبت ان الملائم لجوهر العاقل أن يتمثل فيه جلية الحق قدر ما يمكنه أن يناله منه بنهاية الذي يخصه ، وثبت ان الادراك العقلي اشرف من الادراك الحسي ، لان الادراك العقلي خاص الى الكنه ، والحسي واقف على السطح بالمحسوسات قليلة ، والظاهر أن مدركات القوة العقلية أشرف من مدركات القوة الحسية . . . . . »[1]

أما الفارابي فانه يقول بأن اللذة يجب ان تسعى الى الحق فقط تارة ، ويعود الى فكرة الاعتدال في بعض كتبه الاخرى تارة اخرى . فهو يقول في رسالة صغيرة عنوانها « ما ينبغي ان يتقدم قبل تعلم الفلسفة » : « وأما الحال التي يجب ان يكون عليها الرجل الذي يؤخذ عنه علم ارسطو فهي أن يكون في نفسه ما قد تقدم ، وأصلح الاخلاق من نفسه الشهوانية كيما تكون شهوته للحق فقط لا للذة ، وأصلح مع ذلك قوة النفس الناطقة كيما تكون ارادته صحيحة »

والنظرية الثالثة السائدة اغلب كتاب الاخلاق عند العرب ، هي النظرية القائلة بالاعتدال ، أو نظرية الوسط ، وهي في خلاصتها مستمدة من ارسطو . وأساسها ان الانسان مركب من ثلاثة قوى ، القوة العاقلة ، والقوة الغضبية ، والقوة الشهوانية . وان اصول الفضائل اربعة : الحكمة وهي فضيلة القوة العاقلة ، والشجاعة وهي فضيلة القوة الغضبية ، والعفة وهي فضيلة القوة الشهوانية ، والعدالة جملة هذه اللوازم ، وميزان هذه الفضائل

ويرى الغزالي ان اللذة ضرورية لسببين ، الاول لانها تتمم الحياة ، والثاني لان الاحساس بها يرغب في الجنة ويحذر من النار ، وفي ذلك يقول « فانهم ان لم يحسوا بهذه اللذات والآلام لم يرغبوا في الجنة ، ولم يحذروا النار ، ولو وعدوا بما لا عين رأت ، ولا اذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، لما أثر ذلك بمجرده في نفوسهم »[2]

ثم يفصل الغزالي بعد ذلك ما يجب على الانسان أن يفعله ازاء اللذات المختلفة فيقول «وعلى الانسان ان يراقب شهوته ، والغالب عليها الافراط ، لا سيما الى مقتضى الفرج والبطن والى المال والرياسة وحب الثناء . والافراط والتفريط في كل ذلك نقصان وانما الكمال في الاعتدال ومعيار الاعتدال العقل والشرع . . . . . ومن عرف هذا كان قصده من الطعام التقوي على العبادة دون التلذذ به ، فيقتصر ويقتصد لا محالة ولا يشتد اليه شرهه ، ويعلم أن شهوة الجماع خلقت فيه لتكون باعثة على الجماع الذي هو سبب بقاء النوع محفوظاً ليطلب النكاح للولد والتحصن لا للعب والتمتع »[3]

---

(١) كتاب رأب الاشارات لفخر الدين الرازي ص ١٢٤ — ١٢٥ (٢) العمل للغزالي ص ٧٠
(٣) ميزان العمل للغزالي ص ٦١ و ٦٢ . تقديم امين دنيا بمصر . الطبعة الثانية

والفارابي رأيٌ لطيف ذكره في كتابه آراء اهل المدينة الفاضلة ، فقد ذكر الصفات المختلفة التي يجب ان يتصف بها صاحب الفضل ، وطالب الكمال ، فقال « ان يكون غير شره على المأكول والمشروب والمنكوح متجنباً بالطبع للعب ، مبغضاً للذات الكائنة عن هذه » فهو هنا لا ينكر الاقبال على اللذة اصلاً ، ولكنهُ يطلب الاعتدال ، وعدم الشراهة ، وذكر عن المال « ان يكون الدرهم والدينار وسائر اعراض الدنيا هينة عنده » وعلى العكس من هذا ، مضادات المدينة الفاضلة ، وهي المدينة الجاهلية ، والفاسقة ، والمتبدلة ، والضالة . وصفات هذه المدن هي التي ينكرها الفارابي ، ولا تتفق عنده مع الاخلاق الفاضلة ، فقال عند الكلام على مدينة الشقوة والخسة انها « هي التي قصد اهلها التمتع باللذة من المأكول والمشروب والمنكوح وبجملة اللذة من المحسوس والتخيل ، وايثار الهزل واللعب بكل وجه ، ومن كل نحو »[1]

ولا يخرج رأي الرازي في خلاصته عن نظرية الاعتدال ، وهو الرأي الذي وضحه اشمل الايضاح في « الرسالة الفلسفية » التي كتبت عنها في عدد سابق من المقتطف . ويرجع السبب في بيانه هذه النظرية الاخلاقية الى أن « ناساً من أهل النظر والتمييز عابونا واستقصوا لما رأونا نخالف سيرة امامنا سقراط الفيلسوف » وهي الجملة التي استهلَّ بها رسالته . ويرى الرازي انهُ لا حرج على الانسان أن يستمتع باللذات المباحة التي هي قوام الانسان والمجتمع ، ولكنهُ يفصل بعد ذلك اللذات المطلوبة ، والحدود العليا والدنيا للذات . وهو يرى أن « المغبون من اشترى لذة بائدة منقطعة متناهية ، بدائمة باقية غير منقطعة ولا متناهية . لذلك لا ينبغي ان نطلب لذة ، لا بدَّ في الوصول اليها من ارتكاب امر يمنعنا من التخلص الى عالم النفس ، او يوجب ألماً مقداره في كميته وكيفيته اعظم وأشد من اللذة التي آثرناها . واما سائر ذلك من اللذات فباحة لنا » . ويقول في تفصيل حدود اللذة « الحد الاعلى للذة ، ان يمتنع الانسان من اللذات التي لا يمكن الوصول اليها الاَّ بارتكاب الظلم والقتل . والحد الاسفل ، اعني في التقشف والتقلل ، فان يأكل الانسان ما لا يضره ولا يحرص عليه ، ولا يتعدى الى ما يستلذه غاية الاستلذاذ ويشتهيه فيكون القصد اليه للذة والشهوة لا لسد الجوع »

وهو يطعن اكبر الطعن على اولئك الذين يؤلمون انفسهم بالابتعاد كلية عن اللذات المباحة ، مثل الرهبان في المسيحية ، والمتصوفين في الاسلام ، ولكنهُ لا يرى بأساً على الرجل الفيلسوف ان يترك كثيراً من هذه المباحات ، اذا كان الغرض منها تقوية نفسه ، وتعويدها العادات الحسنة

الواقع إن الآراء السابقة المختلفة ان هي الاَّ خليط من فلسفة اليونان ، ولعلَّ أحداً يدرسها دراسة اشمل ويحققها تحقيقاً أوسع ، فيردها الى اصولها اليونانية ، ويبين ما اضافه العرب اليها

(١) آراء اهل المدينة الفاضلة للفارابي ، مطبعة التقدم . الطبعة الثانية سنة ١٩٠٦ ص ٦٦ و ٦٧ و ٦٨ و ٦٩

مؤتمر أذرح

بحث في وقائعه

للدكتور عبد الله الدرعاني

لا مراء في أن مؤتمر أذرح او مؤتمر التحكيم الذي انعقد بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان بعد واقعة صفين وكانت نتيجته وبالاً على عليّ وفوزاً باهراً لمعاوية ، كان من اهم الحوادث الخطيرة الحاسمة في تاريخ الاسلام السياسيّ لانهُ بمثابة نقطة التحول بين ضربين مختلفين من ضروب الحكم التي توارت على الدولة الاسلامية، بل مظهرين متنافرين من مظاهر تطورها: خلافة الراشدين في صلابتها واستنهاجها سيرة النبيّ « صلعم » واستمساكها بشعائر الاسلام ومثله العليا ، ودولة الامويين في مرونتها وائتثارها المُثُل الجاهلية في السياسة والحكم من حيث توفرها على الملك واستفحال العصبية القبلية فيها

لكن من المؤسف أن حظ هذه الحادثة الفذة الخطيرة من وضوح الدلالة ودقة الابانة في الرواية الاسلامية ضئيل بحيث لا تكاد تراها تبين من فرط العبث والتشويش المحيطين بها : فأين ومتى كان انعقاد مؤتمر التحكيم ، وما الوسائل التي تذرّع بها عمرو بن العاص لخداع أبي موسى الاشعري ؟ ثم أكان أبو موسى ذلك الرجل المؤمن الغرّ الضعيف الرأي الذي تأوّله عامة المصادر ، أم ثمة بواعث نفسية دقيقة قد اصطنعها ابن العاص للتأثير فيه فاضطرتهُ الى خذلان علي ونبذ قضيته ؟ . . . . جلي ان كل اولئك من المغامز التي لا يمكن الباحث اليوم تجاهلها ولا إغفال ذكرها . زِدْ عليه أن معظم المصادر الميسورة لهذا العهد إن لم تكن كلها هاشمية النزعة فانها لا تهتمّ بأبراز وجهة النظر الاموية بل لا تنظر إلى سير الحوادث بعين المعدلة البريئة من الهوى :

واذ وضح ذلك فلا بد من التنبيه الى ما يذهب اليه بعض ثقات المستشرقين من نكران حيلة عمرو الشهيرة ، بينما كلمة المؤرخين واولي التحقيق من اهل الرواية الاسلامية تكاد تجمع على التسليم بصحتها وان كانت على التدقيق مختلفة في تعيين شكلها وتحديد ماهيتها . فيذهب الاب لامنس [1] وهو ثقة في هذا الموضوع إلى أنها لو وقعت حقًّا لرفعت من شأن علي ولدعمت

(١) انظر في دائرة المعارف الاسلامية مادة « اذرح » للامانس

مركزه وعززت مكانته ، هذا على حين نعلم أن معظم أعوانه لذلك العهد كانوا فريقين : فريقاً لم تحنكه الاحداث قاتلت عليه القصد من ربط المصاحف في اطراف الرماح ، وعرب عليه ذلك العاون الكبير بين ابي موسى وعمرو بن العاص من حيث الكفاية والدراية والاضطلاع بمهام الامور والمدد في الخصومة ، فذا عن التحقيق أحد دهاة العرب المعدودين الذين ضربت في دهائهم ومكرهم وصائب رأيهم الامثال ، وذاك رجل من أوساط الناس غلب قوله على رأيه واشتهر في بداءة أمره بمعاداة علي وانحرافه عنه . وفريقاً اريباً عاقلاً تفاعس وتقاعد ولم ينشط إلى نصرة علي لكامل رغبته وهو الفريق الذي يتهمه الشيعة بموالاة معاوية

يتضح مما تقدم أن هؤلاء وأولاء جميعاً كانوا غيراً كفاء لان يهيئوا هذه الفرصة السديدة التي أتاحها لهم عمرو بن العاص بحيلته وخدعته واستغلالها في اثارة كوامن الحقد والنقمة في نفوس المسلمين على هذا الرجل (عمرو بن العاص) رام الكيد للاسلام والعبث بصفوف المسلمين ، لغلبة الجهالة وسوء الرأي على البعض — كما فرط — وانتفاء الباعث لدى البعض الآخر ذهابه في ذلك مذهب التعرض والتحرف والتفريط بحقوق صاحبه . ومن ثمة كان لربط المصاحف في أطراف الرماح أثر بعيد في توسيع شقة الخلاف بين صحب علي بحيث أخذ الفساد يدب في صفوفه منذ بدء الدعوة إلى المؤتمر ، وبات كل فرد يتهم أخاه او قريبه وتضاربوا بالسياط وصاروا يأخذون بعضهم بشعور بعض وقالوا كفر الحكمان لاحكم الا لله[1] والواقع ان علياً لقي من عنتهم وتأذيهم عنه وسوء رأيهم فيه رهقاً بارحاً ضاق به ذرعه وحُصرت منه نفسه ، حتى لترى إليه وقد عيي بهم وعجز عن إصلاحهم يروم رأب صدعهم وابتعاث نواشيء الهمة واحترام الذات في نفوسهم بمقارنة خورهم وتداعيهم بقوة أهل الشام وفضل انقيادهم لمعاوية فاذا كان ردهم عليه ؟! « اولئك اعز إعا علينا انفسنا ؟ : »[2]

فهل يرتقب منه بعد ان خبر عجزهم وانكالهم وانصرافهم الى نفوسهم يحاسبونها على كل صغيرة وكبيرة غير مكترثين لجند الشام وما يبيته جند الشام لهم من الشر والوقيعة أن يطن سخطه على عمرو واستكاره لحيلته الخادعة ؟ اللهم لا . . . واذا كان ثمة امرؤ خليق بأن يستهدف لسخطه وصواعق نقمته فذلك على الحقيقة هو أبو موسى الاشعري الذي نكث به وعبث بحقوقه المتوجة عليه كممثل له في المؤتمر . وفي الحق أراد علي ان يمتثل منه غير انه بادر الى الفرار والحق بمكة حيث أصاب على حد قوله قوماً صغروا من ذنبه وعظموا من شأنه[3]

ويستطرد الاب لامانس فيقول لو كانت هذه الخدعة واهنة فلم أخذ أهل العراق الى السكينة ولم لم يرفعوا عقيرتهم معلنين للشهداء استكارهم لها وسخطهم عليها ؟ . . . الا انا نعلم أن ليس

(١) تاريخ اليعقوبي بون ١٨٨٣ م ص ٢١٢ (٢) الاخبار الطوال للدينوري ليدن ١٩١٢ م ص ٢٠٥ (٣) العقد لابن عبد ربه ج ٢ ص ٢٩١

من المنطق في كثير ولا قليل أن يسلك أهل العراق في تلك الضائقة الشديدة سلوك الرجل الواثق من عدله ورأيه وحزمه ، لانهم كانوا في حالة من اثار الغضب العنيف لا يملكون معها صبراً ولا نصراً بل لا يستطيعون حلاً ولا عقداً وأحرى بهم في تلك الثورة الفكرية أن يدب دبيب اليأس والقنوط الى قلوبهم وتتفرق كلمتهم ويصبحوا من أمرهم شيعاً وأحزاباً ! وعلى الرغم من ذلك فقد تحركت في نفوس بعضهم عوامل السخط والنقمة والاستنكار فقنع شريح بن هانيء وهو قائد الكوكبة التي أرسلها علي الى المؤتمر عمرواً بالسوط حتى أدماه [١] . وهل كان بوسعه أن يجري في إبداء نقمته الى النهاية ، وقد كان جند الشام واقفين لهُ بالمرصاد . ثم من يدرينا فلعله لم يكن صادق المودة لعلي كبعض الزعماء والرؤساء الآخرين . وأخيراً يقول أما كان أحرى أن تستفز هذه الحادثة الفريدة عوامل الاشمئزاز والاستنكار في نفوس كبار الصحابة والمجاهدين ممن شهد التحكيم ورأى بعينه هذه المؤامرات المنكرة التي ما أنزل الله بها من سلطان ؟ أجل ! ومن ثمة يحدثنا الطبري أن « سعداً قد شهد مع من شهد الحكمين وأن ابن عمر لم يدعه حتى أحضره أذرح فندم فأحرم من بيت المقدس بعمرة » [٢] ويقول المسعودي « ومضى سعد وابن عمر الى بيت المقدس فأحرما ! » [٣]

ويتساءل الاستاذ النصولي « كيف تفسر ثورة الحريت بن راشد ذلك الذي أخلص لعلي وشهد معركتي صفين والنهروان ولم يندفع البتة مع تيار الخوارج لو خدع عمرو أبا موسى هل يعقل أن ينفخ في بوق الثورة وينشق على علي بن ابي طالب بينما يعلم أن صاحبه خدع خدعاً » [٤]

ولكن أكان الحريت حقاً من الاخلاص لعلي والتعصب لهُ واليه كما يتصور الاستاذ ؟

يروي الطبري أن علياً أهمل الحريت كي يناظره فلم يبأ هذا بالامر وخرج شخصياً متسللاً دون ان يراه أحد [٥] فلو كان لديه مثقال ذرة من الاخلاص لعلي أما كان بوسعه التمهل ريثما تكشف لهُ الحقيقة وتتبدى لهُ اعذار علي فلعلهُ كان مغبوناً ، ولكن لم التريث والانتظار وقد كان مزمعاً الخروج مهما كلفه الامر !

وأخرى أنيس للمرء أن يستخلص من رواية الطبري أنه كان يأتي لكل فرقة على هواها فيسايرها ويجاريها ويزيد لها أقوالها [٦] أن الحريت لم يك من رجالات علي المخلصين بل لعله لم يكن من أولي البادىء القويمة والاغراض النبيلة ! . وعلى أية حال فلو أردنا مجاراة هؤلاء المستشرقين في نكران هذه الخدعة الشهيرة فان منطق الحوادث يدعو الى اقرارها ووجوب

(١) تاريخ الرسل والملوك للطبري ليدن ١٨٧٩ - ص ٣٣٥٩ (٢) الطبري ج ١ ص ٣٣٥٤
(٣) مروج الذهب للمسعودي طبعة برنيرج ٤ ص ٤٠٠ (٤) معاوية بن ابي سفيان بيروت ١٩٢٤ م ص ٢٣ (٥) الطبري ج ١ ص ٣٤٠٩ (٦) الطبري ج ١ ص ٣٤٣١

التسليم بها . والاَّ فكيف تفسر انصراف معاوية الى أخذ خليفة [١] بينما مجرد الوصول الى الشورى كان في ذاته فوزاً باهراً لهُ وهو الذي كان على قاب قوسين او أدنى من الهزيمة

بل كيف تفسر حملة مصر التي خرجت من الشام بعيد المؤتمر بوقت قليل لا يكاد يتسع لتحضير عدتها وعديدها [٢] ، الاَّ ان تكون هذه الحملة مدبرة مبيتة مما يحمل على الظن بأن عمراً كان معتزماً أخذ أبي موسى وصحبه بالحيلة . ولا غرو فقد بدأ عمرو بالخداع والحيلة فليته ايضاً بالخداع والحيلة !

وكيف تفسر ايضاً فرار أبي موسى والتحاقه بمكة . ألم يكن لهُ عصبية قوية بين أهل العراق كان من قوتها وبلغ تأثيرها أنها اختارته لتمثيل علي في المؤتمر وهو الذي كان يخذله ويفرق الناس عنهُ . فهل كانت تعجز مثل هذه الثقة القوية عن مظاهرته والدفاع عنهُ حين ذهب يدعو الى جعل الامر شورى بين الناس وهي على ما نعلم من سمو المكانة في نظام الدولة السياسي ! لا مراء في أنهُ لو ذهب يدعو اليها لما تهاون هؤلاء في أمره وتركوه طريداً وحيداً شريداً

هذا الى ان الاتفاق على جعل الامر شورى بين الناس معناه الوصول الى نتيجة مرضية يقبلها جمهور المسلمين ويستروح اليها . فكيف تفسر قول ابي موسى يخاطب به عليًّا حين لحق بالحجاز « وأصبت قوماً صغروا من ذنبي ما عظمتم ؟ وعظموا من حقي ما صغرتم [٣] » وقول بعضهم « ألا إن هذين الرجلين اللذين اخترتموها حكمين قد نبذا حكم القرآن من وراء ظهورهما ؟ وأحيا ما اماته القرآن . واتبع كل واحد منهما هواه [٤] بغير هدى من الله فحكما بغير حجة بينة ولا سنة ماضية واختلفا في حكمهما [٥] » ورواية بعضهم « مررت مع ابي موسى بدومة الجندل فقال حدثني حبيبي انه حكم في بني اسرائيل في هذا الموضع حكمان بالجور وأنه يحكم في امتي في هذا المكان حكمان بالجور قال فما ذهبت إلاَّ ايام حتى حكم هو وعمرو بن العاص فيما حكما [٦] » . وقول ابن ايمن يخاطب به ابا موسى فيما قال :

تعض الكف من ندم وماذا يرد عليك عضك للبنان [٧]

وقول ايمن بن خريم بن فاتك الاسدي :

لكن دموكم يوغد من ذوي يمن لم يدر ما ضرب الخماص لاسداس [٨]

وقول زيد بن عبد الله الراسبي (وهو من اهل حروراء)

---

(١) الدينوري ٢١٥ والمسعودي ج ٤ ص ٤٠٦ والعقد ج ٢ ص ٢٨٦ (٢) الطبري ج ١ ص ٣٤٠٧ (٣) العقد ج ٢ ص ٢٩٢ (٤) لفت النظر الى هذه العبارة لانها تدل دلالة صريحة على ان الحكمين اختلفا ولم يصلا الى نتيجة بله نتيجة مرضية (٥) الطبري ج ١ ص ٣٣٦١ ج ٤ ص ٤٠٧ (٦) معجم البلدان لياقوت ج ٢ ص ٦٢٨ والمسعودي ج ٤ ص ٣٨٣ مهما دل ظاهر هذه الرواية على الوضع والاختلاق فانها بلا مراء تدور على فكرة اساسية هي فكرة الجور وبالطبع لو حكم الحكمان بالشورى واتفقا عليها لما دعي ذلك جوراً (٧) المسعودي ج ٤ ص ٤٠١ (٨) المسعودي ج ٤ ص ٤٠٠

وتحكيمكم عمراً على غير توبة وكان لعمر الله خطب من الخطب
فأنكصهُ للعقب لما خلا له فأصبح يروى من ذرى خالق سلب

وقول الآخر :

. . . ويبس يهادي أمة من ضلالة بدومة شيخا لتنة غيبان [1]

قد نفهم من لفظة مختلفين الواردة في بعض الشواهد انها تشير الى اتفاق عمرو وابي موسى على خطة موضوعة ثم اختلافهما بعدئذٍ . غير اننا لا نستطيع ان نفهم من لفظة غادر وبعد وشيخا فتنة عميان وما اليها الا انهما قد ضلا سواء السبيل ونبذا حكم القرآن وراء ظهورهما . هذا واعتبر قول الآخر يخاطب به ابا موسى : تمض الكف من ندم وماذا . . .

فأي ندم يكون هذا الذي يحتاج معه ابو موسى الى عض الكف والبنان . . . غير تورطه ووقوعه في الشرك الذي نصبه له عمرو كما تذهب الرواية . ومهما يكن الامر فان جميع هذه الصفات على اختلافها لا تواتم مبدأ الشورى ولا الداعين اليه من المسلمين كما سلف . وعن ذلك فقد تأدى الينا من هذا البحث كله ثلاث روايات مستقلة نورد أيا من الفائدة عرضها على القارىء

فالرواية الاولى تذهب الى ان الحكمين قد مشيا في السفارة واتفقا على خلع علي ومعاوية وجعل الامر شورى بين الناس ، لكن عمراً رام الكيد لاهل العراق فقام بعد ابي موسى وخلع عليًّا واثبت معاوية متوخياً في ذلك التأثير على جموع المسلمين الحاشدة المتحفزة بحاتم كان قد هيّأه لهذا الامر [2] . وتذهب الرواية الثانية الى ان عمراً أراد الخلافة لولده ثم لنفسه وأن هذا الرأي لم يقع موقعاً حسناً في نفس ابي موسى فتنابذا وانحاز أبو موسى بمكة [3]

واما الرواية الثالثة فتذهب الى ان عمراً أراد أخذ أبي موسى بالخداع والحيلة فصبح لهُ في الكلام وسعه رجاء ان يهديهُ عقله ورأيه الى حلٍّ يكون فيه الخلاص من هذه الحرب المبيدة التي طوّحت بصاحبه وكادت توردهُ موارد التلف والهلكة ، الى ان قال أبو موسى «علمٌ الى أمر يصلح الله تعالى به أمر أمة محمد (صلعم) فقال عمرو وما هو قال أبو موسى قد علمت أن أهل العراق لا يحبون معاوية أبداً واهل الشام لا يحبون عليًّا أبداً فلعلَّ الله يصلح بين هذه الامة فنخلعهما جميعاً ونستخلف عبدالله بن عمر» . . . «وكان عبد الله بن عمر على بنت أبي موسى فقال عمرو أيفعل ذلك عبد الله قال أبو موسى نعم اذا حمله الناس على ذلك . فصمد عمرو الى كل ما نبه اليه أبو موسى فصوبه . . . فقال عمرو أما اذا رأيت الصلاح في هذا الامر والخير للمسلمين فقم واخطب الناس واخلع صاحبنا معاً وتكلم باسم هذا الرجل الذي تستخلفه . فقام ابو موسى وقال . . . واستخلفنا رجلاً قد

(١) العقد ج ٢ ص ١٩٤ (٢) المعجم ج ٢ ص ٦٢٨ (٣) المسعودي ج ٤ ص ٣٩٩ والدينوري ص ١٤
(٤) المسعودي ج ٤ ص ٤٠٢

صحب رسول الله (صلعم) بنفسه وصحبه أبوه وأطراه ورغب الناس فيه ثم نزل . فقام عمرو وحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله (صلعم) ثم قال أيها الناس ان أبا موسى عبد الله بن قيس قد خلع عليًّا وأخرجه من هذا الامر الذي يطلب وهو أعلم به ألا واني قد خلعت عليًّا وأثبت معاوية عليّ وعليكم »(١)

وفي الحق كان يجب ان تكون في غنية عن ذكر الرواية الاولى هذه لولا انها فيما يغلب على الظن الرواية التي يصوب اليها الاناس ومن اليه من المستشرقة سهام نقدهم ومجرمحهم لما يلابسها من روعة السّرْد وبراعة القصص . والواقع انها في حالة بائنة من الحجز والقصور والنبوّ عن مقتضى الحوادث ومنطقها الطبيعيّ المطّرد من حيث انها لا تفسّر لنا الدوافع التي أدت الى فرار أبي موسى الاشعري يُعَيِّد ارفضاض المؤتمر بينما هو لم يفارق ذنباً يؤاخذ عليه سوى اعتناقه مبدأ الشورى ودعاوته الشريفة اليه وهو ما علمت من سمو المكانة والاعراق في نظام الدولة السياسي ، كما انها لا تنهض لحظة امام ما تترسمه الرواية الاسلامية من الشواهد والحجج الوافرة التي تقدح في نزاهة الحكمين وفي التزامهما سنة الله الجامعة العادلة غير المفرقة

وأما الرواية الثانية فلعلها خير من الرواية الاولى وأبقى باعتبار ان ما فعله عمرو بن العاص في المؤتمر من الدعاوة لولده ثم لنفسه من قبيل المناورات السياسية البارعة التي كثيراً ما يتذرع بها فطاحل السياسة وأفذاذها المخلدون متى عزت الحلول واستعجمت السبل وساء ما ينشدون ! وفي الواقع ، اكان عمرو ملزماً بحكم ما كان آخذاً به نفسه من الافساد على عليّ والذود عن معاوية باتخاذ شيء من الاجراءات فوق ما اتخذ وأنجز ، بعد اذ خالفه النصر في الاولى ولم يضلله في الثانية ؟ (٢)

بيد ان في هذه الرواية على اية حال ثغرات يتعذر وصلها بالجملة : من ذلك انها لا تفسر لنا هذا الشذ المعقد اعني فرار ابي موسى واعوانه في الهرب بعيد انفراط المؤتمر اشفاقاً على نفسه وشحًّا بها من ان ينالها عليّ بالعقوبة الصارمة والجزاء المستحق . وإلاّ فمن يستطيع ان يتحمل تبعة ارفضاض المؤتمر دون الوصول الى نتيجة ملموسة وهل ذنبه في ذلك غير ذنب امرىء راشد حاول فأخفق واجتهد فما توفق . . فكان احرى ان يظل مرفوع الرأس موفور الكرامة

وأخرى فمن لنا بتفسير هذه الحجج الجمة والمعاذير الوافرة التي يتوجه بها علي ورهطه الادنون الى شيعه الحادثة وأحزابه المستجدة من حيث ان الحكمين لم يلتزما حكم الله وسنته الجامعة العادلة بل اتبع كل منهما هواه ومذهبه ، واتباع الهوى والمذهب كما لا يخفى مناه التوصل الى حل مسمى ووجهة معلومة سواء أكان ذلك بالانفراد او بالاتفاق معاً . فهل اختلف الحكمان وتسابا أم انهما انتهيا الى هذا الحل فتبطل هذه الرواية ! ؟ ثم كيف نعلل خروج بعض الطوائف

(١) المسعودي ج ٤ ص ٣٩٥ (٢) اني عند رصد المصاحف في الرماح اولا ثم ما قاله من بعد على الوجه المذكور في هذا البحث

من الخوارج على عليّ لمحض انه لم يتزن عند حكم المؤتمر وأي حكم يكون هذا اذا كان الحكمان قد اختلفا وتبارا فلحق ابو موسى بمكة ؟ !

بقي ان ننظر في الرواية الثالثة فهي فيما يظهر بيت القصيد من هذا البحث لان البواعث التي كانت تحدو بابي موسى الاشعري في الانخداع وترخص له اتكأ بصاحبه واخراجه من هذا الامر الذي يطلب قوية مكينة ، فقد كان عبد الله بن عمر كما تشهد الرواية على بنت ابي موسى وكفى بذلك دليلاً إذا ما عزّ الدليل واذكرت روح هذا العصر الذي كان سادته ومترفوه يتنافسون فيه بالعزة على قرب عهدهم بأنوار النبوة وعصر الخلافة الذهبي ويستشرون زينة الحياة الدنيا وأسبابها الفانية

زد عليه ان ابا موسى لم يكن اكيد المودة لعلي بل كان في البدء يخذله ويفرق الناس عنه كما كان كاشحاً لمعاوية لا يراه كفؤاً للخلافة (١) ، وكان ابن عمر علاوة على ما كان بينهما من اواصر الرحم والقربى الموشجة وفوق ما كان بين والده — أي ابن عمر — وبينه من روابط الالفة المستمرة وأسباب المودة الصادقة رجلاً زمتاً ممتازاً متحلياً بصفات كثيرة تقربه الى الخلافة فقيه ورع ومراقبة وله صحبة سابقة مع النبي (صلعم) كما انهُ لم ينغمس في حمأة الفتوق التي انتظمت معظم رؤوس الصحابة . فلا جرم ان يكون ميل أبي موسى الى ابن عمر أوكد منهُ الى علي ومعاوية

هذا مع أن هذه الرواية أدنى الروايات إلى الانسجام في سرد الحوادث وتنطقها الطبيعي المطرد ، فغزاة مصر العاجلة وفرار ابي موسى والشواهد الثانية في الروايات الاخرى وغيره... وغيره ... مما لا تعسّره هذه الروايات ، تأوله روايتنا هذه تأويلاً صحيحاً وتنظمهُ انتظاماً بديعاً يسوّغ لنا معهُ بل يتعين علينا به تصحيح الرواية الاسلامية المتداولة بهذا الشأن ومذاهب المستشرقين في ذيوعها (٢) . وعليه فيجب ان نعتقد بأن عمراً حين ذهب الى أذرح لم يكن في جعبته سوء النية المبيتة والعزيمة المعقودة على الترفق بأبي موسى وقصده بالحيلة ، او لعلهُ كان مبيتاً لهُ أمراً ثم بدا حين قام بخدعته المذكورة التي انتجها لهُ فكره وفضل مروته السياسية في الثوّ والساعة

كما يجب أن نعلم انه كان بين عمرو ومعاوية منذ بداءة الحرب شبه اتفاق يخزل معاوية بموجبه عن مصر ويقضها عمراً لقاء ما يبذله لهُ هذا من الرد والمعونة والمناصحة ، ومن ثمة كانت هذه الغزاة العاجلة المبيتة التي بحث شطرها عقيب انفراط المؤتمر . ولا مراء أن كلاً من الحكمين كان قد اتبع هواه في هذا الحكم الجائر الذي كان يعلق عليه المسلمون الآمال الواسعة فلم ينزلا عند حكم الله وكتابه ولم يعتمدا على سنّته الجامعة العادلة . وكان ابو موسى على الاخص قد فرّط بحقوق صاحبه فاستوجب عقوبته واستحق جزاءه ، غير انهُ بادر إلى الفرار اتقاء ان يلحقهُ وبال ما صنع

(١) الدينوري ٢١٢ والطبري ج ١ ص ٣٣٥٦ (٢) يقال زاف للان الراهم زيوفاً كزيفها او صيرها مردودة لانتقاد فيها

الانتقاد الادبي

أقاعدة لغوية هو أم عاطفة ؟

ليوسف البعيني

في مناظرة أدبية عنيفة تضرَّمتْ نارُها بين الكاتبين الكبيرين اناتول فرانس وفرديناند برونتير حدَّد اناتول — ذلك الفنَّان الساخر المتهكِّم — ماهيَّةَ الانتقاد بهذه السطور الصاحية الجزلة فقال :

« لا يمكن أن يكونَ فنُّ الأدب غير عاطفي ، وكذلك نقدُهُ . . . لانَّ الفنَّ ذاته عاطفة . وكذبَة هم اولئك الناقدون من الادباء الذين يزعمون انهم قادرون على انتقاد الأدب بدون عواطفهم . والحقيقة العامة عندي هي انهُ ليس أسوأ من ناقد يتَّخذُ مقاييسَ الألفاظ والاوزان لنقد قطعة فنية أفرغ في روعها صاحبها خلاصةَ روحه ، لان المشاكل الحقيقية في الأدب وفي نقده لا يحلُّها علمُ الصرف والنحو ، بل يحوجها تلك العاطفة العلوية التي لا تقيدها فواصلُ وحدود ، ولا تثنيها أبعادٌ ونجوم »

وتحامل مرَّة نفرٌ من الادعياء المغرورين على الشاعر البقري الساخر توماس هاردي ، فانتصرَ لهُ الناقدُ المبدع — جون رسكن — وكتب في ذلك مقالاً ضافي الذيول لا ازالُ اذكرُ منهُ هذه الجمل :

« إنَّ غايةَ النقدِ الحيِّ الرفيع لا تحصر في حبك الجمل الصحيحة وترديد الالفاظ القاموسية الخالية من الخطأ النحوي ، انما تحصر في البحث عن كل جميل ومؤثر في الحياة ، وعن كلِّ حبٍّ والتماس في اسرارها واحلامها »

وقال سانت بوف : « الناقدُ النابغ هو ذلك الذي يزيد في ثروة العالم الفكرية ، ويأخذ بها خطوةً في نواحي التقدم والفلاح ، ثم يكتشف حقيقةً أخلاقية رائعة ، ويخترق إلى عاطفة كامنة فيصبُّ كلَّ ذلك في قالب عفَّاف عميق في تفكيره ، جميل في اسلوبه »

وقال بودلير : « إنّ أروعَ نقدٍ هو النقدُ الشعريُّ المنهج . لا ذلك النقد البارد الذي يملك علم الحبر في حلّ الامور الرياضية . وعلى الناقد ان يكون رشيق العاطفة ، رفيق الاحساس . ومقياسهُ هو الطبيعة باسرها ، بانسانها ومجتمعها . ثم عليه أن يتأثر ليتقد إنصافاً ، لانّ كونك ناقداً لا ينفي كونك إنساناً . والانصاف يقرّب بين الامزجة المتشابهة ويسمو بافكارك الى افق جديد »

وقال هنريك إبسن : « عمل الناقد في الحياة أن ينتقد الحياة بنفسها الشعرية الخالقة ، لا بكلام القاموس وأوضاعه المتهرّئة . . . وهكذا فسيغدو خمرةً عذبة لأبناء الجيل المستدين من المثل الاعلى أحلام قلوبهم وتصاوير أرواحهم »

وقال استيفان زفيك : « الناقد الحيّار هو مخلوقٌ غريب يبصر بعين عاطفته الخفية غيرَ ما تبصرهُ أعينُ الناس . هو شاعر والّه معاً . ينظر الى الوادي العميق وما في عمقه من رهبة وخشوع ، ويشاهد الجريف وما في تحوله من حزن وكآبة ، ويرى الليل وما في ظلامه من أسرار . . فيكوّن من كلّ ذلك رسماً خالداً بألوانه ، فاتناً باشراقه »

***

فالانتقاد اذاً ليس معرفة مواضع الخطأ في ما تقرأهُ وأماكن التخالف في ما تراه ، بل هو العاطفة السموية الجبارة التي تتغلغل بها الى اعماق المعاني ، فتلمس نفسية الشاعر اذا كبا ، ونفسَ روح الكاتب اذا حلّق وأجاد . ولولا ذلك لكان كلُّ دعيٍّ مأفون عليماً بأسرار النقد فيعيب على العبقريين رسومهم وتصاويرهم ، وعلى الملهمين تفننهم وإبداعهم

إنّ الانتقاد هو قوّة الهيّة غير ملموسة تتوشح اجنحة ابناء الفن المتعبدين للمثل الاعلى في هيكل الحياة . اما هؤلاء المنطرحون على الادب انطراحَ المرأة الدميمة الشوهاء على فراش الجمال ، فشأنهم في نقهم نبضات القلوب وهمسات الارواح كشأن الوادي يسمع عويل العاصفة فلا يفقه معناه ، ولا يتدبر انينه وبلواه

لقد كان الانتقاد العاطفي مجهولاً من لغتنا العربية في زمن انحطاط الادب وتأخره حتى جاء المجددون فأشرعوا هذا الباب على مصراعيه وخيراً فعلوا . لان النقد المجرد من تعاليم المناحكة القديمة يعتقُ الفكر من قيود الالفاظ والاوزان ، بل يسكب في عروقه دم الحياة . والفكر السامي تذويه القواعد اللغوية وتميته الاحكام العروضية : فهو كالجمرة المتقدة اذا طمرتْ بالرماد انطفأت وتلاشت فلا تعود تشيع في النفس حرارة ، وفي الجنان ارتعاشاً وهبوباً

بيد ان المتمسكين بذيول القديم يأنفون من الاقرار بهذه الحقيقة وجلائها ، ويخيرون الموت على مماشاة الذوق العصري الذي يستضيئون شمسه الوهاجة . فاذا كتبَ كاتبٌ حديث بغير

الطريقة التي كتب بها ابن المقفع كتابه كليلة ودمنة ، حسبوا اسلوبه مبتذلاً ، ولماذا ؟ لانهُ لا يتسق مع اساليب قدماء المنشئين كالحريري والثعالبي والزمخشري وغيرهم . وان هم ذهبوا في فهم الادب ذلك المذهب الماجن المرفوض ، فلان النقد عندهم لايخرج عن كونه معرفة بأصول القاموس وعلوم اللغة . اما العاطفة ، نعم العاطفة المجنحة التي تغوص بك الى اعمق دركات الفكر والوجدان ، فلا شأن لها في مقاييسهم ولا مزية

ولكن ليت شعري هل من الخير محور القاعدة اللفظية قانوناً له يقوى على اختراق عوالم الشعور والوجدان ؟ والشعور لا حدود له ولا روابط . فالصور والتشابيه التي يرسمها الكاتب او الشاعر عن القمر وهو يغرس اشعته الذهبية في تربة الروض الساحي الجميل ، والصحراء المستطلة بقية صافية الاديم فلما تتابد بالغيوم او تدوي بالرعود ، والرسم المتسارعة بين خطوطه اشباح الحياة واحلام الموت ، والغراب الاسحم الكالح الوجه ينعب في ليلة حالكة الجلباب متذراً بانقضاء اوقات اللذة والغرام ، وانعشاش الطيور تستيقظ متباغمة فرحة عند مجيء الصباح . نعم ان كل هذه الصور والتعابير ما يفهمها ويتبصرها الا الناقد الحيار الذي يضمُّ بين ضلوعه عاطفة شجيَّة حنونة تتحرك لاخفّ النسمات هبوباً ، وألطف الخطرات والتراكيب دقةً وعذوبة ! !

***

إنَّ أفقَ الانتقاد العاطفي هو أفسح آفاق الانشاء في دولة الادب ، يستطيع أن يحوم فيه كلُّ من أحبَّ ومن أراد . ولكن ليس كلُّ كاتب يجيدُ النقد عندما ينتقد اذا كان محروماً من ذلك السائل العجيب الذي يدعونهُ شعوراً ورقةً وإحساساً

كلَّما نسمع حشرجة الجداول وحفيف الاوراق في هدأة الليل ، فنعلم ان الجداول تمضُّها الصخور والمنحدرات فتحدث شكوى ونحيباً ، وان الاغصان عندما يلامسها نسيم الاودية تتحرك مصفقة متمايلة . . . ولكن الذي يحتوي بين طيّات صدره عاطفة صاحية شفافة يفسّر حشرجة الجداول بتألم محتضر يلفظ انفاسه الاخيرة ، ويحلّل حفيف الاوراق بنبضات فؤادٍ تتنازعهُ الميول والحنين والتذكارات

والاديب كالجدول او كالغصن ، تتألم روحهُ وتوازعه خافقةً في مسامع الحياة التي لا ترحم ولا تلين ، فاذا جاء من يقيس هذه النغمات بالارقام الحسابية والموازين اللغوية ، يخطىء الى الفنّ والابداع . وذلك لان الفكر غير محسوس وغير منظور ؛ وحتى يفهمه الناقد يجب أن يستعمل مقياس عواطفه ومشاعره وإحساساته

وعلى الناقد أن يكون عليماً بكلّ امور الفنّ الذي ينقدهُ اذا أحبَّ ان يكون مصيباً في

انتقاده . وأنا لا اقصد من هذا أنّ على ناقد الشعر ان يكون وزّاناً خبيراً ، او على ناقد الرواية ان يكون روائيًّا مجيداً ، لا ما هذا الذي أقصده . بل عليه ان يدرك العيب في ما يقرأه بعينيّ وجهه كلمات مكتوبة وبعينيّ عاطفته الحقيقيّة آيات مرسومة بالدم والدموع

ومع كلّ الشروط الواجبة على الناقد ان يكون ناقداً منظوراً اليه ، أجد انّ العاطفة هي المحور الاول في فنّ النقد . ولا شأن هنا للنقد اللغوي المبني على الارقام والقراريط

فانّ كثيرين من حملة الاقلام — وخصوصاً في العالم العربي — يتناولون قصيدة الشاعر او مقالة الكاتب . ولا يقصدون من نقدهم الاّ ان يروا مواضع الخطأ النحوي في هذه الجملة او في ذلك البيت كأنّ النقد الرفيع غايته القشور لا اللباب ، وهكذا يجرمون الى الفنّ والى الكاتب والشاعر المتقدّمين بظلم واعتداء ، متناسين انّ أقدس عمل في قانون الناقد ان يتفحّص المعاني قبل كلّ شيء ، لا أن — يكبس يديه ورجليه — على الالفاظ ليستخرج منها عصيراً ونوراً وحياةً

***

فالانتقادُ الادبي اذاً عاطفة لا قاعدة لغوية كما يزعم المحافظون . ولولا انّ جبابرة التاريخ كشكسبير وهيغو وبيرون وجبران مثلاً يؤثرون القواعدَ اللغوية على العواطف الذاتية لما استطاع العالمُ الفكري أن يحفل بتلك الروائع التي يبلى الدهر ولا تبلى جدّتها

إنّ المنتقد الذي يعيبُ على الكاتب والشاعر هفواته القاموسيّة ، يبرهن على ضعف ملكة النقد فيه وعلى جفاف ثروته الادبية ، والادب الخلاّقُ المستجدّ لا يبلغُ القمّة ما لم يستشر هذا الفنّ . فالشاعر اللبناني الخالد جبران خليل جبران — وهو ربُّ المجدّدين في الادب العربي واكبر من تعبّد للسحر والجمال — لو لم يستوعب خلجات فؤاده ويرسمها على جدار الحياة رائعةً فتّانة ، ما عانقت العربية تلك التماثيل الحيّة في الاجنحة المتكسرة وغيرها !

***

وغايةُ النقد العالي الصريح هي تلمّس الحياة في جميع حالاتها . فجبران ذاته هو امير الناقدين وانت عندما تصغي الى رنّات روحه تطن عليك من كوى الغيب كواعبُ سحرية مجهولة يشجوك منها بريقُ عيونها وهفهفة اردانها . . . وذلك لانّ جبران — ذلك الناقد الجبّار — عرف ان ينتقد الحياة ويستقطر الالهام من دموع ليلها ، وندى صباحها

أما هؤلاء الذين ينتقدون ويحورعم القواعد اللغوية وحسب ، فليسوا من ابناء الفنّ وان أصرّوا على ان يكونوا منهُ . . . فالانتقاد اللغوي المقموسة ريشته في محبرة الحقيقة لهُ عاطفته المجنّحة ، ولغته المختلفة كثيراً عن لغات صفادع المستنقعات وأنصاب المقابر ! !

سير الزمان

السيطرة على البحر المتوسط

تاريخ المشكلة وأدوارها

للسنيور لويجي فديرزوني

محمد علي والامبراطورية العربية

لفريد سمبر

السيطرة على البحر المتوسط

تاريخ المشكلة وأدوارها [1]

لم تعرف لبحر المتوسط مشكلة ما ، قبل ثلاثة قرون ، لان هذا البحر وحده دون غيره كان يلتقي لسواحل البلدان التي قامت فيها الحضارات القديمة في هذا الجانب من الكرة الارضية — حضارات مصر وفينيقية وكريت واليونان والرومان وقرطاجنة . فالتاريخ بأسره ، او على الاصح تاريخ هذه البقعة من الارض ، كان يتجه الى البحر المتوسط دون غيره ، ويلتقي عنده . واذن يصح القول انهُ انقضت الوف السنين قبل القرون الوسطى ، كان البحر المتوسط فيها عالماً قائماً بنفسه او كان هو العالم كلّهُ . على شواطئه وسواحله ، قامت دول اثر دول وتعاقب الحكّام على هذا السُلّك المحدود بشواطىء القارات الثلاث اوربا وافريقيا وآسيا . وما نقلهُ الينا التاريخ عن محاولة بعض الشعوب ، كالفينيقيين ، تعدي حدودهُ عند اعمدة هرقل (جبل طارق الحديث) طلباً للبلدان التي وراءها ، كان في الغالب محاولات فردية بقصد التجارة لا بقصد السيطرة ، والمعرفة التي جنيت من هذه الرحلات طويت في صدور اصحابها . فالوصول الى جزائر كاسيتريدس الثرية بالمعادن زالت من ذاكرة الانسان بزوال الفينيقيين

ثم جاء عصر المكتشفات الجغرافية العظيمة ، وهو عهد عجيب من النشاط الانساني ، كان من شأنهِ نقل محور الحياة الانسانية من موقع الى آخر . تصبى الناس حينئذٍ نحو قرنين من الزمان ، ومسالك الفتح والكسب تفتح امامهم الى آفاق واسعة بعيدة ، وكان يحدوهم حبُّ المغامرة والمخاطرة ، ويسيهم سحر الرغبة في الثروات الطائلة ، يفوز بها الفائز من المغامرين . ان الصورة التي رسمها المؤرخون للشرق الادنى في العصور الوسطى ، وقد اجتمعت فيه الحرائر والعطور والافاويه ، لابثتْ على الفتنة من القصص الحديثة عن بلدان تفيض ذهباً ونفطاً

وما دالت دولة الامم البحرية في البحر المتوسط ، على اثر هذه المكتشفات الجغرافية ، حتى تسلمت دول الشمال مقاليد السيطرة البحرية ، حتى لقد تجرأ بعضها ان يناجز اساطيل اسبانيا المنيعة التي حافظت بها على سيادتها في البحر المتوسط من جبل طارق الى مضيق سيفا . ومضى قرنان ، دار فيهما النزاع في سبيل انشاء طبقة الامبراطوريات الجديدة ، وكان هذا النزاع في الغالب على متن المحيطات ، على ان البحر المتوسط ، اهمل امرهُ ، وأصبح في الانقلاب العالمي الجديد ، وكأنهُ بحيرة لا شأن لها . فلما بلغت مغامرات المغامرين حدَّها في اميركا الشمالية وأميركا

---

(١) من مقال في مجلة « الشؤون الخارجية » للسنيور لويجي فيرزوني رئيس مجلس النيوخ الايطالي

الجنوبية : الجهت اوربة ثانية . الى اختراق الحجب المسدلة على بلدان آسيا ، وكانت اقرب السبل الى آسيا ، عبر البحر المتوسط

قلّ في ذلك العصر ، من ادرك هذه الدورة التاريخية التي تقدم وصفها ، وسبر بين الامم من كان له خطة خاصة ونهج معين — مع ان الدلائل تدل على ان اوليفر كرومويل كان قد ادرك بنافذ بصيرته سير الحوادث المترقّب

فالامم في الغالب تسيّر الى اغراض بعيدة مجهولة ، بدافع من فطرتها وباعث من رغبتها في تحقيق بعض الاغراض القريبة . وكانت انكلترا حينئذٍ ، في عزّ شبابها القومي ، واشدّ تدرّ لاسبانيا القاهرة ، فاقتحمت انكلترا بخليط من دافع الفطرة وباعث الكسب القريب ، بان السبيل الوحيد لهدم سيادة عديدتها ، لايكون الاّ بضربها في المركز الحساس في حياتها ، اي البحر المتوسط . وكذلك نرى نشاط انكلترا في البحر المتوسط ، مظهراً من اهم مظاهر الحياة في تاريخها الحديث. فكانت انكلترا تقتنم كل فرصة وكل عذر لتمكن نفوذها فيه . وكانت حرب وراثة العرش في اسبانيا ، في اواخر القرن فأضيفت خصومة فرنسا الى خصومة اسبانيا ، ولما حاول الاميرال روك Rooke الانكليزي ان ينزل جنوده الى البر في طولون واخفق ، حاول ان يستر اخفاقهُ بعمل يستوقف النظر ، فاحتلّ صخرة جبل طارق ، وكانت حاميتها الاسبانية حينئذٍ ضعيفة لاتقوى على المقاومة . وكذلك استطاع الاميرال روك وهو لايعلم ان يكسب لانكلترا ، مفتاحاً ، يفتح لها طرقاً جديدة وآفاقاً جديدة لسياستها البحرية الامبراطورية

ومن النادر ان نجد في تاريخ الاعمال الحربية ، عملاً كان لهُ من التأثير في تاريخ اوربا الحديث ، ما كان لاحتلال جبل طارق

فتاريخ احتلال جبل طارق (٤ اغسطس ١٧٠٤) هو بدء المشكلة المعروفة بمشكلة البحر المتوسط

ورثت انكلترا ، باحتلالها جبل طارق ، السيادة على البحر المتوسط ، الطريق الدولي الرئيسي ومقرّ المزاحمات الدولية الكبرى . وادركت انكلترا ، قيمة هذا الارث ، فسعت خلال القرون الثلاثة الماضية ، سعياً متواصلاً الى المحافظة على هذه السيادة وتعزيزها ، غير مدخرة لذلك ، قوة ولا مالاً ولا جرأة ولا دهاء . ولكنها في كل عمل عملتهُ لتحقيق هذا الغرض ، كانت تلقي على عملها ستاراً من البواعث الادبية العامة لتسويغه

ففي القرنين السابع عشر والثامن عشر وصف عمل انكلترا في البحر المتوسط ، بانهُ تم في سبيل تحرير الشعوب من استبداد الكاثوليكية الاسبانية . وفي عهد الثورة الفرنسية وحروب نبوليون سوّغت عملها بالدفاع عن النظام ومبدإ الملكية في اوربا . ثم اعلنت في عهد تالي ضرورة التصدي لخطر نزوح المارد الروسي الاوتوقراطي الى سواحل بحري ايجه والادرياتيك . وجعلت

عذرها في الحرب الكبرى الكفاح مع النزعة العسكرية . وهي اليوم تلبس عملها لباس الدفاع عن النزعة السلمية المتجسمة في جامعة الامم

هذه المسوغات الادبية المتباينة تحمس لها جانب كبير من الرأي العام البريطاني وطوائف من الرأي العام في سائر الامم . ولكنها كانت في كل حالٍ ستاراً تستتر به مصالح بريطانيا الامبراطورية

ومما امتاز به الشعب الانكليزي مقدرتهُ على تغيير موقفهِ السياسي ليلائم الاحوال السائدة . ففي القرنين السابع عشر والثامن عشر ، عمدت انكلترا الى انشاء محالفات بين الدول في سبيل تعزيز سيادتها في البحر المتوسط ، بل وفي العالم. فلما كان نظام توازن القوى النظام الذي ساد اوربا في القرن التاسع عشر ، عمدت الى خطة العزلة والاحتفاظ بأسطول يساوي في قوته اسطول اية دولتين من دول اوربا . وفي العقد الاول من هذا القرن اعتمدت على المحالفات الدفاعية ، ثم لما وضعت الحرب أوزارها لاذت بفكرة التعاون الدولي عن طريق الجامعة ، لان الجامعة في نظر الطبقة الحاكمة في انكلترا ، تجمع بين اكبر قسط من الفائدة في تأييد مقامهم وأيسر قسط من الخطر ، علاوة على انها تتفق مع النزعة الادبية البروتستانتية في ان الجامعة ملاذ العدل الدولي وموئلهُ

فتاريخ انكلترا في البحر المتوسط يمكن ان ينقسم الى اربعة ادوارٍ

١ — عدم سيادة الدول الاخرى عليهِ

٢ — الحيلولة دون سيادة دولة جديدة

٣ — انشاء امبراطورية استعمارية لبريطانية قاعدتها البحر المتوسط

٤ — المحافظة على مقامها الامبراطوري المتفوق وتعزيزهُ

فالدور الاول بدأ يوم اقبلت انكلترا على البحر المتوسط لتناجز فيهِ اسبانيا وفرنسا في عقر دارهما ، فلما وضعت معاهدة اوترخت كانت نتيجتها تغيير التوازن الاوربي في صالح تفوق بريطانيا البحري في البحر المتوسط ، وكان من اثر ذلك تفوقها عليهما في المحيط الاطلنطي كذلك

اما في الدور الثاني فقد سعت انكلترا الى القضاء على كل عمل فيهِ تهديد لسيادتها في البحر المتوسط بل ولامبراطوريتها الاسيوية التي كانت في دور التكوين حينئذٍ . فوجّه النزاع اولاً الى مطامح نبوليون الشرقية ثم الى مساعي الملكية الفرنسية بعيد نبوليون اذ حاولت احياء خطتها القديمة بالاستيلاء على شمال افريقية . فحملة نبوليون الى مصر كان الغرض منها تهديد الهند وهي حينئذٍ قلب الامبراطورية البريطانية الجديدة . ومن ذلك الوقت اصبحت الهند والبحر المتوسط حلقتين لا انفصام لهما في سياسة بريطانيا . ولكن موقعتي ابو قير والطرف الاغر قضتا على حلم نبوليون . ثم حاول الملك شارل العاشر أن يبعث خطة فرنسا القديمة في البحر المتوسط باحتلال

الجزائر ولكن ثورة يوليو سنة ١٨٣٠ وهي ثورة رجحت كفة الانكليز صبح في إثرها حانت دون احتجاج منهم لحظة النجح السريع واستمر النزاع بين بريطانيا وفرنسا حتى في وضح النهار وآذا خلف ستار الى ان سوّي في الاتفاقات التي عقدت بينهما سنة ١٨٩٩ وسنة ١٩٠٤

وكان كفاح بريطانيا ضدّ استيلاء روسيا على الاستانة والمضايق اشدّ من كفاحها ضدّ فرنسا . فالاستيلاء على الاستانة يكمل لروسيا نظاماً دينيًّا اشتوقراطيًّا والاستيلاء على المضايق يفتح لها منفذاً الى البحر المتوسط . وليست حرب القرم الاّ نتيجة من نتائج هذا النزاع على البحر المتوسط . وقد أسفر هذا الدور من النزاع عن انشاء قاعدة بحرية في مالطة واقفال المضايق في وجه الاسطول الروسي واحتلال بعض الجزائر الايونية ثم التنازل عنها لليونان هدية الى اسرتها المالكة الجديدة الدانماركية الاصل

وامتدّ الدور الثالث الى ما بعد الحرب الكبرى واهمّ حوادثه احتلال تركيا وفتح قناة السويس . وفي خلاله بسطت انكلترا نفوذها فضمّ البقعة الواقعة بين البحر المتوسط والبحر الاسود والمحيط الهندي وهي البقعة التي تصل بين اوربا والهند

استعملت انكلترا مصر ، ملتقى لطريق المواصلات بين القاهرة ومدينة الكاب ، وبين بورسعيد وسلايا . وعلى ذلك أصبح البحر المتوسط العقدة العصبية الرئيسية ، من الناحية السياسية والعسكرية ، للامبراطورية البريطانية قاطبة . فسار الاستعمار البريطاني مخترقاً صحاري إفريقية وحراجها وأدغالها من الشمال الى الجنوب ومن الجنوب الى الشمال ، معتمداً في ذلك على خبرة من أخبرهم الامة البريطانية . وكان الاحتلال يتبع الاستكشاف الجغرافي . وما لبث ان اصبحت محطات التجارة التي انشأها التجار على سواحل المحيط الهندي عواصم لمستعمرات جديدة . فلما انتهت حرب السودان وحرب البور كانت قدم انكلترا قد رسخت في طرفي الخط الواصل بين القاهرة ومدينة الكاب . وبقيت بضع حلقات في هذه السلسلة لم يستول عليها البريطانيون الاّ بعد الحرب الكبرى ، وهي مستعمرات المانيا سابقاً التي عهدت جامعة الامم في الانتداب عليها لبريطانيا

وقد اصطدمت بريطانيا في خلال تحقيق كل هذا بفرنسا في فشوده ثم ازيل اثر هذا التصادم في الاتفاق الذي عقد بينهما على اقتسام افريقية اقتساماً سلميًّا فاعترف لانكلترا بتفوق مصالحها في شرق افريقيا ولفرنسا بتفوق مصالحها في غربها فكفّت بريطانيا يدها عن مراكش وكفّت فرنسا يدها عن مصر

وكذلك تمّ الاتفاق الودّي بين فرنسا وانكلترا وغرضهُ القضاء على النزعة الالمانية الامبريالية في مهدها وتبديد خطرها على طرق المواصلات بين اوربا وآسيا . ومبالغة في الاستعداد لمنع الروس

من الوصول الى البحر المتوسط عن طريق الاسكندرونة احتلت انكلترا في سنة ١٨٧٨ جزيرة قبرس، ولكن روسيا لم تثبت ان بدّدت قواها في سواحل منشوريا في حربها مع اليابان . وبعد الثورة البولشفية وقيام حكومة السوفيت فيها ، زالت روسيا كعامل فعال في النزاع الدائر حول البحر المتوسط . الاّ ان اتجاه ايطاليا الى بغداد قبيل الحرب الكبرى ، كان اكبر خطراً على مواصلات بريطانيا في البحر الاحمر من عمل اية دولة اخرى . فجاءت الحرب الكبرى وقضت عليه . ومع ذلك عزمت انكلترا ان تنشىء طريقاً برية من البحر المتوسط الى المحيط الهندي ، ومكّنتها معاهدة سيڤر من ذلك

ولكن حساب الحقل لم يأتِ موافقاً لحساب البيدر (الجرن) فانها انتزعت أزمير والمنطقة المحيطة بها من نطاق نفوذ ايطاليا بعد ما وعدت بها ايطاليا في اتفاق « سان جان مورين » وعهدت بها الى اليونان . ولكن الاتراك بزعامة مصطفى كمال قلبوا الخطة التي وضعتها انكلترا وظنّت انها اصابت النجاح في وضعها، واستولوا على ازمير وطردوا اليونان من الاناضول

الاّ ان هذا الانقلاب لم يكن باعثاً على قنوط انكلترا . فلما عقدت معاهدة لوزان رأت انكلترا ان تستعمل البلدان العربية الخاضعة لانتدابها في سبيل هذا الغرض الامبراطوري . فعهد الى الدول العربية في حماية طريق المواصلات البري بين البحر المتوسط وخليج فارس . وكانت فلسطين مبدأ الخط ، لانها تصلح ان تحلّ محلّ مصر اذا اقتضت الحال ذلك . فقناة السويس يمكن الدفاع عنها من الغرب ، اي من مصر، كما يمكن الدفاع عنها من الشرق اي من فلسطين . حتى اذا فقدت انكلترا السيطرة على القنال، فالعقبة تحلّ محلّ السويس وحيفا تصلح لان تكون قاعدة بحرية ومرفأ يصدر منهُ نفط الموصل . ثم ان انشاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين يمكن ان يستعمل لاغراض سياسية في زرع بزور الشقاق بين مسلمي فلسطين ومسيحييها . وقيام امارة شرق الاردن يفصل فلسطين عن الكتلة العربية في الجزيرة وما وراءها . وقد بلغ من نجاح سياسة انكلترا في العراق انها لم تمانع في الاعتراف باستقلاله

***

وهذا يفضي بنا الى الدور الرابع ، وهو الدور الذي تسعى فيه انكلترا ، الى ترسيخ سيطرتها على البحر المتوسط قاعدة بنائها الامبراطوري . ولكن لندن ترى ان العوامل التي تستطيع ان تزعزع اركان « السلام البريطاني » في البحر المتوسط ثلاثة هي النزعة القومية المصرية، ونهوض تركيا ، وقيام ايطاليا الفاشستية . وبعد ما اشار الكاتب الى العاملين الاولين في بضع عبارات ، افاض في اسرار النزاع بين ايطاليا وبريطانيا ، وهو بحث اقرب الى سياسة المناقشة منهُ الى تاريخ السياسة لذلك اكتفينا من مقاله بما تقدم

محمد علي والامبراطورية العربية (١)

لامين سعيد

لم يمن الذين دونوا تاريخ محمد علي من الاجانب والترك او المصريين ببحث هذه الناحية من تاريخه فاكتفى الاولون بذكر سيرته ، ووصف بطولته ، واصلاحاته ، وعني الآخرون بتشويه صورته ، والانتقاص من قيمة عمله ، اما المصريون فدرسوا تاريخه من الناحية الاقليمية الخاصة بمصر وحدها وبين ايدينا الآن كتابان حديثان اولهما تاريخ الحركة القومية بمصر للاستاذ عبد الرحمن الرافعي والثاني الامبراطورية المصرية للدكتور محمد صبري وقد حاول كل منهما ان يصبغ الحركة بالصبغة المصرية المحلية من دون ان يعنى بدرس الناحية العربية منها مع ان في كتابيهما كثيراً من النصوص والمذكرات والوثائق السياسية التي تثبت ان محمد علي وابنهُ ابراهيم كانا يعملان لانشاء امبراطورية عربية تضم الاقطار الممتدة من حدود الجزائر غرباً حتى ديار بكر وخليج فارس شرقاً ومن جبال طوروس شمالاً حتى اواسط افريقية جنوباً وبذلك تدخل في دائرتها جميع الاقطار التي ينطق ابناؤها بالضاد وهي الجزائر وتونس وطرابلس الغرب وبرقة ومصر والسودان والشام والعراق وخليج فارس ونجد والحجاز واليمن ولا يبقى في خارجها سوى المغرب الاقصى لانهُ كان خارجاً عن نطاق الامبراطورية العثمانية وهو القطر العربي الوحيد الذي لم يخضع للاحتلال العثماني ولم يفقد استقلاله

ولقد عنينا في هذا الفصل باثبات الوثائق والمراسلات السياسية والمذكرات والاقوال التي عثرنا عليها في بطون الكتب التي نشرت عن محمد علي وابراهيم مما لهُ صلة ببحث الامبراطورية العربية وسيتبين القارىء منها ان هذين البطلين العظيمين سعيا لانشاء امبراطورية عربية تكون القاهرة عاصمة لها تنهض بالعرب وتجدد مفاخرهم ، وتهيىء لهم سبل التقدم فينهضوا من الهوة السحيقة التي اوصلهم اليها الحكم التركي ويلحقوا بالامم الاوربية في نموها ورقيها وكانت نهضة اوربا حينئذٍ في ابتداء اشراقها

لما جاءت الاخبار الى القاهرة باستيلاء ابراهيم باشا على دمشق وزحفه الى حلب استأجر محمد علي باشا سفينة فرنسية لتحمل منهُ رسالتين الاولى الى حاكم مالطة الانكليزي والاخرى من قنصل فرنسا بمصر الى حكومته . وهذا ماجاء في رسالة القنصل الى المسيو مسيتياني وزير خارجية فرنسا يومئذٍ قال :

« ان محمد علي لم يستأجر السفينة الفرنسية لتحمل الى مرسيليا ومنها الى اوربا خبر فتح

---

(١) من فصل من كتاب « الدولة العربية المتحدة : الجزء الاول » تأليف امين سعيد

دمشق ولكنهُ استأجرها لتحمل منهُ رسالة الى الحكومة الانكليزية بواسطة حاكم مالطة لانهُ لا يثق بالقنصل الانكليزي بمصر ويعتقد أنهُ يتلاعب بالاعراب عن افكاره وآرائه

« ولم يسلمني رسالة مكتوبة ولكنهُ املى عليَّ افكاره التي يريد ان يعرضها على وزير الخارجية وهي :

« يرى محمد علي ان تركيا واصلة حتماً الى ازمة من الازمات الكبيرة التي يتقرر بها مصير الامم والدول . وانهُ يتم الآن الانفصال بين شطرين من السلطنة تقضي الحوادث والانظمة والضرورة والاقدار بفصل احدهما عن الآخر (يريد انفصال بلاد الترك عن بلاد العرب)

« وكان في الامكان تلافي ذلك لولا غفلة السلطان لان محمد علي كان يود دائماً — على الرغم من انفصال احد الشطرين عن الآخر بالفعل والواقع — ان يظل التابع الخاضع الخاص ولكن العناية ارادت غير ما اراد فالآن قد تم انشاء المملكة العربية . والبلاد العربية هي مهبط الوحي وهي تحتضن الاماكن المقدسة وفيها مقر الخلافة وتطوقها الجبال من كل جانب كالاسوار ، واذا اضطرت للدفاع عن نفسها انشأت القلاع والحصون التي يتضاعف عددها

« واليوم ينتظر ان يرمي السلطان وجيشه على اسطول محمد علي وجيشه فيكون مصير اسطول السلطان وجيشه السحق فلماذا يستمر هذا القتال الذي لا فائدة منهُ ؟ واي امة اوربية تجد فيه ربحها ؟ فلا هي فرنسا ولا هي انكلترا ولا النمسا ذاتها وذلك للاسباب التي يعرفها الجميع ولا يجهلها احد

« والدولة الوحيدة التي يهمها سقوط الدولة العثمانية هي روسيا ويقوم الدليل على ذلك بدفعها الباب العالي بكلتا يديها ضد محمد علي مع اعلان الغضب والسخط عليه وتملكت الدهشة الباب العالي فلا يعمل شيئاً الا بنصيحة روسيا وأوامرها وروسيا تعرف ان مصر صارت قوة وان هذه القوة تؤيد عند الحاجة الباب العالي ضدها . وتملك الباب العالي الجنون فانساق لارادتها ضد الشعور القوي الحي في السلطنة ولذلك تريد روسيا ان يمزق بعضنا بعضاً

« فهل تسمح فرنسا وانكلترا بأن تحفر السياسة الخادعة هذه الحفرة ليتردى فيها الجهل والغباوة ؟ ان عليهما وحدهما وعلى رأيهما ووساطتهما تتوقف الحيلولة دون الدسائس فاذا فعلتا كان عملهما خدمة للباب العالي ذاته وللسلام والانسانية

« ان محمد علي وان كان امين فهو لا يطلب — والنصر حليفه — الا ما كان يطلبه قبل القتال فلا يمتد نظره الى اكثر من الحاق سورية حتى حلب بمصر تحت سيادة السلطان وعلى شروط موافقة للسلطان كل الموافقة . اما اذا ترك قياد السلطان لصديق ماكر فقد تكون النتيجة عليه بلايا شديدة

« وهل من يشك الآن في ان الانتصار في سهول حلب بفضل عبقرية ابراهيم العسكرية ،

وبفضل تفوق العرب وبفضل فوز الاسطول المصري سوف يمرر مصير الاستانة »

وفي يوم ٣ فبراير سنة ١٨٣٣ كتب ابراهيم باشا عند وصوله الى كوتاهية في طريقه الى الاستانة يقول الى والده : أرى ان يكون الاستقلال مقدماً على كل شيء في المناقشات التي تدور بينك وبين الرسولين (مورافيف مندوب روسيا وخليل رفعت باشا مندوب الباب العالي)

« فمسألة الاستقلال مسألة حيوية تقدم على كل شيء . وبعد الاعتراف بالاستقلال يجب ان تطلب اضاليا وادنه وجزيرة قبرص وان تضم الى مصر — اذا كان ذلك بالامكان — تونس وطرابلس ، ذلك اقل ما يجب ان نطلبه ولا نتساهل في اي شيء كان مهما كان الامر لان مصلحتنا تقضي به

« اما اصرارنا على طلب الاستقلال فلكي نوطد مركزنا ونحوطه بالضمانات فاذا لم ننل الاستقلال ذهبت جميع جهودنا ضياعاً ، ومكثنا تحت يد هذه الحكومة الخبيثة التي توقرنا بمطالبها الدائمة وبطلب المال ، فنن الآن يجب ان نتخلص من الاعباء الباهظة ولا خلاص الاَّ بالاستقلال

« والذي يدعونا لطلب اضاليا وادنه هو شدة حاجتنا الى الخشب ، لان مستقبل اسطولنا معلق على ذلك ، ما دامت بلادنا محرومة من الخشب ، وأنت تذكر ان انكلترا منعت اصدار الخشب الينا فاضطررنا ان نلجأ الى النمسا التي ازعجنا رفضها اصداره ازعاجاً لا نستطيع لسيانهُ. وأما ضم قبرص الى مصر فهو ايضاً لازم لا مندوحة عنه لسببين : الاول لتكون مركزاً لاسطولنا والثاني لمنع الباب العالي من ان يكون له طريق الى املاكنا واذا شئت ان تطلب بغداد فلا مانع من طرح هذه المسألة على بساط البحث »

يقول عبد الرحمن الرافعي في كتابه تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم في مصر في الجزء الثالث ما نصه : « ومن الراجح الذي تؤيده الحوادث ان يشروع محمد علي كان يتناول انشاء دولة عربية مستقلة في مصر تضم اليها البلاد العربية في افريقية وآسيا ، ففي افريقية قد استقل بمصر وفتح السودان ، وفي آسيا تمم معظم جزيرة العرب ، وبسط عليها نفوذ الحكومة المصرية ويطموحه الى سورية اراد ان يؤسس الدولة المصرية الكبرى

ويزيد هذه الفكرة رجحاناً تصريحات فاه بها ابراهيم باشا في خلال الحرب السعودية فقد ذكر المسيو كادليفن وبارد في كتابهما انه بينما كان الحصار مضروباً على عكا سئل ابرهيم باشا الى اي مدى تصل فتوحاته اذا تم له الاستيلاء على عكا فقال ما معناه « الى مدى ما يتكلم الناس واتفاهم واياهم باللسان العربي »

وقابل البارون « لبو الكونت » ابراهيم باشا قرب طرسوس سنة ١٨٣٣ بعد عودته من

كوتاهيه فحادثهُ حديثاً طويلاً وكتب عنهُ يقول : « يجاهر ابراهيم باشا علناً بانهُ يقوي احياء القومية العربية واعطاء العرب حقوقهم ، واسناد المناصب اليهم سواء في الادارة ام في الجيش ، وان يجعل منهم شعباً مستقلاً ويشركهم في ادارة الشؤون المالية ، ويردّدهم سلطة الحكم كما يتحملون تكاليفه

« وتتجلى فكرته هذه في منشوراته ، ومخاطباته لجنوده في الحرب السعودية الاخيرة ، فانهُ لا يفتأ يذكرهم بفاخر الامة العربية ومجدها التالد ، ويتصل بهذا المعنى مفاخرته بان كل البلدان العربية يجب ان تنضم تحت لواء ابيهِ . وقد قال لي ان اباه يحكم مصر والسودان وسورية ومن الواجب ان يضم العراق الى حكمهِ وان جزيرة العرب تابعة لابيهِ الذي يمسن الآن على اتمام فتحها

« وهو في صلاته مع اهل البلاد يستخدم اللغة العربية ، وبعد نفسه عربيًّا ، ولذلك لا ينفك يطعن في الترك ، وقد لاحظ عليهِ ذلك احد جنوده وخاطبهُ بتلك الحرية التي كان يشجع رجاله عليها وسأله كيف يطعن في الترك وهو منهم فأجابهُ على الفور « انا لست تركيًّا . فاني جئت مصر صبيًّا ومنذ ذلك العهد قد مصرتني شيمها وغيرت من دمي فجعلتهُ دمًّا عربيًّا ؟ »

وفي شهر مارس سنة ١٨٣٣ اي في اثناء الفترة التي كان فيها الجيش المصري يهدد الاستانة ارسل محمد علي باشا الى قنصلي انكلترا وفرنسا في مصر الكتاب الآتي :

« انهُ بما لي من القوة التي استمدها من شعبي ومن القانون المقدس والفتاوى الشرعية الموجهة اليّ من جميع علماء البلاد العربية قد اصبح من واجبي الذي لا محيد عنهُ ان اوطد اركان حكومتي ومكانة قومي بجميع الوسائل . وما تلك الوسائل سوى الحصول على كل البلدان التي اطلبها وهي البلاد التي استوليت عليها

« وبما اني قد بذلت في سبيل ذلك وقتاً طويلاً وجهوداً جهيدة فمن الواجب على الاقل ان يتركوا لي في هذا الكون شيئاً من الشهرة وان يحملني حب الراحة على ارتكاب عار التخلي عن شعبي الذي وضع كل ثقتهُ بي ، بل اني سأكون سعيداً بأن أموت شريفاً في سبيله . فأرجو والحالة هذه من دولتي انكلترا وفرنسا ان تتخذا نحوي قراراً مطابقاً للعدالة والانصاف ولمصالحهم الخاصة »

وفي يوم ٨ مارس سنة ١٨٣٣ ارسل محمد علي الى البارون روسان سفير فرنسا في الاستانة الكتاب الآتي ردًّا على كتابه اليهِ قال :

« تقول يا سعادة السفير في كتابك المؤرخ ٢٢ فبراير سنة ١٨٣٣ انهُ لا حق لي بالمطالبة الاّ ببلاد عكا والقدس ونابلس وطرابلس الشام وانهُ لذلك يجب عليّ ان استرد جنودي حالاً من البلاد الاخرى وتنذرني بسوء العاقبة اذا رفضت ذلك . كما ان رسولك البلغي شفاهاً وبناء

على التعليمات التي زودته بها اني اذا بقيت مصرًّا على التمسك بمطالبي فان الاسطولين الانكليزي والفرنسي يتظاهران امام الشاطىء المصري

« فأي حق يجوز لك باسعادة السفير ان تعمل على تجريدي مما غنمته ؟ ان شعبي بأسره يعضدني به ولو شئت لناديت الرومليين والاناضوليين الى الثورة ولو شئت لأحدثت حدثاً عظيماً في تركيا بمساعدة الشعب الشامي

« ومع اني امسيطر على ولايات عديدة والنصر حليفي فقد اكتفيت بأخذ سورية التي اقيم فيها بقوة السلاح ومساعدة الرأي العام ، وأوقفت جندي عن التقدم ولا قصد لي سوى عدم اراقة دم اتترك عبثاً وعدم اغضاب دول اوربا فكانت المكافأة على هذا وعلى التضحيات العظيمة التي قدمها شعبي الذي مكنني بمساعدته الفعالة من الحصول على انتصارات باهرة ، ان أطالب الآن بالتخلي عن البلاد التي استوليت عليها وان استرجع جيشي الى منطقة صغيرة يسمونها باشاوية ! ألا ترون بذلك انكم تصدرون علي الحكم بالموت السياسي ، ان لي وطيد الامل بأن فرنسا وانكلترا لا تأبيان معاملتي بالانصاف والاعتراف بما لي من الحقوق ان شرفهما يقضي بذلك

« اما اذا كنت مخدوعاً فيما املت فاني سأطيع قضاء الله لا غير وسأفضل الموت على احتمال الضيم وسأقدم نفسي بكل ابتهاج فدى لمصلحة قومي ، وأشعر بأني سعيد بأن اخدمهم حتى اغيب في لحدي . هذا هو قراري الذي وطنت النفس عليه »

وفي تلك الفترة كتب اللورد پامرستون وزير خارجية انكلترا الى السر ويليام كامبل سفير انكلترا في كابل يقول :

« ان الشروط المعروضة على محمد علي باشا حسنة جداً (يريد بها الشروط الخاصة باعطائه ولاية عكا) ما دامت تحرمه من دمشق وحلب وهما الطريق الى العراق . وفوق هذا يجب ان يثبت كل سنة في ما اعطى له وان كان تثبيته في مصر دائماً

« لقد كان محمد علي يرمي الى تأليف مملكة عربية تجمع بلاد العرب والمشروع جليل الشأن بذاته لولا انه يقضي بتقسيم تركيا وهذا لا يمكننا ان نسلم به فتركيا هي افضل دولة تملك طريق الهند وهي خير من اي ملك عربي يقوم على هذه البلاد ويكون ذراعاً للعمل كثير الحركة

« والواجب علينا ان نساعد السلطان في اعادة تنظيم جيشه واسطوله وماليته ، فاذا استطاع ان يعيد النظام الى تلك الولايات الثلاث استطاع البقاء »

وكتب بوغوص بك نوبار الذي كان يتولى ادارة ديوان الخارجية في حكومة محمد علي الى قنصل النمسا بمصر في سنة ١٨٣٤ يقول .

« لا شك أنك عرفت الميول العدائية التي اظهرها الباب العالي حديثاً ضد مصر فهو يجمع

منذ بضعة شهور بدون سبب ظاهر جيشاً ضخماً في سيواس بقيادة الصدر الاعظم رشيد باشا مع ان سموه (اي محمد علي) ارسل مندوبه لاتمام المباحثات بشأن الجزية التي تدفع وبشأن الجلاء عن ادنه التي امر ابراهيم باشا باحتلالها موقتاً ليصد بعض القبائل البدوية المتمردة . وفي خلال ذلك اخذ الباب العالي يوزع الاموال بواسطة عبد الله باشا والي عكا السابق لاثارة الفتن والثورات في جبل نابلس وخليل الرحمن والقدس وقد عمت الثورات تلك الجهات وتطلب اخمادها مجهوداً استمر ثلاثة اسابيع

« ولما وصل الى محمد علي خبر هذه الحركات الدائبة ابلغ قناصل الدول انهُ قد يرى نفسه مضطراً الاعلان استقلاله لان الباب العالي لا يرضيه سوى هدمه سياسيًا والجميع يعرفون ان سموه لم يطلب في حين من الاحيان استقلالاً ، والتفرقة التامة الدائمة بين الوطنين العربي والتركي هو الضمان الوحيد العام من التتائج المهلكة من جراء حرب اهلية ومن غزوة اجنبية

« واذا اعترف باستقلال سموه فانهُ يستطيع بعد هذا الاعتراف ان يحصر همه في تنظيم ماليته وفي حشد ١٥٠ الف جندي منظمة تنظيما كاملاً فيتمكن من القيام بالمهمة الكبرى وهي انقاذ تركيا من روسيا »

ولما اطلع مترنخ (وزير خارجية النمسا يومئذ) على هذا الكتاب كتب الى سفيره في بطرسبرج يقول : اننا لسنتج من اعتراف محمد علي انهُ يريد امرين : استقلاله التام عن الباب العالي وانشاء الدولة العربية »

وفي ٦ فبراير سنة ١٨٣٣ كتب الكولونيل تايور قنصل انكلترا في بغداد يقول : « ان هذه الولاية (ولاية بغداد) هي الآن في اشد حالات البؤس والضيق تحت حكم علي باشا الذي كان قبل مجيئهِ الى بغداد والياً على حلب

« ان انظار الشعب العربي متجهة في هذه الفترة نحو ابراهيم باشا وهو محبهُ »

وفي ١٦ يوليو سنة ١٨٣٣ كتب الهر بروكمي اوستن معتمد النمسا بمصر الى الكونت مترنخ يقول:

« ان اسباباً عديدة تثبت ان فكرة تأليف الامبراطورية العربية لا تزال حية ولا تزال موجودة ، ولكن اوى الى جانب العقل المدبر ، عقل محمد علي ، المطامع الواسعة والهمة العالية في صدر ولده وخليفته ، فابراهيم باشا ابن هذا العصر وقد تربى تربية عصرية عالية وتنزه عقله عن الانطباع على الخضوع لسلطان بحكم المبادىء الدينية

« وارى الى جانب ضعف الباب العالي وهزاله جيشاً عربيًا قويًا ممرناً على احدث مبادىء القتال ، وارى اسطولاً قويًا ، وكلا الجيش والاسطول يسهل مضاعفتهما . اضف الى هذا كله يقظة الروح العربية بعد سباتها فمحمد علي يتمتع بحسن السمعة والصيت في جميع البلاد العربية »

وعثروا في محفوظات وزارة الخارجية البريطانية على تقرير قدم الى محمد علي بين سنة ١٨٣٢ و ١٨٣٣ عن انشاء الامبراطورية العربية هذا نصه :

« إن اصدق ترتيب وافضل تنظيم هو ان تؤلف المملكة العربية من مصر وبلاد النوبة وسنار ودارفور وكردوفان في افريقية ومن بلاد العرب كلها حتى الخليج الفارسي ومن الشاطىء الشرقي لنهر الفرات مع دخول سورية في هذه المنطقة

« فاذا تم ذلك يحيكم العالم العربي كما يحيي الناس للخلافة الاسلامية وللخلفاء الراشدين وكما يحيي الرجل الذي ارسله الله لانقاذ الاسلام ، وينظر اليه كل عربي كقبلة لآماله وآماله

« وهذه الروح الدينية والسياسية قد تحولت اليكم ، وهذا شريف مكة هو اول المحيين بقوتكم وعظمتكم والرأي العام يؤيدكم بأصدق امانيه ودعائه ولا ريب ولا شك في افضلية وسائلكم على ما عند الباب العالي

« وبلوغ الغرض يجب البدء بمفاوضة اعيان بغداد وزعماء الشعب على الشاطىء الشرقي للفرات . ولا يعارض الانكليز في التقرب من شيوخ الخليج الفارسي وتستطيعون حماية التجارة والصناعة والدين في تلك البلاد بفضل نفوذكم — ونحن نثق بتقربكم حلول نكبة في استانبول ، فانكلترا وفرنسا لا تستطيعان الحيلولة دون ذلك والنمسا وروسيا لا تريدان هذه الحيلولة ومن ذلك تكون خطتكم الدفاع تتدع تركيا اوربا وشأنها وما هو واقع وراء جبال طوروس لما تقرره اوربا . ولما كان الباب العالي سيحاول ان يسترد سورية فان من الواجب عليكم العمل السريع

« وتنقص جيشكم في الشام الآن معدات الدفاع فهو يحتاج الى ٢٠ بطارية وفرقتين مهندسين و ٣٠٠ مستشفى وعدد كاف من الاطباء وان يكون عدد الجيش العامل ١٣٠ الفاً ماعدا الربان المتطوعين والواجب التمسك بصداقة رشيد باشا والولاة الآخرين »

وكتب المستر فارن قنصل انكلترا في دمشق سنة ١٨٣٥ الى وزارة خارجية دولته — حينما اراد ابراهيم باشا احتلال بيره جك على الفرات يقول « ان هذا الاحتلال يجعل لمحمد علي النفوذ الكبير في بلاد العراق ، واذا وصل العراق بدمشق بمرابط عسكرية فانهُ يضع لحاماً يلحم به بين القبائل » . وارسل اللورد بامرستون وزير خارجية انكلترا الى الكولونيل كامبل يوم ٨ ديسمبر سنة ١٨٣٨ المذكرة الآتية لابلاغها الى محمد علي وهذا نصها :

« أكلفك ان تبلغ محمد علي باشا بأن حكومة جلالة الملكة تلقت تقارير عن حركات الجنود المصرية في سورية وبلاد العرب وهي تدل على انهُ ينوي ان يبسط سلطة مصر الى جهة خليج فارس وولاية بغداد فابلغ الباشا بكل صراحة ان الحكومة الانكليزية لا تستطيع ان تنظر دون اكتراث الى تنفيذ مثل هذه المشروعات »

حديقة المقتطف

دائماً — الزوبعة

للشاعر الفرنسي جان لاهور

ريح الفجر

للشاعر الانكليزي كبلنج

بين عمرين

للشاعر الالماني سترادس

١ — دائماً !

كان « جان لاهور » ذا فكرة فلسفية سائدة عن الوجود . تحبه ولكنها تكره اضطرابه . تدور مع زوابعه ولكنها لا تحطم كما تفعل . ورث زعامة المدرسة « البرناسية » بعد وفاة « سوللي برودوم » وورث منه تلك العاطفة الهادئة وذلك الاسلوب الرقيق . ولكنه لم يكن مثله يملأ شعره بالفلسفة فجأة ! فهو فيلسوف بصوره وهو شاعر بفلسفته تنظر الى الوجود نظرة تشاؤم وتأبى على مذاهب الهند ، فرالتت من روحه هوى . فأحب التجرد في الفلسفة البوذية ولكنه لم يفهم تجردها الذي يمنح الخلود ، ولم يستطع ان يلائم بين خيالها وحقيقته . تجرده ميل الى الفناء واستسلام الى العدم ، يحملك الى العدم القبيح على شبه اجنحة من الحكم والحب . وتجد نفسك التي تكره العدم تميل الى عدمه وتطرح نفسها فيه نهائت الفراش على النار . فتلب لي افانيه يعانق الموت . والعدم يرقص مع الحياة

وديوان «الوهم الباطل» يمثل مذهبه العدمي « خليل »

كل شيء كاذب ، أحب في كل زمان !
أحب واحلم وآمن في التحني ،
وتدمع فؤادك الخفاق
لهذه الجراح التي يقدمها

كل شيء باطل ، آمن دائماً
وأحب بلا نهاية ، وتمنَّ واحلم
لا تترك صحبة الحب
واذكر دائماً ان الحياة قصيرة السمر

لتسكر نفسك بالفضيلة والفن
وليكن انسو صدف عقلك وقلبك . . .
وأحب اللون الوردي . .
وكن شاعراً ان لم تكن الهاً . . .

الحب والحلم هما حقيقة الحياة
فالحياة هي لمعة البرق الخاطف
يلمع لحظة في جوانب السماء
ثم يتلاشى في الفضاء

الأهواء وحدها ، الاهواء المتبوبة في النفس
تضيء قليلا بوهجها احيانا المنعمة
قبل ان يسترنا الليل السرمدي
حيث تتوارى النفس وتزهق الروح .

أفن نفسك اذاً
فكل مصباح يرسل النور وهو يضطرم .
أضرم قلبك وفكر في اللحد
الذي ستحول فيه تراباً

هنالك الهوة المتناهية غير بعيدة عنا
فأضيء وألمع وأنت تهوي فيها .
وأجعل فناءك مشتعلاً ساطعاً
أحب واحلم وتمنَّ وتألم

٢ — الزوبعة

هل تنظرين الذرات ترقص ؟
والنجوم تخفق ؟
واشباح الاحياء تدور في مدارها الابدي ؟

هل تسمعين في الفضاء كهدير الامواج !
هذه اللجبة الشديدة من صياح وعويل وفناء ؟

اصوات البغض والمقت الشديد
الاصوات الناعمة والاصوات الناقة
اصوات الهاتين واصوات الباكين ؟

هل تسمينها ممزوجة ببكاء وشهيق
تمشي بينها تهدات عاشقات شاحبات
يتلقينَ قبلات العاشقين ؟

هل تسمينَ كالعاصفة الجائرة في اليم الفضوب
تنبل عليك هذه اللجبة الهائمة من انهار ، وجداول وبحار ؟

وهنالك الجبال والسهول
والغابات والمسارب
تمتزج اصواتها بأصوات بني الانسان

هل ادركت من هذه الاغنية التي لا تزال تبتدىء وتمور
في هاوية النسيان بلا نهاية
هل ادركتِ ان « كل لحية » باطلة ؟

هذه الابدان وهذه العيون ، وهذه الثغور ولآلئها
هل تحسين سرعة عطبها ؟
وهذه اليد التي تلمسينها
هل تستروحين ريح الموت فيها ؟

وعلى الرغم من ذلك . . .
فانزلي — يا نفس — في الهاوية
واسقطي في زوبعة الاحياء
وانت — يا شبحي ! تمتع ساعة وتألم !
واجرِ مع رغبة الرياح

. . . . . .
. . . . . .

وجولي لحظة أيتها النفس — وانتِ معانقة جسد امرأة —
في هذه الزوبعة التي لا تنتهي . . .

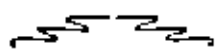

ريح الفجر

للشاعر الانكليزي كيبلنج

اذا فتحت نافذتك قبيل الفجر وسمعت الليل وناسه ،
تسمع الريح وهي ساحبة اذيالها ، تخترق الليل .
وتذهب الى الشمس توقظها من رقادها .

والاشجار في الليل ترتعش وتلمع تحت لألاء القمر ،
والليل على الرغم من سواده وعمقه تراه يمضي ليستحمّ بالضباب .
واذ ذاك تهب الثيران من مرابضها ، وترعى قليلاً ثم تنام ،
وهي تجترّ في مجاثمها الهادئة . . .

وقد ينهض عصفور من عشه يردد لحناً ثم يسكن ، والريح لا تنفك تنفخ في كل طريق في الظلام الأربد حتى يتشقق الظلام قليلاً قليلاً فتعود الى — ملكتها بهمس لطيف كأنهُ خفق جناح ملاك — ولا تزال تصخب حتى توقظ الارض المتشحة بالسواد اشعة الشمس ! فتكتسي الارض رداء ارجوانيًّا .

ها هو ذهب الفجر يسيل في الحقول
وها هي العصافير تردد الاغاني
والريح قد هجعت في المروج وهي تحتضر
والنهار أقبل وجاءت أشاله !

واذ ذاك حين يشعر الوجودَ الهاجع رقادٌ ثقيل كئيب لا رجاء بعده باليقظة ، يحس الناس خلال احلامهم السوداء ما يخلق لهم الهمس في الليل والانين في الرقاد.
ذلك نداء النهار !
وذلك صخبه الشديد
فينهض كل انسان — ناجياً من كبد الليل .
يضحك لجاره . . . ويرى بفكره
«ان روحهُ ليست لاحد ، وانما هي لهُ »

بين غريبين

للشاعر الطرابلسي سترابوس

كنتُ في العهد الغابر —

أود أن أعرف منطق الطيور

وأفهم شكاوي البنادل

وأعرف نجوى الليل والنهار حين يتلاقيان ويتناجيان

وأرى الى اي أوج تسمو زفرات المحبين !

كنتُ حينذاك فتىً تغمرني السعادة

واليوم —

قد ألهوت كل اماني الماضي

وأصبحتُ اتوق الى معرفة ذلك الطيب الذي تُداوى به آلام الحياة

وأمسيتُ في هذا الليل المُرخي عليَّ سدوله بأنواع الهموم —

أبتغي أن أعرف :

أهناك أملٌ يصبح غير بعيد ،

يتنفس عن نهار جديد ؟

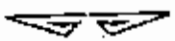

باب المراسلة والمناظرة

الاصطلاحات

التي اقرها مجمع اللغة العربية في دورته الثانية

بقلم الفريق الركتور صليبا

تتمة

من الالفاظ التي اخذتها على لجنة اصطلاحات علوم الاحياء في السنة الماضية قولها في التمثل (ص ٧١ من الجزء الاول) عمل من اعمال التغذية به تتحول المواد المتصة بعد الهضم مواد مماثلة لجسم الحيوان الآكل فاذا اكل الكلب مثلاً دهن خروف هضم هذا الدهن ثم امتصت المواد الحاصلة من هذا الهضم فصارت في جسم الكلب دهناً جديداً مماثلاً لدهن الكلب ومخالفاً دهن الخروف

فقلت يومئذٍ ان قول اللجنة دهن خروف من استعمال العامة في الشام ومصر والصواب شحم او ألية فالدهن بالعربية شيء سائل كالسمن فيقال دهن البزر ودهن السمسم ودهن الزيتون ونحو ذلك وارى ان صحة ما يريدون قوله ما يأتي : التمثل والتمثيل عمل من اعمال التغذية به تتحول المواد المتصة بعد الهضم مواد مماثلة لجسم الحيوان الآكل فاذا اكل الكلب مثلاً شحم خروف هضم هذا الشحم ثم امتصت المواد الحاصلة من هذا الهضم فصارت في جسم الكلب شحماً جديداً مماثلاً لشحم الكلب ومخالفاً شحم الخروف فالكلب قد مثل شحم الخروف وشحم الخروف هو المثل . اي انني قلت ان الدهن بهذا المعنى خطأ وينبغي ان يقال شحم

ولكن اللجنة الموقرة زاغت في هذه السنة من كل هذا حتى لا تقول الشحم فقالت التمثل (ص ٣٤ من الجزء الثاني) تحول المواد المأكولة بعد الهضم والامتصاص سوائل او انسجة مماثلة لجسم الحيوان الآكل اي انها تركت الشحم ولعلها تعود اليه في السنة المقبلة فالشحم موجود لا ينسى وهو وارد في التوراة وفي القرآن الكريم كما ذكرت في جزء ابريل الماضي فعسى ان اللجنة الموقرة تعود الى الشحم والتمثيل والتمثل والى المواد الشحمية في السنة المقبلة

ولا بدَّ لي هنا من شرح الشحم والمواد الشحمية وانهُ لا يجوز غيرها فالمواد الدهنية التي ذكرتها اللجنة (ص ١٨٥ الجزء الثاني) لا يجوز فيها الا المواد الشحمية فلا يخفى ان هذه المواد ضد اسمها لوجان الشحوم والادهان فالشحوم معروفة وقد اسهبت فيها في جزء ابريل الماضي. اما الادهان فهي الادهان الثابتة اي الزيوت الثابتة فاذا قلنا المواد الدهنية فانها لا تشمل الشحوم لذلك قلت ان المواد الدهنية لا تجوز بتاتاً لان الشحم اعم من الدهن وهو الاصل. ألا ترى ان اللجنة حذفت الشحم وقالت في هذه المواد « ومن مثلها الزبد والزيت » (الجزء ٢ ص ١٨٥) وكانت في السنة الماضية « ومن مثلها الزبد والدهن والزيت » (جزء ١ ص ٨٣) وهي تريد بالدهن ما صوابه الشحم فاذا اعادت الشحم كان قولها صواباً والاَّ كان تعريبها ناقصاً لذلك رأيت ان اذكر في ما يلي الترجمة الصحيحة للكلمات الآتية لتجد ان المواد الدهنية كما جاء في الصفحة ١٥٠ والصفحة ١٨٥ من الجزء الثاني خطأ وصوابها المواد الشحمية ولا يجوز غيرها

تمثيل وتمثّل اي من المتعدي واللازم	Assimilation
شحم ان كان ولا يقال دُهن	Fat
شحمي ولا يقال دهني فالنسبة الى الشحم شحمي لا دهني	Fatty
دُهن جمعها أدهان وكما قال العرب الزيت فالزيت هو دهن الزيتون على التحقيق	Oil
دُهني	Oily
زيت او دهن الزيتون	Olive oil
دهن ثابت او زيت ثابت وهو دهن الزيتون اي الزيت	Fixed oil
الشحوم والادهان	Fats and oils

واظن في ما تقدم صحة ترجمة الالفاظ الآتية وهي التمثيل والتمثّل والشحم والشحمي والدهن والدهني والزيت والزيت الثابت والشحوم والادهان فقولنا المواد الدهنية خطأ والصواب المواد الشحمية ولعلَّ قولنا المواد الدهنية على مذهب « ماعليش » لان الدهن اذا جمد صار شحماً والشحم اذا سال صار دهناً فهذا القول منطق فاسد

ونعود الآن الى سياق الكلام عن الالفاظ الاخرى التي ذكرتها اللجنة الموقرة

ص١٦٤ عجلاة الدقاق اي المكرسكوب فقد كانت اللجنة استعملت قبلاً المجهر (الجزء الاول ص ٩٨) ثم عدلت عنه والمجهر شائع كثيراً في مصر والشام والعراق وهو احسن كثيراً من

عجلاة الدقيق . ألا ترى ان اللجنة عادت اليه مراراً فقالت حي مجهري (ص ١٣٢) وقالت نوع من الاحياء المجهرية (ص ١٤٠) والمجهر من اوضاع الشيخ ابرهيم الحوراني وقد قلت قبلاً ان اكرام العلماء واجب ولا سيما بعد وفاتهم ومن علماء سلفهم فقداً وبعد عمر طويل يموت اعضاء المجمع اللغوي ونحفظ ذكرهم بما وضعوه من الالفاظ

ص ١٧٣ المتأبّر وقد تقدم ان الصواب في ترجمة هذه الكلمة هو الوزيم

ص ١٧٤ : الحيوانات المتغيرة الحرارة فقد كان قول اللجنة فيها ما يأتي : هي الحيوانات التي تتغير حرارتها الداخلية اذا تغيرت حرارة البيئة التي تعيش فيها مثل الديدان والاسماك والضفادع والحلكات والتمابين والتماسيح . فقلت ان صحة تعريف هذه الحيوانات ما يأتي : هي الحيوانات التي تتغير حرارتها اذا تغيرت حرارة البيئة التي تعيش فيها مثل الديدان والاسماك والعظاء والحيات والتماسيح . اما تفضيل العظاء على الحلكات فهو لان العظاء اعم وهي تشمل الحلكات وغيرها من العظاء وأما تفضيل الحيات على التمابين فهو لان الحيات اعم من التمابين فالتمابين بمعنى الحيات من كلام العامة في مصر فالافعى من الحيات لكنها ليست من التمابين فقالت اللجنة كما قلت اي الديدان والاسماك والضفادع والعظايا والحيات والتماسيح وانما غيرت العظاء فجعلتها العظايا لجمع العظاية والعظاءة وتكسر العين فيهما عَظاء وعِيظاء وعَظايات وعَظايا وأظن العظاء أفصحها ولكنها اسم جمع او اسم جنس جمعي وعلى كل فقد قالت اللجنة كما قلت وغيرت فيها كلة ولعلها مصيبة في هذا التغيير

***

وقد اصاب النقد لجنة العلوم الطبيعية والكيائية فكان مما ذكرته ان اللجنة قالت المنطسة بالتجاور او المنطسة بالتأثير فقلت الصواب المنمنطة بالتجاور او المنمنطة بالتأثير وقلت لا يخفى ان المغناطيس كلة يونانية الاصل وقد ذكرها القزويني وغيره بهذا اللفظ اي حجر المغناطيس فالنون فيه اصلية فيجب ان يقال منمنطة لا منطسة فيقال منمنطه تنمنط لا منطسه تنطس وهو ما جرى عليه اساتذة بيروت منهم الدكتور فان ديك والعلم اسعد الشدودي والشيخ ابرهيم الحوراني وغيرهم

واخذت على اللجنة قولها في Ebonite الابنوسية وقلت احسن منها الآبنوسية بالمد نعم ان الابنوس قد ورد بغير المد والمد احسن ولكن ليس الخلاف على هذه الكلمة بل الخلاف على السامية فالسامم غير الآبنوس فهو شجر هندي يشبه الآبنوس ولكنه ليس به

وقالت اللجنة في Aquarium سَلم بالفتح وقلت الصواب مُسْلم بالضم المخصص ١٢ : ٣١ وقالت اللجنة شحنة بالضم فقلت شَحنة بالفتح

ولكن لجنة العلوم الطبيعية زاغت من كل هذا فتركت هذه الألفاظ كلها ولم تذكرها في المجلد الثاني بتاتاً ولعلها حتى الآن لم تتفق على الغطة والغطسة او لانها تركتها حتى تنسى المسألة . خمسة الفاظ او اربعة تزوج منها اللجنة مع انهُ مضى عليها سنة وبعض السنة فكيف تقرر الالفاظ الباقية وهي الوف والوف ولا تنتهي منها فأي مدى تنتهي الوف الالفاظ الطبية والكيميائية فاذا انتهت يكون الافرنج قد وضعوا غيرها

هذا شيء يسير جداً مما اخذتهُ على لجنة علوم الاحياء ولم اذكر الأمور المختلف عليها بل ذكرت الالفاظ التي لا خلاف فيها ولم اذكر الالفاظ التي وضعها المجمع الموقر او بحث فيها لان اعضاءه من ائمة اللغة الذين يشار اليهم بالبنان . ثم اني اقتصرت في النقد على الفاظ علوم الاحياء وهي الفاظ قضيت العمر في تحقيقها وجمعها . ولا يخفى ان معرفة اللغة وحدها لا تكفي في تحقيق مثل هذه الالفاظ بل يقتضي التحقيق معرفة في اللغة ومعرفة دقيقة في العلوم العصرية وان امراً مثل هذا يتعذر او يستحيل على رجل واحد ولو وصل الى ما لم يصل احد غيره من العلم فهو امر يحتاج الى علم واسع وصبر وجلد وحسن نية واخلاص وامانة في النقل وصدق في الرواية ودقة في تتبع الالفاظ واني لنا بمثل هذا الرجل . ولعلَّ من ليس من اعضاء المجمع الموقر وضع مثل هذه الالفاظ فان المجمع وقد جمع علماء اللغة لا يمكن ان يفعل شيئاً من هذا ولا يمكن ان يضع الدهن مثلاً مكان الشحم وكلاهما وارد في القرآن الكريم ولا شبهة في صحة تفسيرهما

***

هذا وارجو من المجمع الموقر ان لا يحمل نقدي الاَّ على حسن نية واخلاص . واما سرقة الادب فان طبعي لا يقبلها فهي اشد ضرراً من سرقة الاعراض واني شديد الوطأة على منتزعها فان الزباب وقد مرَّ ذكره مقتبس من معجم الحيوان بلا ادنى شبهة فانا نريد من يحمي الادباء من لصوص الادب فاذا كان مجمع اللغة وقد جمع شيوخ العلم والفضل لا يحميهم فانهُ لا قوة في الدنيا تقدر على ذلك . فقولنا ان كلة واردة في كتب اللغة لا يكفي لتبرئة المقتبس فكثير من الالفاظ وارد في كتب اللغة لكن الذين يحققونها قليلون والاَّ فكيف يكون النقد النزيه اذا كان المرء لا يأمن على ما افنى العمر في تحقيقه فاقتباس الزباب بسيط في حد ذاته وانما كنت اود ان لا يقع في جملة عليها اسم مجمع اللغة الملكي ويعلم الله ما كابدته من العناء في تحقيقه وقد ذكرته في الصفحة ٧٥ من معجم الحيوان فليراجعه من يشاء وليحكم في التحقيق . نحن نريد ان يكون المجمع مرجعاً للادباء يحتكمون فيه فاذا كانت الشكوى منهُ فالى من يحتكمون . هذه كلة صادرة عن اخلاص واعلم ان اعضاء المجمع منزهون عن كل شبهة كل واحد منهم ولكن السرقة واقعة بلا ريب او قل الاقتباس لانهُ اخف وطأة

باب الأخبار العلمية

البونا والدوبرين

في معرض السيارات الالماني الاخير أعلن الهر هتلر ان شركة المانية قد حلت معضلة الكاوتشوك الصناعي واشار الى عجلات سيارات مصنوعة من كاوتشوك «البونا» كانت قد امتحنتها السلطات العسكرية وغيرها

ولكن ما هو كاوتشوك «البونا»؟ لا الهر هتلر قال ولا منشورات الشركة التي صنعته. وانما ذكر اسم مركب يدعى «بوتادين» قبل ان «البونا» صنع منهُ

والكاوتشوك كما لا يخفى مركب ايدروكربوني اي انهُ مركب من عنصري الايدروجين والكربون. الا أن المركبات الايدروكربونية تحصى بالالوف واحدها مركب يدعى «ايزوبرين»

فمن نحو ستين او خمس وستين سنة ذهب الكيماوي الفرنسوي «بوشارداه» الى ان الكاوتشوك الطبيعي مركب من جزيئات صغيرة من الايزوبرين. وقد كان على صواب في ما ذهب اليه. إن إحماء الكاوتشوك يفضي الى الحصول على الايزوبرين. فاذا امكن الفوز بمصدر رخيص يستخرج منهُ الايزوبرين فليس بعسير تحويله الى كاوتشوك

وظن الكيماوي الانكليزي «تلدن» ان هذا المصدر هو زيت التربنتينا. فقضى سبع سنوات يحاول ان يصنع الكاوتشوك من الايزوبرين المستخرج من هذا الزيت. ولكنهُ لم يفز الا بمركبات ايدروكربونية سائلة اشبه بالزيت الا انهُ على الرغم من اخفاقه في تحقيق ما يصبو اليهِ مهد السبيل للبحث عن طريقة لصنع الكاوتشوك الصناعي

وتابع الاستاذ «هرز» احد علماء جامعة كيل على البحث في الموضوع فقضى فيهِ ثماني سنوات من سنة ١٩٠٥ الى سنة ١٩١٣ ولكنهُ لم يكتف بحصر بحثه في مركب الايزوبرين بل تناول كذلك فيهِ مركب البوتادين وهو يمت بصلة القرابة الى الايزوبرين فكشف هو والاستاذ ماتيوز الانكليزي كيف يمكن ان تجمع جزيئات البوتادين حتى تتألف منها جزيئات كبيرة هي جزيئات الكاوتشوك. والواقع ان البوتادين نفسهُ غاز يتحول بهذه الطريقة طريقة تجمع الجزيئات الى مادة جامدة او مطاطة

وتناول الدكتور «فرتز هوفن» موضوع البحث مؤيداً من قبل صناعة قطران الفحم الحجري الالمانية فصنع من البوتادين كاوتشوكاً في سنة ١٩١٠ وبيع من هذا الكاوتشوك نحو عشرة

اصناف في المانيا قبل الحرب الكبرى ولكن نفقات صنعه كانت كبيرة فلم يكن في وسع صانعيه ان يتافسوا به الكاوتشوك الطبيعي

فلما نشبت الحرب الكبرى وانقطعت صلة المانيا بالعالم حاول الالمان ان يصنعوا الكاوتشوك على طريقة هوفمن ولكن الادوات اللازمة لصنعه كانت تعوزهم حينئذٍ فارتدوا الى طريقة هريز وهي صنع الكاوتشوك من الازوبرين ولكن الكاوتشوك الذي صنع كذلك لم يكن جيداً

***

وبعد الحرب لم يجد هوفمن او غيره من علماء المانيا حافزاً للمضي في هذا البحث علاوة على نفقته العظيمة بعد هبوط المارك خصوصاً. ولكن هوفمان عاد اليه من نحو عشر سنوات وشجعته الدولة خشية لنشوب حرب اخرى تقطع فيها صلة المانيا بالعالم على نحو ما تم في الحرب الاخيرة. وهذا الكاوتشوك الجديد المعروف باسم «بونا» هو ثمرة هذه المباحث على ما يظهر

يبدأ الالمان بالجير والكوك والملح والماء وكذلك يبدأ الاميركيون الذين يصنعون الكاوتشوك الصناعي المعروف باسم «دوبرين». (وقد وصفناه في مقتطف دسمبر ١٩٣٠ ص٥٤٩) فيحول الجير اولاً الى كاربور الكلسيوم فاذا صب الماء عليه تولد غاز الاسيتلين. ومنهُ يستخرج البوتادين في المانيا والكلوروبرين في اميركا وهذان الغازان يحولان الى كاوتشوك بطريقة تجميع الجزيئات وهذه الطريقة هي مطوى السر في البلادين

ارانب لا أب لها

هذا هو السؤال الذي يسأله كل من يطلع على التجارب العجيبة التي قام بها الدكتور غريغوري بنكس الاستاذ بجامعة هارفرد الاميركية

ذكرنا قبلاً في هذا الباب نتائج تجارب سابقة اجراها هذا العالم وملخصها انهُ اخذ بيض اناث من الارانب ووضعها في انبوب ادخل فيهِ نطف الذكر فتلقح البيض وبعد التلقيح نقل بيضة ملقحة الى رحم ارنب وتركها هناك فتكونت جنيناً سويًّا. فكان هذا النبأ حديث الدوائر العلمية وغير العلمية مدى اسابيع

ولكن الدكتور بنكس لم يقف عند هذا الحد فمن اسابيع اجتمع مؤتمر لجمعيات علوم الاحياء التجريبية في وشنطن فقرأ فيهِ احد زملاء الدكتور بنكس رسالة وصف فيها التجارب الجديدة التي قام بها استاذ جامعة هارفرد وملخصها انهُ اخذ بيضة من انثى ارنب ووضعها في انبوب ليس فيهِ الاَّ محلول ملح. ثم اعاد البيضة الى رحم الارنب فتكوَّن منها جنين سوي

ثم جرب تجربة اخرى من هذا القبيل استغنى فيها عن محلول الملح واكتفى برفع حرارة الانبوب الى درجة ١١٣ فارنهيت (اي درجة ٤٥ مئوية) ثم اعاد البيضة الى رحم الارنب فتولد منها جنين سوي

هذه هي حقائق التجارب التي قام بها الدكتور بنكس وهي على ما ترى تختلف عما هو معروف في بعض الاحياء العليا من ضرورة اجتماع نطفة الذكر ببيض الانثى حتى يتم التلقيح

غير ان الدكتور جاك لوب فعل ما هو شبيه بهذا في حيوان « الرتا » اذ جعل يضعه يتسرب كأنهُ ملقح بتأثير تحاون ملح او بوخز ابرة كهربائية . ولكن تحقيقه في الحيوانات العليا لم يتم قبل تجارب الدكتور بنكس على ما يعلم

*

الجاموس الافريقي

جاء في معجم الحيوان ان الجاموس الافريقي هو اشد الجواميس خطراً على الانسان ويقال لهُ في السودان جاموس الحلاء ولا يتأنس البتة . وهو بحسب مقال في مجلة التاريخ الطبيعي الاميركية من طائفة الثيران البرية وهذه الطائفة متصلة الى حد ما بالثور الأنيس او الأليف الا ان هذا الضرب المعروف بالجاموس الافريقي قلما يشابه الثور الاليف في شكله وهيئته ويزداد بعداً عنهُ اذا قابلنا بين سلوك الاثنين. فالجاموس الافريقي مشهور بأنه من أشد الحيوانات خطراً ومحاولة صيده مغامرة كبيرة . فهو شرس قوي الاصلاب بارع في اختيار المكان الذي يهجم فيه على عدوه وزمان ذلك الهجوم وكثيراً ما اقتضت قوته وشراسته ودهاؤهُ الى وقوع فواجع في جماعات الصيادين الذين يتأثرونهُ

الجاموس الافريقي منتشر في شرق افريقية من جنوب الحبشة الى رأس الرجاء الصالح واكثر ما يوجد قرب الماء اما حيث يقل الماء او يندر فهذا الضرب من الجاموس لا يوجد له أثر او قلما يوجد لهُ أثر

وهو يتصف ببعض الطبائع الاجتماعية يجتمع قطعاناً تختلف من عشرة جواميس او اثني عشر جاموساً الى مائة جاموس . والقطيع يتألف من الاناث والذكور وليس فيه على ما يظهر للوحشيين والصيادين جاموس واحد بمثابة مقدم او مرشد كالساعور في جماعة الماعز

تختلف الاناث عن الذكور في ان قرونها أصغر من قرون الذكور . وتميل الى مهاجمة العدو لاقل تحدٍ او استثارة . حتى ان الذكور تكظم الغيظ والحقد ولا تهاجم الاَّ اذا بدا لها الوقت الملائم والمكان الملائم

ويغلب ان تتناول هذه الحيوانات طعامها في الليل ثم تستلقي في حر النهار في بطيحة من البطائح للابتراد . فاذا مالت الشمس الى الغروب تخرج للبحث عن مرعى ترعى فيه ويبيد شروق الشمس تعود جماعات من المراعي الى البطائح . واذا كان في البقعة التي توجد فيها نهر قريب فالغالب انها تشرب كفايتها من الماء قبل العودة الى البطائح للاستراحة وقد تكون المسافة بين النهر ومكان الراحة اميالاً

هذا الجاموس شديد الحذر مرهف الحواس وبوجه خاص حواس البصر والشم والسمع ولذلك يجب ان يبالغ في الحذر والحرص عند صيده وهو في الغالب لا يهاجم الاَّ اذا هوجم . نقول في الغالب لان بعض الصيادين والكتاب ذكروا حوادث هجم فيها الجاموس الافريقي على الناس لم يبادئوه العداء

راديوم الدائرة القطبية

يباع الغرام الواحد من الراديوم الآن بنحو ١٥ الف جنيه . وذلك لندرة المناجم التي يستخرج منها تبره ولعظم المقدار من التبر الذي يستخرج منهُ غرام او جزء غرام من الراديوم وتتعدد عمليات السحن والغسل والتحليل التي تفضي الى ذلك الاستخراج

وقد قرأنا الآن ان تبر الراديوم قد وجد في مناجم على شواطئ بحيرة الدب الكبير عند الدائرة القطبية الشمالية في شمال كندا الا انهُ من المتعذر ان يبنى في تلك الاصقاع القطبية المتجمدة مصانع لاستخراج الراديوم من تبره فانشئت مصانع في بلدة بورت هوب بمقاطعة اونتاريو بكندا لهذا الغرض وهي بلدة تبعد عن مناجم الراديوم الشمالية نحو ثلاثة آلاف ميل

كان هذا التبر يستغرق اسابيع في نقله اولاً من المنجم الى بورت هوب ولكن استعمال الطائرات الآن يمكن القائمين على هذا العمل من نقل التبر من المنجم الى المصنع في ثلاثة ايام ونصف يوم اذا كانت الحالة الجوية مؤاتية

*

الغذاء واطالة العمر

وضع الدكتور هنري شرمن استاذ الكيمياء بجامعة كولومبيا تقريراً قدمهُ الى معهد كارنيجي بوشنطن قال فيهِ ان اطالة العمر خمس عشرة سنة ممكنة بالغذاء الملائم

كان هذا التقرير نتيجة تجارب جربها بالجرذان لان كيمياء غذاء الجرذان شبيهة بكيمياء غذاء الانسان فالنتائج التي اسفرت عنها هذه التجارب يمكن تطبيقها على الانسان

قسم الدكتور شرمن جرذانهُ الى طائفتين. فغذى الطائفة الاولى بغذاء يحتوي على الفيتامينات وغيرها من مواد الغذاء التي لا غنى عنها . وغذى الثانية بغذاء نموذجي يختلف عن الاول في مقدار اللبن الذي فيهِ. فمقدار اللبن في طعام الطائفة الثانية جهز اجسام الجرذان بالحيرو فيتامين A. فكانت حياة الطائفة الثانية أطول من حياة الطائفة الاولى وأشد حيوية ونشاطاً . والنتائج التي وصل اليها تبين انهُ اذا صح على الانسان ما يصح على الجرذان فبوادر الهرم في الانسان التي تبدأ في الظهور في السنة ٦٥ من العمر تتأخر بفعل هذا الغذاء الى سن ٧٥ او سن ٨٠

*

عرق الطيور

من المعلوم ان العرق الذي يتصبب من اجسام الحيوانات الحارة الدم عند ما ترتفع حرارة الجو او يكثر عمل الجسم انما غرضهُ خفض حرارة الجسم لابقائها على مستواها الطبيعي. وهذا الخفض يتم بالتبخر. ولكن الطيور وهي من الحيوانات الحارة الدم لا تعرق. فكيف تحتفظ بحرارة جسمها سوية وتحول دون ارتفاعها؟

اولاً انها تطلب ظلال البساتين والحدائق والحراج في حر الظهيرة فيساعدها ذلك قليلاً. ثم ان لها لهاثاً من الاكياس الهوائية في صدرها متصلة برئاتها تبرد الدم عند ما يدور دورتهُ الرئوية

مجمع تقدم العلوم البريطاني

يعقد مجمع تقدم العلوم البريطاني اجتماعه السنوي في اواخر الصيف من كل سنة في مدينة من مدن انكلترا او مدن الامبراطورية وقد سبق عقده مراراً في كندا وجنوب افريقية واوستراليا

وينتظر أن يعقد هذا المجمع السنوي القادم وهو الاجتماع الخامس بعد المائة في مدينة بلاكبول في شمال انكلترا في ٩ سبتمبر ويرأسه السر يوشيا ستامب العالم الاقتصادي المشهور فيه ومن المحاضرات النفيسة التي ينتظر ان تلقى فيه محاضرة عنوانها « المهندس والامة » يلقيها الاستاذ كرامب احد اساتذة جامعة برمنغهام

*

حفظ اللبن طازجاً

استنبط في الولايات المتحدة الاميركية من عهد قريب اسلوب بارع لحفظ اللبن المعقم طازجاً مدة ثلاثة اشهر بعد تعقيمه

وهذا الاسلوب عبارة عن آلة خاصة تضع الغطاء على زجاجات اللبن ثم تختمها . ذلك أن الزجاجات تملأ اولاً باللبن المعقم . ولكن سطح اللبن في الزجاجة يبقى معرضاً لما في الهواء الملامس له من الميكروبات . فلمنع تطرق الفساد الى اللبن يجب ان تعقم سطح اللبن قبل اقفال الزجاجة وختمها . ولهذا الغرض استنبطت هذه الآلة . فتمر فيها الزجاجات وقد ملئت لبناً معقماً في حجرة يملؤها بخار شديد الحرارة فتقتل البخار ما على سطح اللبن من الميكروبات ثم تقفل الزجاجات وتختم والبخار لا يزال يحيط بها فيمنع ذلك تطرق مكروبات الفساد اليها فيبقى اللبن طازجاً من دون أن يفسد ثلاثة شهور

*

امواج الصوت وامتحان المعادن

من الاصوات ما تبلغ امواجه الوفاً او مئات الالوف في الثانية وهذا مما يتعذر على الاذن سماعه . لان الاذن البشرية لا تسمع صوتاً تزيد امواجه على عشرين الف موجة في الثانية

هذه الاصوات يمكن توليدها من بلورات الكوارتز باطلاق تيارات كهربائية عليها وقد سبق للباحثين فجربوا تجاربهم فثبت لهم انهُ اذا اصابت هذه الاصوات الاحياء الدقيقة قتلتها ونثرتها هباء . وقد اطلعنا الآن على استعمال جديد عجيب لها ذلك انها تستعمل في امتحان قضبان او قطع من الفلزات ليعرف هل تركيبها الداخلي منتظم او سليم من الشروخ ومواطن الوهن

يؤخذ القضيب ويصقل من طرفيه ويوضع الطرف الواحد وضعاً يلامس فيه احدى بلورات الكوارتز التي تولد هذا النوع من الامواج . ويوضع الطرف الآخر في اناء فيه زيت . فاذا تولدت الاهتزازات في بلورة الكوارتز سرت في القضيب الى الطرف الاخر فتنشىء على سطح الزيت شبكة من الامواج الدقيقة

ثم يوجه الى سطح الزيت شعاعة من الضوء فتصيب الامواج الدقيقة وتتكسر عليها فتتحول الى رسم طيفي ملون يمكن مشاهدته على لوحة بيضاء فاذا كان الرسم غير منتظم دل على وجود شوائب او مواطن ضعف في داخله

الاحتفال بجامعة هيدلبرج

جامعة هيدلبرج أقدم جامعة في المانيا اسسها الناخب روبرخت الاول من البالاتينيت سنة ١٣٨٦ فهي هذه السنة يكون قد انقضى خمسة قرون ونصف قرن على تأسيسها

وقد اغتنمت حكومة المانيا فرصة اقامة الالعاب الاولمبية في المانيا الاحتفال في يونيو الجاري بهذا العيد فوجهت ٥٠٠ دعوة الى نخبة المشتغلين بالشؤون العقلية في مختلف انحاء العالم ومنها دعوات الى الجامعات الاميركية

ومن الجامعات التي قبلت هذه الدعوة وقررت ان توفد وفوداً الى هذا الاحتفال جامعات كولومبيا وهارفرد ومشيغن ووسترن ريزرف وتمبار وكورنيل وكلية امهرست في الولايات المتحدة الاميركية والانستيتوده فرانس وجامعات دبلن وبريتوريا وستوكهلم وجنيف وفينا وصوفيا وغيرها

وتكاد هذه الجامعات تشترك في رأيٍ الذي ابداه جامعة هارفرد في الاعراب عنهُ وهو انها تشترك في هذا الاحتفال وهي مدركة حق الادراك الروابط التاريخية التي تصل جامعات العالم بعضها ببعض على الرغم من الاحوال السياسية

***

والظاهر ان كل عمل يكون مصدره في المانيا في هذا الحين لا يمكن ان يتم من دون ان يعترض عليه في ناحية من النواحي. والغريب ان تكون انكلترا مصدر الاعتراض على ما يتعلق بحفلة جامعة هيدلبرج مع ما يبدو من ميل الشعب البريطاني الى فهم المانيا الجديدة

فعندما وجهت الدعوات الى جامعات انكلترا كتب أسقف درهام كتاباً الى رئيس تحرير التيمس في لندن محتجًّا على اشتراك الجامعات البريطانية في هذا الاحتفال مستنداً في اعتراضه الى ان الوطنيين الاشتراكيين قد الغوا الحرية الجامعية (Academic) واضطهدوا الاساتذة

وتوالت الرسائل في التيمس في هذا الموضوع واشترك في مناقشته طائفة من اعلام الفكر وأقطاب التعليم العالي في بريطانيا

وعلى ذلك رفضت جامعة برمنغهام الاشتراك في هذا الاحتفال ورفضت جامعة كمبرج كذلك ولكنها اعربت عن تقديرها للخدمات العظيمة التي اسدتها جامعة هيدلبرج للعلوم الطبيعية والمواليدية والفنون الحرة في مدى تاريخها الطويل

***

اما جامعة اكسفرد فاعتذرت عن ارسال وفد الى الاحتفال وانما بعثت بخطبة مكتوبة باللغة اللاتينية مهنئة بالعيد ومعترفة بدين الانسانية للعلم الالماني وراجية ان تمضي هيدلبرج محتفظة بكتاب المعرفة مفتوحاً للظامئين للعلم

فبعد كل هذا تباحث الدكتور جروه (Grohe) مدير الجامعة مع رجال الحكومة فاستقرَّ الرأي على سحب جميع الدعوات الموجهة الى الجامعات البريطانية على ما جاء في جريدة نيويورك تيمس بتاريخ ٨ مارس

جبار مارد وغدده

اذا بلغ الرجل ست اقدام طولاً حسب بين الرجال من الطوال

ومن بضعة اشهر بدأت صحف اميركا تعنى بفتاة بشاب يدعى روبرت ودلو من انها لعنايتها به جعلت الكتابة عنهُ في المقام الاول بين اخباتها . ولم يكن الباعث على تلك العناية ان الشاب اقترف جريمة منكرة ولا أنهُ تخطى رقاً تيابيًا في الالعاب الرياضية وانما كان الباعث على عنايتها به ان طوله بلغ ثماني اقدام واربع بوصات يوم بلغ الثامنة عشرة من عمره. اما وزنهُ فيبلغ ٣٩٠ رطلاً مع ان والده سوي ولا يزيد وزنهُ على ١٥٠ رطلاً . وقد رأينا صورتهُ واقفاً امام سيارة فورد (سيدان) فاذا اعلاها لا يبلغ حزامه

قد يقول القارىء انهُ فلتة من فلتات الطبيعة. وهو كذلك . ولكنها فلتة لها تعليل . والتفسير ان في غدة هذا الشاب النخامية خللاً . وهذه الغدة تقع في منخفض صغير في قفا الرأس . وتسيطر على النمو والشق وافراز اللبن . ويقال أن هنالك صلة بين الغدة النخامية في الدماغ والغدة الدرقية والتي وراء الدرقية في الصدق والغدة الصعترية والغدد التي فوق الكلى

فاذا زاد ما تفرزه الغدة النخامية من توثر (Hormones) النمو زاد نمو صاحب هذه الغدة زيادة فاحشة . وقد جربت تجارب في الجرذان ونوع من الكلاب فخلت بحقن من هذا التور فزاد حجمها زيادة عظيمة

يقابل هذا ان صبيًا صغير الحجم في السابعة عشرة من عمره حقن بهذه المادة فلم يزد حجمه والعلم الآن عاجز عن تفسير ذلك . بل يقال بوجهٍ عام ان استجابة انسجة الجسم لهذه الحقنة عامل اساسي وأنهُ مهما يكن مقدار التور الذي يحقن في جسم مقزم فانهُ لا يمكن ان يصبح مارداً

وليس روبرت ودلو الشاب الاميركي الذي تقدم ذكره اطول رجل عرف في التاريخ . ففي الكلية الملكية للاطباء والجراحين في لندن هيكل عظمي لرجل يدعى تشارلز بيرن مات سنة ١٧٨٣ بعد ما بلغ طوله ثماني اقدام وخمس بوصات اي انهُ كان اطول من الفتى الاميركي ببوصة واحدة

ويقال ان انكليزيًا آخر يدعى جون مدلتن مات سنة ١٦٢٣ وقد ذكر في قبريته ان طوله بلغ ٩ اقدام وثلاث بوصات. ولكن الاطباء والباحثين لا يعيرون هذا النقول التفاتاً كبيراً . فالدكتور هارفي كوشنغ الخبير بهذه الموضوعات مقتنع بأن احداً لن يبلغ طوله تسع اقدام او ما يقاربها

*

مدينة قائمة على قطعة من الجمد

يذهب رواد الاصقاع المتجمدة الجنوبية الى ان القمة التي ضرب فيها الاميرال برد خيامه وانشأ مقر بشتيه القطبيتين وأطلق عليها اسم « اميركا الصغيرة » ليست قائمة على اليابسة على اطراف القارة المتجمدة الجنوبية بل على طبقة طافية من الجمد ثخانتها ٢٥٠٠ قدماً

خطر التوترون على الحياة

يعلم القراء ان التعرض لبعض مقذوفات الراديوم يقضي الى احتقان الجلد وتقرحه واذا طال فقد يفضي الى تسمم مميت. وليس في تاريخ البحث العلمي الحديث ما هو اجدر على الاعجاب من مضي العلماء في تجربة التجارب بأنابيب محتوية على راديوم مع علمهم بأن تعرضهم لمقذوفاتها قد يميتهم

وقد اكتشفت من اربع سنوات دقيقة مادية لا عهد للعلماء بها من قبل تعرف باسم « التوترون » اي الدقيقة المحايدة او المحايد. وهي دقيقة كتلتها مثل كتلة ذرة الايدروجين ولكنها متعادلة الكهربائية. تخترق المواد بسهولة لعدم تأثرها بالجذب الكهربائي. ثم استنبطت اساليب ميكانيكية كهربائية لاطلاقها بسرعة عظيمة على نوى الذرات لتهشيمها والنفوذ الى ما تنطوي عليه من اسرار. وقد ثبت الآن من ابحاث طائفة من علماء اميركا ان التعرض لتيارات هذه الدقائق خطر على الحياة على مثال التعرض للراديوم ومقذوفاته لانها اقوى من اشعة اكس نفوذاً للاجسام بنحو عشرة اضعاف

فقد عرض لتيارات من التوترونات طائفة من الجرذان البيض فهزلت ومرضت وانكمشت واخيراً ماتت. وكان الظن ان هذه الدقائق تؤثر تأثيراً ضاراً عامًّا في الجسم. ولكن احد الباحثين عني بإحصاء الكريات البيض في دماء الجرذان فوجد ان التعرض للدقائق ينقصها نقصاً عظيماً. وان تأثير التوترونات في نقصها عشرة اضعاف تأثير المشاعة لاشعة اكس

وجرب تأثير هذه الدقائق في انسجة النبات فظهر لها تأثير مشابه لتأثيرها في اجسام الحيوان وأنهما من رتبة واحدة في قوة التأثير

*

نجيمة جديدة؟

من النجيمات الجديدة التي تدور في فلك بين المريخ والمشتري نجيمة لا يزيد قطرها على ثلث ميل وقد دعيت اتيروس وهو شقيق اروس في الاساطير اليونانية واروس اسم نجيمة صغيرة هي اقرب ما يقترب من الارض من اجرام السماء لاستطالة فلكها الاهليلجي. اما مكتشف النجيمة اتيروس فهو الفلكي البلجيكي دلبورت

وهذه النجيمة الجديدة صغيرة جداً لا يزيد قطرها على ثلث ميل اي ان حجمها لا يزيد على حجم جبل صغير وقد اقتربت من الارض في ٧ فبراير الماضي حتى اصبحت على بعد مليون ونصف مليون من الاميال منها. وهذا بالقياس الى الابعاد الفلكية قرب عظيم. ويقول الفلكيون ان احتمال اصطدامها بالارض عند اقترابها التالي منها ليس كبيراً ولكنه ليس مستحيلاً

فاذا اصطدمت بالارض وكانت نقطة الاصطدام عند مدينة من المدن كان ذلك كافياً لتدمير المدينة ولحفر اخدود في الارض في خلال سيرها الى ان تبعد عن الارض او تفتت في الاصطدام. اما اذا اصطدمت بالارض عند اواسط محيط من المحيطات الكبيرة فالغالب ان لا يكون ما تحدثه من التدمير كبيراً

علاج الانيميا الخبيثة

يعلم القراء أن ثلاثة من أطباء أميركا وعلى رأسهم الدكتور جورج مينو احرزوا جائزة نوبل الطبية في سنة ١٩٣٤ لاتقانهم علاج الانيميا الخبيثة بالكبد. وقد اذيع التصريح العلمي الأول الخاص بهذا العلاج سنة ١٩٢٦

والآن اطلعنا في جريدة الصندي كرونيكل على ان الدكتور داكن وهو انكليزي قطن اميركا ثم عاد الى انكلترا اكتشف طريقة لاستخلاص المادة الفعالة من الكبد على نحو ما يستخرج الانسولين من الغدة الحلوة (البنكرياس)

وقد عهد مجلس البحث الطبي في انكلترا الى الأستاذ واين والدكتور النلي في امتحان هذه المادة التي دعيت « أنا هيبن » فثبت ان المصابين الذين عولجوا بها شفوا من اصابتهم في خلال بضعة اسابيع

*

خلف الاستاذ برستد

كان الاستاذ جيمز هنري برستد من أعلم اهل زمانه بالآثار الشرقية وبوجه خاص بالآثار المصرية . وقد توفاه الله من اشهر بعد ما ادى للتنقيب عن آثار الحضارات الشرقية القديمة في مصر والعراق وسورية خدمات جلى. اما خلفه فشاب عالم بالآثار المصرية يدعى الدكتور ولسن وهو في السادسة والثلاثين من العمر . وقد تلقى العلم على الدكتور برستد نفسه ومارس البحث الاثري في الاقصر واشترك في تأليف عدة مجلدات في الكتابات المصرية القديمة

أنباء علمية متفرقة

— استنبط الاستاذ فنك احد اساتيذ جامعة كولومبيا طريقة عملية تجارية لطلاء الحديد والصلب بطلاء من الالومنيوم لا يتأكل

— صنعت شركة كودك قلماً جديداً ملوناً عرضه ١٦ ملليمتراً لآلات الصور المتحركة البيتية واستعمال هذا القلم لا يحتاج الى مصفاة لونية بل هو مؤلف من خمس طبقات شديدة الاحساس بالاحمر والاخضر والازرق البنفسجي

— جلس اثنان في غرفتين متجاورتين في نيويورك وتحدثا بالتلفون ولكن كلام الواحد منهما كان يدور حول الارض في اسلاك التلفون قبل وصوله الى صاحبه وجاره المحاذي له فكان الكلام واضحاً كل الوضوح

— صنعت الشركة الاميركية الكهربائية العامة خليطاً جديداً من الالومنيوم والحديد والنيكل متصفاً بصفات مغنطيسية مستمرة

— ارسلت امواج لاسلكية متناهية في القصر مسافة ٦٠٠٠ ميل من لندن الى بوانس ايرس عاصمة الارجنتين

— كان المعروف ان الوزن الذري للهدروجين ١٠٠٧٨ و ١ ولكن طائفة من علماء كمبردج بزعامة اللورد رذرفورد أعادت وزنه وقررت أنه ١٠٠٨١ و ١ ولهذا الفرق اليسير في الوزن الذري شأن كبير في علم الطبيعة النظري

— بين الاستاذ ايلتن العلامة الانكليزي بشؤون اللاسلكي ان على ارتفاع ١٥٠ ميلاً قد تبلغ حرارة الجو ١٧٠٠ درجة بمقياس سنتغراد

مكتبة المقتطف

علم تكوين الجنين

تأليف الدكتور شوكت موفق الشطي استاذ علوم التشريح والتطبيق والتشريح الفرعي في المعهد الطبي العربي بدمشق وطبعه المطبعة السورية سنة ١٩٣٥

لا اظن احداً من قراء المقتطف يجهل الدكتور شوكت موفق انقطعي وبحوثه النفيسة الأحيائية وقد جاءنا الآن بعلم تكوّن الجنين اخذه من اقدم المصادر واحدثها ولم يكتفه ذلك بل اجرى «الاختبارات في الحيوان حيث يمكن ان يضحّى بعدد كبير منهُ لتتبع التغيرات المختلفة فيه» . فهو ليس فقط ناقلاً بل مبتكرٌ فكل من يتتبّع ما كتبهُ المؤلف يتحقق ذلك بلا ادنى شبهة

بدأ كتابه في تعريف علم تكوّن الاجنة فذكر القرآن الحكيم واورد كثيراً من آياته التي تبحث في ذلك ثم اورد كلام العرب في تكون الجنين منهم صاحب كتاب كامل الصناعة لابن المجوسي نقل ما جاء عنهُ في كتاب طبقات الاطباء لابن ابي اصيبعة ثم ذكر اقوال روفف ولامارك وداروين وغيرهم من الاجانب

ثم عقد فصلاً في التناسل وآخر في جهاز الذكور وآخر في جهاز الاناث وآخر في الذكورة والانوثة وتعيين الجنس والاستدلال على البنوّة وآخر في الوراثة وهو خير فصول الكتاب وقد اسهب فيه وذكر التخليط والتقولة والتزاوج بين الامم المختلفة وكل ما له علاقة بالوراثة

والكتاب مكتوب بلغة فصيحة لان مؤلفهُ كاتب بليغ وجمع مصطلحاته عربية ليس فيها شيء من العجمة فالمؤلف عربي صميم قرأ المؤلفات العربية واستوعبها واخذ عنها . فمن المصطلحات التي اوردها المدار وفسره بقوله حيوان مائي من الحيوانات الدنيا ولم يقل الدنيئة والرسول ترجمة هرمون والاشباب اي استرجاع قوة الشباب والصغّير تصغير الصغير للبالغة وهي ترجمة مكرون والمشار اي المليمتر والعُشير اي السانتيمتر والعُشر اي الديسمتر ومنها المُشحّ وفسره بقوله صفرة البيض . ومنها التدخل والاندخال وفسرها بقوله الدخول شيئاً فشيئاً ومنها البيض وفسره بقوله مصدر باض تبيض الدجاجة بيضاً

ومنها التبيغ اي فوران الدم ومنها الوداق من ودقت ذات الحافر اذا ارادت الفحل وقال لهذه الكلمة مرادفات كثيرة وهي الضبّع والاستضراب في الابل والوَبَلة في الضأن والدرّة في المعز والاستحرام في كل ذي ظلف والاستقراع في البقر . ومن هذه الالفاظ الضبعي وفسرهُ بقوله انقطاع الطمث والاطهار اي ايام الطهر والطهر الحالة المناقضة للحيض . ومنها اشباه البشر وفسرها بقوله فئة من الحيوانات من خصائصها ان ثديّها على صدورها والتحسف وفسره

بقوله جاء في الحديث الشريف لقد رأيت جلده يتحسَّف اي يتقشر ويترسف وكثير غيره وقد اورد المرادف الفرنسي لهذه المصطلحات إتماماً للفائدة فان ضمت هذه المصطلحات وغيرها في كتاب واحد كان منها معجم نفيس وحبذا يضعه معهد الطب العربي ان شاء الله فيكون هذا المعجم خير المعجمات العربية لان جامعيه اساتذة معهد الطب العربي . وكنت اود ان اورد امثلة من هذا الكتاب النفيس لو كان عندي متسع لذلك فالكتاب مكتوب بلغة فصيحة قلما نراها في كتابة الاطباء ولاسيما بين الذين تعلموا عند الافرنج او بلغتهم فالكتاب عربي صميم ومؤلفهُ عربي يغار على لغته فجاء كتابه آية في دقة البحث وجودة الانشاء

وهو مطبوع طبعاً متقناً جدًّا ولما كان قد قال في مقدمته انهُ يرجو من المطالع ان ينبههُ الى مواضع الزلل او الخطإ ليصلحها في فرصة اخرى فاني استبيحه لتوجيه نظره الى امر او امرين قد اكون فيهما مصيباً او مخطئاً وهو قوله البلغم وأظن الصواب اللغ وقد ذكرت ذلك قبلاً وبينتهُ في نقد معجم اللغة الملكي فقبلتهُ اللجنة . وقوله الامرأة وأظن الصواب المرأة فقد وردت الامرأة في اللغة ولكن المرأة افصح . وقولهُ السبع فالسبع هو المفترس من الحيوان مثل الاسد والذئب والنمر والفهد وما اشبه (راجع تاج العروس في ذلك) . وقولهُ ان آخر اسد قتل في بلاد العرب هو الذي وصف قتله المتنبي بقصيدته المشهورة وأظن ان آخر اسد قتل ووصل خبره الينا كان في بادية الشام ذكره القانوني ترسترام فقد قال انهُ جيء بجثة اسد في ايامه الى دمشق وترسترام كتب في سنة ١٨٨٤ . والاسد كان في الفرات الى زمن غير بعيد وكانت الاسود تأتي الى بساتين النخل في بغداد على دجلة من نحو مائة سنة وورد ذكر اسد قتله رجل في عرمون الغرب ذكره صالح بن يحيى في تاريخ بيروت على ما اذكر

ولا يخفى ان النقد اذا اريد به اظهار الخطإ سهل بالقياس الى التأليف فلو جئت لاصنف كتاباً مثل هذا الكتاب لجاء فيهِ من الخطإ اكثر من هذا كثيراً وهو امر ينقل عنهُ بعض الناس في تقدمهم فالنقد يجب ان يكتب بانصاف للمؤلف فهذا الكتاب تحفة من التحف وهو في نظري من خير مؤلفات الطب العربي وهي كثيرة

امين المعلوف

تنظيم سوريا الاقتصادي

تصنيف سعيد حامد — استاذ الاقتصاد التطبيق — جامعة بيروت الاميركية
Economic Organization of Syria

لا يحتاج الباحث الى سند يعزّز بهِ قولهُ عند ما يصرّح بأن المؤلفات الحديثة التي اخرجتها جامعة بيروت الاميركية سواء باللغة العربية او باللغة الانكليزية من اهم المراجع التي يعتمد عليها في دراسة حياة القطر السوري من نواحيهِ التاريخية والاجتماعية والادبية . وحسبنا ان نذكر في هذا المقام ، ما اخرجهُ تأليفاً وتصنيفاً ونشراً الاستاذ انيس الخوري المقدسي ، والدكتور

أسعد رستم والاستاذ سعيد حماده . والدكتور ضد والدكتور رتشر وبورمن برنز وجبرائيل سليمان جبّور وغيرهم من اقطاب العلم فيها

وقد اهدت الينا جامعة بيروت، كتاب « تنظيم سوريا الاقتصادي » ، الذي صنفهُ الاستاذ سعيد حماده استاذ الاقتصاد التطبيقي فيها ، بمعاونة رجال دائرة العلوم الاقتصادية كالمستر روبرت رومر وحسني افندي الصوّاف والبرت افندي خوري وجورج افندي حكيم والسيد ادورد نيكولي وباسم افندي فارس والاستاذ نورمن برنز والمستر الن ادوردز . وقد ذكرت هذه الاسماء وفقاً لترتيب الفصول التي كتبوها

والكتاب مجلد ضخم يشتمل على نحو ٥٠٠ صفحة باللغة الانكليزية وهو عشرة فصول اولها في « السكان » للمستر روبرت رومر وهو بحث مسهب في سكان سورية ولبنان اساسهُ الاحصاء. ففي الفقرة الثالثة فيه كلام على ازدحام السكان في سورية وسنجق الاسكندرونة وجمهورية لبنان وحكومتي اللاذقية وجبل الدروز ، ومنها يتبيّن القارىء ان ازدحام السكان في الشام على اشدّهِ في جمهورية لبنان حيث يبلغ عدد السكان في الكيلو متر المربع الواحد ٩١ر٩٢ ويليهِ في اللاذقية ٣٦ر٤٩ في سنجق الاسكندرونة ٥٠ر٤٦ في سورية ٧٩ر٨ في جبل الدروز ٧٢ر٦ ويلي ذلك جداول تبين نسبة سكان المدن اي سكان الريف وقراه . وفي الصفحة ١١ جدول يبين مدى انتشار الامية في لبنان وسورية فنسبة الاميين في بيروت ٠٦ر٤٢ ٪ ونسبتهم في لبنان ٣٨ر٥٠ ٪ وفي شمال لبنان ٥٦ر٦٦ ٪ وفي جنوب لبنان ١٨ر٧١ ٪ وفي البقاع ٤٥ر٦٧ ٪ . وذلك وفقاً لاحصاء تمّ سنة ١٩٣٢ . اما في مقاطعات الدولة السورية فالنسبة اكبر بوجهٍ عام فهي ٦٣ ٪ في ولاية حلب و ٥٥ ٪ في سنجق دمشق و ٨٢ ٪ في حماه و ٨٢ ٪ في حوران و ٥٨ ٪ في حمص و ٥١ ٪ في الاسكندرونة . ومما ينطوي عليهِ هذا الفصل بحث في مهاجرة السوريين واللبنانيين الى الخارج وبواعثها ومهاجرة الاجانب الى سورية ولبنان ومنهُ يتبين القارىء ان اكثر الاجانب المقيمين في سوريا هم الفرنسيون وعددهم (٣٨٠٧) والاتراك (٣١٦٤) واليونانيون (٢١٩٩) والارمانيون (١٩٨٩) والمصريون (٩٩ ١٧) والايطاليون (١٧٥٤) والاميركيون (١٢٨٢) ويليهم ابناء الدول الاخرى والجدول الذي يشتمل على هذا البيان ذكرت فيهِ كل دولة وبلاد على سطح الارض تقريباً

ويلي ذلك فصل في مصادر الثروة الطبيعية لحسني افندي الصواف وهو يشتمل على بحث في التربة وخصبها والماء والمعادن والغابات والحراج والمصايف والحيوانات وهي تشمل الخيل والحمير والبغال والماشية والغنم والمعاز والخنازير والجواميس والجمال وبعض هذه الحيوانات قد زاد زيادة تذكر في خلال اربع سنوات اي بين سنة ١٩٢٧ و ١٩٣١ فعدد رؤوس الغنم مثلاً

كانت سنة ١٩٢٧ يبلغ ١٤٠٤٤٩٢ رأساً فزاد سنة ١٩٣١ على ٢٩٠٠٠٠٠ رأس وتضاعف عدد الجمال فكان في السنة الاولى ٣٢٥٨٤ وصار في السنة الثانية ٦٨٢٢٣

ويلي ذلك فصول في تأجير الارض والزراعة والصناعة والمواصلات والنقل والتجارة الداخلية والتجارة الخارجية ونظام المال والمعارف وميزانية الحكومة

وكل فصل من هذه الفصول مرجع قائم بنفسه في الموضوع الذي عالجهُ ، ولا يتسع هذا الباب لذكر طرف ولو يسير جدًّا من الحقائق التي انطوت عليها ، وانما نعود الى تلخيص بعض هذه الفصول في المقتطف إذا اذنت في ذلك جامعة بيروت الاميركية

المدرسة والمجتمع بوادي النيل

الفه بالانكليزية — الدكتور امير بقطر — صفحاته ٢٦٩

هذا الكتاب ، هو الرسالة او الاطروحة التي قدَّمها الدكتور بقطر الى جامعة كولومبيا ، فنال بها رتبة دكتور في الفلسفة . وهي في الواقع بحث الكتوريذي التطاق غزير النفع ، غرضهُ الرئيسي البحث في حالة التعليم في مصر على ضوء الاحوال الاقتصادية والاجتماعية في البلاد . لذلك وقف البابين الاول والثاني — وهما يشغلان نحو نصف الكتاب — على وصف موجز لتاريخ مصر الحديث وحالتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية توطئة للبحث في حالة التعليم ، وربط الاولى بالثانية

ففي القسم التاريخي تتبع المؤلف احوال مصر من عهد نابوليون الى العصر الحديث بايجاز كلي استغرق ١٤ صفحة فقط ، ولكن البحث في الاحوال الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، اتمَّ واوفى وفيه تقع على فصول حسنة تتناول احوال مصر الزراعية والصناعية والتجارية ومشكلة السكان والطبقات الاجتماعية وما يتصل بذلك من حالة الفلاح ، وعوامل الدين واللغة ومقام المرأة ومكانتها من الناحية الشرعية ومايمتُّ الى هذا الموضوع من بحث في الحجاب والزواج والطلاق والضرائر ثم صلة المرأة بالنهضة القومية ونهضتها الحديثة . وفي هذا الباب فصلان سياسيان احدهما يعالج موضوع الامتيازات الاجنبية والآخر موضوع النهضة القومية

اما الباب الثالث من الكتاب فهو المقصود بالذات في الرسالة ، وموضوعه حالة التعليم في مصر. ثم ان القارىء يحسُّ وهو يطالع فصول البابين السابقين ، ان المؤلف كتبها مدركاً ما للتعليم من المقام والأثر فيها كعامل في تطور السياسة والاجتماع والاقتصاد . ولكن بحث التعليم فيها لم يكن مقصوداً بذاته ولا ظاهراً على غيره . اما في هذا الباب فيتجه المؤلف الى صميم مشكلة التعليم فيتتبع مراحلها في فروعها المختلفة ، ويبسط ما يبينُ لهُ من الماخذ فيقول في الامتحانات مثلاً في الصفحة ١٧٣ ما ترجمتهُ « الامتحانات كالبرامج اعراض مرض واحد وهو الثقة العمياء بالمعرفة . . . . . » وبعد ما يصف الاستعداد للامتحانات واشتغال الصحف بنشر

تلميذ وتلميذة المدرسين . المنجمة احياناً ، يقول : «تتجه العناية كلُّها الى الامتحانات . فمن بدء السنة المدرسية الى آخرها يلقن المدرّس تلاميذه الحقائق وبوجهٍ خاص الحقائق التي يحتمل ان يسألها الممتحنون . وفي آخر السنة يحسب المدرس الذي لا ينجح فريقٍ كبير من تلاميذه مخفقاً في عمله . هذه احوال تحبس المدرس منذ الساعة الاولى على الاهتمام بشيء واحد وهو نجاح فريق كبير من تلاميذه في الامتحان . اما عادات التلاميذ واخلاقهم وتفكيرهم وغيرها من الصفات الضرورية للطالب فلا تهمهُ » . ولا يكتفي المؤلف بالنقد مهما يكن النقد مرّاً وعادلاً وفي محلهِ ، بل يقترح مقترحات يرى فيها بعض الاصلاح على الاقل للمساوىء الفاشية . والفصل الحادي عشر يشتمل على مقترحات خاصة بالبرنامج والامتحانات والمدرسين وغيرها من نواحي مشكلة التعليم في مصر

والواقع ان كتاب الدكتور بقطر وثيقة نفيسة لكل من تهمه شؤون التعليم في مصر ووجه قاسمها علاوة على الحقائق التي احتوتها ان واضعها خبر نظام التعليم في مصر طالباً ومدرساً ، وأضاف الى خبرته هذه دراسة علمية وعملية وافية في نظم التعليم والتربية في اميركا واوربا

الظلال

لاحمد راسم — ١٦٢ ص — من قطع المقتطف

ان الاستاذ احمد راسم في طليعة أدبائنا المجددين الذين استقوا من الغرب ادق الوان الحضارة المغوية وامتزجوا بها فراحوا يؤلفون على منهاج طريف يملؤهُ الابتكار في ادبنا . وقد سبق للاستاذ احمد راسم ان نشر بيننا ثلاثة كتب باللغة الفرنسية هي «الدين والانسان» و«الحديقة المهجورة» و«المكرتير الفني» فضلاً عما نشرهُ باللغة الفرنسية من شعر منثور واحاديث خيالية

وهذا الكتاب الذي اخرجهُ الاستاذ راسم اليوم موقوف على نقد الفن في مصر . فهو عرض لصور الفنانين المصريين امثال آيمي مر وحسن سعيد وناجي وطائفة من الفرنجة المقيمين بمصر اشباه بريمال وبوجلان . ويتخلل هذا النقد اعتبارات فنية وفلسفية غاية في الدقة انما تدل على رسوخ المؤلف في اساليب الفن الحديث والقديم على طريقة ادبية

وقليل من الكتبة في الشرق العربي يقدرون على ان يفيضوا في حديث التصوير والنحت والرسم . ومن المتعذر على الاقلام ان تخرج من هذه التجربة ظافرة لأن الادب العربي لم يعرف نقد الفن . والظاهر من كتابة الاستاذ راسم انهُ يميل عن الفن الحديث الناهج مناهج غربية امثال المكسيكية [illegible] وغيره ، وان تفضيله ذاهب الى المنهج الاتباعي Classicism . ولذلك تراهُ يؤثر قناني المنهج الثاني على قناني المنهج الاول

والى جنب نقد الفن بعض مقالات في نقد الشعر والنثر لنفر من الادباء المصريين الذين يكتبون باللغة الفرنسية امثال موسكتلي وفيشتر وراؤل بارم . وكأن قلم الاستاذ راسم في هذا الباب اكثر انطلاقاً منهُ في باب الفن ، ذلك أن الاسلوب العربي منقاد للنقد الادبي الانقياد كله ب. ف.

من حديث الشعر والنثر

للدكتور طه حسين بك

أصدر الدكتور طه حسين هذه المحاضرات القيمة مجموعة في كتاب كما أراد أصحابه وألحّوا عليه في ذلك ، ولا أظن الا أن ضميره الادبي قد تقاضاه كثيراً من الالحاح وغير قليل من اللوم على تردده في إصدار هذا الكتاب وأدبنا العربي في أمسّ حاجة الى مثل هذه الدراسات المبنية على أحدث مذاهب التحليل والاستقراء لتعزيز مكانته بين الآداب العالمية الكبرى ، ولقد أحاط المؤلف بهذا الموضوع أجمل وأوفى احاطة وما أرى بعدُ حجة للذين تستريبهم آراء الدكتور طه في الادب الجاهلي والذين ينعتون مذاهبهم في اتهامه بالتعصب للآداب الغربية، ولو صدرت هذه الآراء عن رجل غيره لاتهمه الذين يجردون الادب العربي من معاني القوة والحياة بالتعصب المطلق لهذا الادب او محاولة ذلك ، ولكن من يمم الفكر في آراء الدكتور طه ويقرن تائجها بمقدماتها فهو من غير شك مغتبط بهذه المقدمات ، مطمئن الى هذه النتائج ، معجب بالتحليل والتدليل اللذين توخاهما المؤلف في حديثه عن النثر الفني ولشوئه وارتقائه . وفي الموازنة الدقيقة بين مذاهب ابن المقفع والجاحظ وعبد الحميد وغيرهم من الناثرين ، ورجوعه بألوان نثرهم وفنون أدبهم الى العقلية الموروثة والثقافة المكتسبة ، فصل ممتع رائع ، مرتبٌ وفق ما ذهب اليه كبار النقاد المحدثين في تفهم أصول الآداب العالمية الكبرى وتعرف تياراتها المختلفة

ولا تجاوز المقدمة وحديث النثر الى آرائه في ابي تمام والبحتري وابن الرومي وابن المعتز ، فهي فصول خليقة بالاعجاب جديرة بالثناء ، وفي الحق ان المؤلف انصف كلاً من اولئك الشعراء ، وكان شديد الانصاف لشعر ابن المعتز ونبله وظرفه ورقته النواسية وترسله في الوصف البديع واني لأراه منصفاً جداً لشعر البحتري وغروره وتقلبه ، وسطحية خياله ، وأعرف كثيرين ممن يتأثرون بأن « البحتري شاعر وأبا تمام والمعري حكيان » سينعتون لحديث الدكتور طه وسيتهمون ذوقه اتهاماً قاسياً ولكنهم سيلمسون في هذه المحاولات البديعة ، وفي هذه الصناعة التي تستأثر بأعجاب الاذن الدليل القوي على سر هذا الحيان القاصر والبهرج الساحر . اما حديثهُ عن ابي تمام فقيه نوع من الرضا والوان من الاعجاب يألفها الذين ينشدون متعة الحسّ والعقل معاً ويتجهون بأخيلتهم حيث تثب المعاني وتهيم الخواطر المجنحة وظني ان شعر ابي تمام شديد الجفاف على انهُ عاش في القرن الثالث الهجري ولعلّ ما حدثنا به المؤلف عن تعقيده اللغوي هو سر هذا الجفاف

أما ابن الرومي فقد اظهرنا حديثه على نواحٍ جديدة رائعة تتصل بنظائرها في حديث النثر

بيد ان لي رأياً في هذا الشاعر أعلن به إسهابه ، فقد كان رجلاً تهم النظرة شره الخيال وحيث دار الناس بأعينهم في الجهات الاربع دار هو في اكثر من هذه الجهات اعني في الدقائق التي تموتها النظرة العابرة وتسترعي انتباهة الخيال المتفرس الصائد ، وظني ان ابن الرومي كلما حاول انتقالاً سريعاً عرضت له المعاني متصلة متلاحقة في الطبيعة والطبائع تظهر من حيث اختفت وتسرج من حيث أطفئت فهو مأخوذ بها دقيق الحركة بطيء الخطى وانك لتلمس شواهد هذا في بطء موسيقاه وهدوئها المضطردة في قصيدة أبي الحسن الشطرنجي وغيرها

لا خلاف اذن في الرأي بين الدكتور طه وبين كثير ممن توفروا على دراسة الأدب العربي والمّوا بأطراف من الآداب الاخرى . ولكن الدكتور طه عرض لموضوع واحد مرتين ، مرة في حديثه عن النثر واخرى في حديثه عن الشعر فقال بأن الشعر في صدر الاسلام قد تأثراً بالنثر بعد ان كان النثر في الجاهلية متأثراً به واني لأتساءل لماذا لا تكون العقلية العربية قد تأثرت بالمنطق اليوناني فدفعت الشعراء والناثرين معاً الى هذا النوع الجديد من المنطق كما تأثر الآن كتّاباً وشعراء بمنطق العلم الحديث . وأني لادعو مخلصاً الى مطالعة هذه الأحاديث الشائقة البارعة الغنية بسمو موضوعها وعمق أفكارها وأستقامة منطقها وجمال أسلوبها فهي من كل نواحيها خليقة باستيعابها جديرة بالتوفر على دراستها

علي محمود طه

رباعيات عمر الخيّام باللغة الالمانية

Omar Chayyam und seine Vierzeilen von Christian Herrnhold Rempis. Tuebingen 1935, 176S.

لعمر الخيّام اشهر شاعر شرقي في اوربة . فقد اكتشفه القوم اكتشافاً منذ زمن وأول من تكلم عنه المستشرق النمسوي (هامر برجستال) وأما الذي نقل رباعياته نقلاً محكماً الى الانجليزية فهو فتزجرلد Fitzgerald سنة ١٨٥٩ . وقد نقلت الرباعيات بعد ذلك الى الفرنسية والالمانية والعبرية الحديثة والعربية وغيرها وعقدت فيها وفي صاحبها فصول طويلة

وميزة الترجمة الالمانية التي نحن بصددها ان صاحبها المستشرق ريمبس اعتمد على ٥٠ مخطوطة قديمة باللغة الفارسية وانه ترجم الرباعيات كلها ووضع مقدمة نفيسة في سيرة الخيام استقاها من المصادر الفارسية والعربية ثم عمل جدولاً ادرج فيه جميع ما يتعلق بالخيام فأثبت هنالك مخطوطات بين مطبوعة وغير مطبوعة وباحث في الرجل ومؤلفاته ومختلف الترجمات للرباعيات ولكنه عند ما اثبت المصادر العربية اتفق له أن يخطىء في اقامة هجاء الكلمات (ص ١٩٤)

هذا واما الترجمة فرضية ولكن الخاصيات الشرقية اللاحقة بفنون البيان كثيراً ما وردت بالالمانية شاحبة . وما كان للمترجم ان يصنع شيئاً في هذا ، فبين اللغتين مدًى وشطط

التصوير في الاسلام عند الفرس

تأليف زكي محمد حسن — ٨٤ ص و ٥٤ صورة . ٢٨ × ٢٠ . — طبعة التأليف والترجمة والنشر.

قد سبق لنا ان نوهنا بعم الدكتور زكي محمد حسن (راجع مقتطف مارس ١٩٣٦) تأليف المستشرقين للدكتور بشر فارس) الأمين لدار الآثار العربية عند الكلام على مؤلفه « الفن الاسلامي في مصر » . ومما يعجب له أن همة الدكتور زكي حسن لا تعرف القعود اذ تراه يخرج من كتاب الى آخر . ولعمري ان مثل هذه الظاهرة قليلة المثال في هذه البلاد

وطريقة هذا الكتاب الاخير جارية على منوال الكتاب السابق من حيث الثبت والاستقصاء والعرض الوافي. شاهد ذلك ان المؤلف بدأ ببسط تاريخ بلاد فارس بسطاً موجزاً توطئة للبحث. واما البحث نفسه فتنقسم الفصول . الاول في نشأة التصوير الفارسي ، والثاني في مدرسة بغداد او مدرسة العراق ، والثالث في المدرسة الفارسية التركية ، والرابع في أشهر رسامي فارس هو بهزاد وفي مدرسة بخارى والخامس في المدرسة الصفوية ، والسادس في عصر الشاه عباس وخلفائه

وقد عرف المؤلف كيف يجمل القول في جميع هذه الفصول فدلّ في الاول على إحجام المسلمين عن التصوير اول امرهم ثم اقبالهم عليه متأثرين بصور المانوية واليعاقبة والنساطرة. واشار في الثاني الى اثر مسيحيي الكنيسة الشرقية على اختلاف طوائفها في تكوين مدرسة بغداد . وعلامات هذا الاثر تصوير الاشياء دون تجميل ولا تكلّف . يضاف الى هذا ما ادخله الايرانيون انفسهم من اساليب الزخرفة . وبسط في الثالث كيف تسرّب الفن الصيني الى نواحي الفن الفارسي بغزو التتر للامبراطورية الاسلامية . وعرض في الرابع لصنعة الرسام الشهير بهزاد الذي تمت على يده الصورة الفارسية الكاملة اذ حذق مزج الالوان والتأليف التصويري وابراز الاشخاص في هيئات تدل على دخائل انفسهم . وسرد في الخامس خصائص المدرسة الصفوية التي كادت تقف همها على تصوير رجال الحاشية وتصورهم وأبهتهم . ثم ختم في السادس قصة الفن الايراني مشيراً الى انعطاف هذا الفن عن التقاليد شيئاً فشيئاً نحو الطريقة الاوربية

ذلك مجمل هذا البحث النفيس ، ومما يزينه صور مستخرجة من الفن الايراني على تعاقب العصور مشروحة شرحاً لطيفاً ، ومما يدعمهُ وثائق واقوال ودراسات لكبار المستشرقين ومؤرخي الفن

وصفوة القول ان هذا الكتاب العلمي على جانب عظيم من التشويق . واملنا ان يذهب المؤلف في هذا الميدان غير متوانٍ فيتحفنا فيما يأتي من الزمان بكتب جارية على هذا السنن القويم. وان تنبئنا شيئاً وددنا لو يفلت بعض الشيء من آراء غيره من العلماء فيخرج لنا باحث نصيبهُ فيها ونفسهُ

ب . ف .

جزيرة العرب في القرن العشرين

تأليف حافظ وهبه — ٤٣٦ ص ٢٤ × ١٦ سم. لجنة التأليف والترجمة والنشر

ما اشرف امير عربيٌّ شغل العالم في هذا الزمان اكثر من الملك ابن سعود. فالمؤلفات فيه متلاحقة بلغات مختلفة. وهذا كتاب يؤلفه فيه السيد حافظ وهبه الوزير المفوض والمندوب فوق العادة للمملكة العربية السعودية بلندن. والحق ان موضوع الكتاب غير مقصور على ابن سعود. فهو يتناول البحث في جزيرة العرب من الناحية الجغرافية والخلقية والسياسية ثم يعرض عرضاً طويلاً لآل سعود

وهذا الكتاب مسوق سياقة حسنة ومرتب ترتيباً يبعث على الرضا ومدعم بوثائق ومستندات قويمة (من ص ٣٥٠ الى ص ٤١٨). الاّ ان المؤلف اختصر القول اختصاراً عند الكلام على « العوائد والاخلاق » فأطال الحديث فيما لا جدوى فيه (باب الكرم مثلاً) واسرع الخطى كما تهيأ لهُ البحث في الاخلاق من الناحية الاجتماعية الفلسفية (باب الفرق بين البدو والحضر، باب المساواة) وكان يحق للمؤلف ان يرجع هنا الى الكتاب الذي الفهُ الدكتور بشر فارس باللغة الفرنسية وعنوانهُ « العرض عند عرب الجاهلية » ، ذلك ان البدو لم يغيروا كثيراً من حياتهم التي كانوا يحيونها قديماً. اضف الى هذا ان مراجع الكتاب ضئيلة جداً. ونخص بالذكر مما اهمل اثباتهُ الكتب التي الفها الرحالون أمثال الريحاني « ملوك العرب » والقس سدان « خمسة اعوام في شرقي الاردن » ثم كتب الاب Janssen الفرنسي في «عرب مواب» وغيرها ثم كتب المستشرق النمسوي الكي Musil. وما ندري كيف اهمل المؤلف بعض التآليف العربية القديمة مثل اسد الغابة لابن الاثير وطبقات ابن سعد بجنب التآليف الاخرى التي اثبتها في المراجع العربية (ص ٤٨٣). واما ثبت الكتب الانجليزية (٣٤٩) فمشحون غلطاً مطبعياً

واما ميزة الكتاب فالفصل المعقود في آل سعود من حيث انهُ وثيقة تاريخية ومرجع صالح لولا ميل الى الدفاع عن امير الجزيرة

ب.

ترجمة احمد زكي باشا

للدكتور بشر فارس

نشر صديقنا الدكتور بشر فارس في مجلة البحوث الاسلامية Revue des Etudes Islamique الصادرة في باريس (العدد الثالث سنة ١٩٣٤) مقالاً مسهباً تناول فيه سيرة فقيد العروبة العلامة أحمد زكي باشا رحمهُ الله. وميزة هذا المقال انهُ جاء وافياً جامعاً معززاً بالوقائع والاخبار الوثيقة وهو مقسم اقساماً: تاريخ حياة احمد زكي ثم اعماله العلمية ثم مساعيه الوطنية ثم خلقه ثم اثره

فلا يسعنا الاّ ان نثوّه بهذا العمل الذي قام بهِ واحد من اقرب الناس الى الفقيد ارادة بث فضائله في الغرب

١ — قبس من الشرق

مجموعة من الشعر الشرقي نقله الى النظم العربي الاستاذان خليل شيبوب وعثمان حلمي في ٨٠ صفحة من القطع المتوسط — طبع بمطبعة صلاح الدين بالاسكندرية

هي فكرة جميلة ويد كريمة بعثها الاستاذان خليل شيبوب وعثمان حلمي وأسدياها الى الادب العربي ، وهي صورة جديدة يضيفانها من آداب شقيقة الى ادب شقيق ، وقبس يهتدي به كثير من الادباء الى الشرق المودع كنوزاً وأسراراً اقرب الى نفوسنا ومشاعرنا وخيالاتنا وما في اعماقنا من أسرار الشرق وعجائبه ، وسيرهم باذن الله اشعاع هذا القبس ونأمل ان يمتد ضوءه

والناقلان شاعران قويان مبدعان استطاعا ان ينقلا تلك الصور بقدر طاقتهما محافظين على الروح والفكرة على الرغم مما في هذه الطريق العسيرة من مصاعب وبالاخص في النظم ، وأديا الواجب مخلصين ، وقد نقلا في كتابهما هذا عن الفردوسي وطاغور (ونسيت اقول طوغور كما يقول الاستاذ عبد الستار علي مصدر الكتاب عن تحقيق الناقلين لهذا الاسم) وعمد إقبال والبي سليمان وموريس روزفيلد الشاعر العبري والامبراطور موتسوهيتو ، والشاعر الياباني نيكوهوريفوتشي والشاعر الصيني لياج تسي تاو وثلاث أغنيات الاولى لقبيلة فانتو في شرق افريقيا والثانيتان لرقص قبيلة هريروس من زنوج افريقيا ، وقد قام كل منهما بنصيب خاص من هذا العمل الطيب

والذي اذكره عما نقلاه عن طاغور ان تلك المقطوعات قرأتها منذ سبع سنوات في كتابه « جيتنجالي » وليس « جني الفاكهة » اذ اني اذكر ان الكتاب الاخير مجموعة من الشعر الصوفي ملخصة بالكتاب الاول . وقد تفقدت هذا الكتاب بين كتبي لاتأكد من ذلك فافتقدته . وانا لنأمل ان لا تقف جهود الشاعرين الفاضلين عند هذا القبس بل تلوه بمجاميع اخرى تزيد من ثروة الادب العربي وتطلعنا على كنوز الشرق المجهولة لنا

٢ — احلام النخيل

نظم عبد العزيز عتيق في ١٧٦ صفحة من القطع المتوسط — طبع بمطبعة التعاون بالاسكندرية

« احلام النخيل » هو الديوان الثاني لهذا الشاعر الرقيق الذي يذيب روحه فيما يكتب ، هادئاً في غير ما جلبة أو طنين ، ساكباً على شعره مسحة من التأملات الصوفية الجائزة اللطيفة التي تتطلع الى افق بعيد ، لهُ ديباجة نقية وروح تعلق بالالوان الجديدة فتضفي منها على ما ينظم ما يتناسب من ظلال ، ولهذا تجده يخلص في ديوانه الثاني من كثير مما في ديوانه الاول من عقبات توضع امام المعاني الرقيقة تعوق التأمل الحالم . ولهذا انجبت به الآن اكثر مما أعجبت به قبلاً وألمح من وراء شعره أنواراً جديدة فاتنة وأطيافاً حالمة عسى ان يطلعنا عليها قريباً

وهذا الشاعر ميزة الوصف الدقيق والاحاطة فيه بدقائق الموصوف، وقد تجلّى هذا في صوَره في شعره الوطنيّ وفي الملاك الثائم وكعبة المصطاف ووداع الشاطئ وغيرها وفي لمحات كثيرة من قصائده الاخرى، وقد اعجبني تلك الروح الشعرية الخالصة المتجلية في نشيد الغروب والشمس الجديدة، وفي طريق الواحة وفيلة الزورق وفي انتظار الحب والشاعر الصامت وغيرها

ويمتاز الى جانب ذلك بالاخلاص في التعبير عن احساسه ورغباته في صدق وبساطة، وهذا هو الفن الخالص. فالاخلاص والصدق والبساطة من السمات الشخصية لهذا الشاعر ولذلك تلمح صورته في كل قصائده لا تختلف في واحدة عن اخرى الصيرفي

شهران في اوروبا

أُهدي اليّ كتاب (شهران في اوربا) من مؤلفه الكاتب الراعي الاستاذ توفيق حبيب وهو يقع في نحو ثلثمائة وعشرين صفحة وقد حلي بالرسوم والصور لأهم مناظر اوربا كلها وآثارها ولا أقول اني عنيت بمطالعة هذا الكتاب من الجلدة الى الجلدة ولكن أشهد أن هذا الكتاب أرغمني على قراءته ارغاماً وناهيك بكتاب كتبهُ قلم يجمع بين مرانة خمسين سنة ومجاربها وأعني به قلم الصحافي العجوز فهو من قوة الاستواء بحيث يخيل للقارىء أنهُ مع المؤلف يرى بعينه ويحس بحسه فهذا الكتاب في كتب الرحلات يعد من النوع الذي يصف المشاهد حتى لكأن الغائب يراها بل أقول حتى يستغني الغائب عن أن يراها . . ولست أدري هل كانت شركات الملاحة ومكاتب السياحة ترحب بالصحافي العجوز وتسهل لهُ السفر ليكتب كتاباً يغني الناس عن السفر أم ليغريهم به؟ أما أنا فأبادر الى القول ان الصحافي العجوز أراد الاثنين معاً فهو يريد ان يقري القادرين كما يريد ان يغني العاجزين لانهُ يحب الترف والاحسان معاً. انظر صفحة ٧٧ في كلامه على الفتية الاميركية صاحبة (فيللا سرينوني) . . ولكن هل يعتقد الصحافي العجوز انهُ يكتب لكل الناس؟ كلا . فالذين يعيشون في الحاضر والذين يحسبون متاع الدنيا هو في ملذات الجسوم والذين لا يفهمون الحضارة الا في معارض الملابس والمودات الجديدة هؤلاء جميعاً هم الذين يخرجون من حساب استاذنا العجوز ولكنهُ يكتب للذين يعيشون بأجسادهم وعقولهم اي انهُ لا يكتب الا لاصحاب الحيويات القوية حقاً لانهُ يدرك حقاً ما هو متاع الحياة. فكتاب الصحافي العجوز يعنى بمشاهدة الحضارات القديمة كما يعنى بوصف المنشئات الحديثة وكما يحفل الصحافي العجوز لزيارة المعابد والمتاحف كذلك لم يهمل أن يعرج فيشاهد بعض (بارات)، او مراقص شارع مونبرناس. وهكذا يعود كتاب تلك الرحلة ليس كمية من الاوراق المحبرة ولكنهُ صفحات من الآباد او من الحياة مسطرة. فالاستاذ توفيق حبيب يعدُّ احد كتّاب الرحلات المدوّن للبقاء

محمود ابو الوفا

التاريخ العام للفنون

الفن القطري وفن القرون الوسطى تأليف لويس ريو باريس ١٩٣٤ — ٤٤٢ صفحة ٢٧ × ٣٠ سنتيمتراً

Histoire Universelle des Arts – L'art Primitif, L'art Médiéval, par Louis Réau Editions Armand Colin, Paris 1934

قد سبق لنا أن تحدثنا الى قرائ المقتطف عن مجموعة التاريخ العام للفنون. واليوم قد ظهر الجزء الثاني وهو منطو على كتابين الاول في فن الامم الفطرية Primitives والثاني في فن القرون الوسطى في اوربا

وميزة هذا الجزء أنهُ قائم على اسلوب فلسفي . ومعنى ذلك ان مظاهر الفن لم تعرض فيه مستقلة بذاتها بل مضافة الى ما خلفها ومصادرها . ومن علامات ذلك أن فن القرون الوسطى رُدَّ الى منبتيه اي بزنطية وفرنسا . فمن خاصة بلاد الروم سعد الفن الى مدن الصقالبة . ومن فرنسة انحدر الفن الى اسبانية وايطالية وسويسرة والطلق الى انجلترة وهولندة والمانية والاسوج والنرويج . واما فن الامم الفطرية فهو فن اولي لا ينتمي في ذاته الى أصل من الاصول . وانما في عرضه وتحليله فكاهة لما فيه من الغرائب وفائدة من حيث انه كان موصولاً بالدين والسحر ومعزى لانه رأس سلسلة الفن. هذا وكان المؤلف لم يعن بالناحية الاجتماعية من الفنين المذكورين العناية كلها ومعنى ذلك انه لم يلتفت الا قليلاً إلى تأثير الذهنيات المختلفة في مظاهر الفن في شتى البلدان

الادب العربي في آثار اعلامه

تأليف الاساتذة « خليل بك الدين » و « فؤاد أفرام البستاني » و « واسف بيرودي »

كتبنا عن الجزء الاول من هذا الكتاب في عدد المقتطف الصادر في مايو سنة ١٩٣٥ وكان يشمل نصوصاً من الادب منتخبة للجاهلية ثم صدر الاسلام الى آخر دولة بني أمية ، ثم صدر هذا الجزء الثاني وهو يطوي العصر العباسي كلَّه . وقد اتبع فيه الاساتذة مناهجهم الاول الذي يراد به تبصير الطالب العربيّ بأدب لغته ، ثم تسويغه لذة هذا الادب ، لينشأ من ذلك الذوق الادبيّ الذي يحتكم اليه الادب المرويّ ، ويخرج على روائعه الأدب المنشأ

ونحسب الاساتذة قد لقوا عنتاً كبيراً في جمع هذه النصوص واختيارها لطول العصر الذي يريدون أن يضعوا بين يدي الطالب صورة من فنه وأدبه، ثم لعظم المادة الادبية التي أفاض بها هذا العصر ومع ذلك فقد استطاعوا أن يختاروا أجودَ هذه المادة ، وأدلها على العصر ، وأبقاها على الزمن ، وأروعها في الفكرة والغرض، وأشدها حضّاً للطالب على متابعة التأدب بالفنّ ، والتفنن في الادب

وفي هذا الجزء خلاصة الأدب العربي في شعر بشار وأبي نواس وأبي تمام والبحتري وابن الروميّ والمتنبي وأبي فراس ، وما جادت به قرائح أهل الشرق والاندلس من الموشحات ، ثم المختار من كتابة الكتّاب كابن المقفع والجاحظ وبديع الزمان والحريري وأبي الفرج الاصفهاني وابن الاثير صاحب المثل السائر ، والحقُّ أن هؤلاء جميعاً هم أصول الادب العربي في هذا العصر

فهرس الجزء الاول

من المجلد التاسع والثلاثين

١ الملك فؤاد الاول (مصوّرة)

٩ مصادر الطاقة العالمية

١٦ جنون الحياة (قصيدة) لعلي محمود طه

١٧ اسرار الدماء : للدكتور علي توفيق شوشه بك

٢٤ تقدم علم النفس في مائة عام : لمحمد مظهر سعيد

٢٩ تطور البحث في علم البكتريولوجيا : لنقيف عبد الوهاب

٣٢ السامية في مؤتمر ثقافات البحر المتوسط : لجاستون زنانيري

٣٦ المحايد الصغير

٤٠ ادوار الفلسفة الثلاثة : لفليمون الخوري

٤٥ البطالة ووسائل علاجها : للدكتور احمد سويلم العمري

٥٣ مفردات النبات : لمحمود مصطفى الدمياطي

٥٦ الصحة في ارياف سورية : ملخص لكتاب الدكتور صد بقلم جورج عبود الاشقر

٦٢ الدكتور ابرهيم : للدكتور ابرهيم ناجي

٧٠ اللذة في نظر فلاسفة العرب : لاحمد فؤاد الاهواني

٧٤ مؤتمر أذرح : لظافر عبد الله الدجاني

٨١ الانتقاد الادبي : ليوسف البيتي

٨٥ سير الزمان : السيطرة على البحر المتوسط : للسنيور لويجي فدريزوني . محمد علي والامبراطورية العربية : لامين سعيد

٩٧ حديقة المقتطف * دائماً . الزوبعة : لجان لاهور . ريح الفجر : لكلنج . بين عهدين : لستراوس

١٠٣ المراسلة والمناظرة * الاصطلاحات التي اقرها مجمع اللغة العربية : للفريق الدكتور امين المعلوف

١٠٧ الاخبار العلمية * البوما والدوريون . أرانب لا أب لها . الجاموس الافريقي . راديوم الدائرة القطبية . الغذاء واطالة العمر . عرق الطيور . مجمع تقدم العلوم البريطاني . حفظ اللبن طازجاً . أمواج الصوت وامتحان المعادن . الاستقلال بجامعة هيدلبرج . جبار مارد وغدده . مدينة عائمة على قطعة الجد . خطر النوترون على الحياة . ثعبية جديدة . علاج الانيميا الخبيثة خلف الاستاذ برستد . أبناء عمية متفرقة

١١٦ مكتبة المقتطف * وفيها ١٤ بحثاً في المطبوعات الحديثة

JANUARY — MAY 1936 يناير الى مايو سنة ١٩٣٦

المقتطف

مجلة علمية صناعية زراعية

لمنشئيها

الدكتور يعقوب صروف والدكتور فارس نمر

المجلد الثامن والثمانون

AL-MUKTATAF

AMONTHLY ARABIC SCIENTIFIC REVIEW

Edited by : FUAD SARROF

VOL. LXXXVIII

Founded 1876 By Drs Y. Sarrof & F. Nimr

فهرس المجلد الثامن والثمانين

	وجه
(ا)	
* آلات تتذكر وتنسى	٤٢٩
الآملي بهاء الدين	٣٥٦
ابراهيم باشا	٣٩٤
الاتجاهات السياسية في الشرق	٦٠٨
الاحلام فلسفتها	٦٥١
احوال المطلقين	٢٢١
اخلاق الناس تغيرها	٢٧٨
الازهر تطور التعليم فيه	٥٩٠
الاسمدة الكيماوية الصناعية	٤٦٩
الاشعة الكونية والتطور	٥٤٦
الاطعمة التي نأكلها	٢٧٣
الاطفال رعبهم في الليل	٢٧٦
افلاطون حلمهُ (مثل)	٢٦٦
* الالعاب الاولمبية	٢٤٣
الالومنيوم تقدم استعماله	٤٥٢
الالومنيوم عيدهُ	٥٤٣
الاناس الصناعي	٤١٤
اميركا الصغيرة وصفها	٥٤٥
(ب)	
الباب والبابية	٦٣٦
* الباخرة (كوين ماري)	٥٠٩
* البترول والحضارة	١٨٥
البحث العلمي في مصر	٥٩٦
برستد الاستاذ	٥١٣
البزين من الفحم	٢٨٨
* بورجيه	١٩٦
(ت)	
التاريخ تركتهُ والشعوب الضعيفة	٣٢٦
التاريخ فلسفتهُ	٢٠٩
تحية وزير معارف سورية	٥٧٢
تحية وزير معارف مصر	٥٧١
التربية والحجاب	٦٤٢
التعليم الجامعي	٤٩٤
* التعليم بمصر تطورهُ	٥٧٧
التنويم واعادة الذاكرة	٤١٤
التوسع بالفتح	١٦٩
(ث)	
الثورة المقبلة	٦٧٨
(ج)	
الجو والحالة النفسية	٥٤٧
(ح)	
الحركات الاستقلالية في مصر القديمة	٣١٥
الحق والحسن (قصيدة)	١٧٦
الحقيقة والخيال	٣٢٣
حياتنا العقلية تطورها	٥٨٨
(خ)	
* خيري الشاعر والفنان	٣٤٢
خيل السباق تخديرها	٥٤٨
(د)	
الدم بوكهُ	٤١٥
ديدرو والتربية	٣٣٠
(ذ)	
ذات الرئة والعاطفة	٢٨٠
الذرات حشك نواها	٥٤٢
ذكريات دار المقتطف	٦٨١ و ٦٨٧ و ٦٨٨
ذكريات ستين سنة	٥٦١
(ر)	
الرجاء بالله (قصيدة مترجمة)	٥١٨
الركود عصرهُ وحياة الامم	٤٧٩
روسيا والمدنية الحديثة	٢٦٠
رياضيات المصريين القدماء	٤٥٦
الزين ازمتهُ	٥٢٥
الزين والزور ولوكارنو	٥٣٣
(س)	
سايوتجي البرنس	٣٩٧
سعدي الشاعر	٤٠١
السل بحث	٥٠١
السل اكل جرثومته	٥٥٠
السلام اركانهُ	٣٨٥
(استفتاء)	
السيارات وزيت الزيتون	٤١٥
(ش)	
الشام ابدع طرقها	٢٣٠ و ٣٧٣
الشعر والبون الشكري	٥٤٢
الشخصية وتحقيقها بسجينة	٢٠٤

وجه

الشخصية المزدوجة ٤٦٢
شرف العمل ٦٤٦
الشرق اطباؤه ٦١٧
الشمس استعمال طاقتها ٤٠٦
الشموع والشموس ٤٣٧

(ط)

الطب وجهاز كهربائي جديد ٤١٢
الطريقان (قصيدة مترجمة) ٢٦٥
الطيران في الصيفة
الضرورية ٢٨٦

(ع)

العمل وتضييد الجروح ٢٨٥
العقل امواجه الكهربائية ٤١٣
العلم والاجتماع ٦٠٢
العلم والحضارة (رأي
كارل) ٢٨٢
العناصر المشعة توليدها ٢٩٧

(غ)

الغاز الحربي الكامل ١٨٨
الغدة الصنوبرية فعلها ٥٤٤

(ف)

الفاكهة حفظها بالتشميع ٥٤٩
الفتح والاقتصاد والعمران ١٦٩
الفكر يقتل ٤١١
فيلبس مقتلهُ ٤٨٧

(ق)

القطيع اغنيتهُ (قصيدة مترجمة) ٥١٧

(ك) وجه

* كبلنغ ٢٠٠
كتب ٢٨٩ ـ ٢٩٥ و ٤١٨ ـ ٤٢٧ و ٥٥١ ـ ٥٥٩
كتب والتربية ٤٩٨
الكوبرا والتحذير بسمها ٤١٣
كوندياك والتربية ٣٣٠
الكون والارض وزنهما ٥٤٦

(م)

ماذا تريد (قصيدة) ٤٧٨
مبدأ عدم التثبت تسميه ٥٤٤
المتنبي (عدد خاص) ١ ـ ١٦٨
مجمع اللغة العربية
ومصطلحاتهُ ٥٣٧
المدارس في ربع قرن ٥٩٨
مدينة ترتفع وتنخفض ٢٨٦
المشهد الاوربي محولهُ ٢٥١
* مصر والسودان في
التاريخ ٤٤٠
المصريون القدماء
رياضياتهم ٤٥٦
المقامة الكيكجية ٣١٢
المقتطف والحركة الفكرية ٥٧٤
ملاريا الفردة والشلل ٢٨٧
* الموسيقى العربية
والحولي ٣٠٥
موسوليني قضيتهُ ٤٦٦
موعد (قصيدة مترجمة) ٢٧٠

وجه

موعظة شهر الورود ٦٦٠
الميكروبات في اطالي
الهواء ٢٨٥

(ن)

* نافارين الموقعة البحرية
٢٤٥ و ٣٥٢
النبات مفرداتهُ ٢٢٥ و ٣٦٨
و ٤٨٣
النباتات المصرية استعمالها ٦٣٠
النباتات المصرية القديمة ٢١٤
النبات هرموناتهُ ٤١٧
النرجس المحايد الصغير ٤١٥
النجوم سياحة الى باطنها ٣٣٧
نمل عجيب ٤١٧
النهضة الشرقية (استفتاء) ٦٦٤
النور والاضاءة ٣٧٩
* النور عياره ٤٩٤

(هـ)

هرم الجيزة والشعرى ٦٢٣
هليفيتوس والتربية ٤٩٧

(و)

الولادة والطلق ٤١٦

(لا)

اللاسلكي ومشروع
المعارف ٣٣٦

(ي)

اليزيدية ٣٦١

أربع صور ثلاث منها للمصور هاكوساي والرابعة (امام حديقة المقتطف) للمصور هيرشيجي

التطور

بركان توجي في جوّ صاف

شکل ۱۴